هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

التخطيط والسياسة اللغوية

السنة الخامسة، العدد العاشر (رجب، ١٤٤١هـ)، (مارس، ٢٠٢٠م).

تخطيط الوظائف اللغوية للغة العربية
- إطار عام لرؤية استراتيجية

الحقوق اللغوية في المملكة المغربية من
خلال الوثيقة الدستورية ٢٠١١

اللغة الأم، الجانب المشؤوم من اللسانيات

عرض كتاب
السياسات اللغوية وبناء الهوية: ديناميات التعددية اللغوية في الكاميرون

عرض كتاب
السياسة اللغويّة في البلاد العربية - بحثاً عن بيئة طبيعية، عادلة،
ديمقراطية، وناجعة

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

التخطيط والسياسة اللغوية

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

رئيس التحرير
أ.د. محمود إسماعيل صالح

مدير التحرير
د. محمود بن عبدالله المحمود

هيئة التحرير:
أ.د. إبراهيم بن عبد العزيز أبوحيمد
د. أمل عبد الله الراشد

منسق التحرير
أ. محمد مفلح الشهراني

الهيئة الاستشارية
أ.د. إبراهيم بن سليمان الشمسان
أ.د. سعد بن عبد الرحمن البازعي
أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد
أ.د. صالح بلعيد
أ.د. عبد السلام بن عبد السلام المسدي
أ.د. عز الدين بن محمد مجدوب
أ.د. محمد خضر عريف
أ.د. محمد خطابي

مجلة التخطيط والسياسة اللغوية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن مركز
الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة
اللغة العربية
السنة الخامسة العدد العاشر (رجب، ١٤٤١هـ)
(مارس، ٢٠٢٠م)
(ردمد) : ٧٤١٣ - ١٦٥٨

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

لإسهاماتكم واستفساراتكم نسعد بتواصلكم من خلال:
البريد الإلكتروني لمجلة التخطيط والسياسة اللغوية
mtsl@kaica.org.sa
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٩
٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
ناسوخ : ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٦٩
ص.ب. ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
المملكة العربية السعودية
www.kaica.org.sa

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

صفة المجلة:

هي مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

من أهداف المجلة:

- إثراء المحتوى العلمي العربي في مجال التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية.
- تنمية الثقافة والممارسة البحثية في مجال التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية وتشجيع المهتمين والمتخصصين للبحث والاهتمام بهذا المجال.
- التوعية بمستجدات تخصص التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية والتعريف بالإنتاج الأكاديمي المميز باللغات الأخرى.
- التعريف بالمبادرات والمراكز ذات العلاقة بالتخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في العالم العربي خصوصا، ودول العالم المختلفة بوجه عام.

المجالات البحثية للمجلة:

ينطلق اهتمام المجلة بالدراسات والأبحاث المتعلقة بمجالات التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية بما في ذلك الدراسات المتعلقة بتخطيط الوضع اللغوي، وتخطيط الاكتساب اللغوي، وتخطيط البنية اللغوية، وتخطيط المكانة اللغوية، ودراسات التعريب، والتنوع والازدواج اللغوي، وتمكين اللغة وتنميتها ونشرها.

قواعد النشر بالمجلة:

تخضع جميع المواد المقدّمة إلى المجلة للتحكيم العلمي المتخصص، وتقبل البحوث والدراسات للنشر بالمجلة وفقا لقواعد النشر التالية:

- أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة.
- أن يكون البحث أو الدراسة في أحد مجالات التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية بما في ذلك الدراسات المتعلقة بتخطيط الوضع اللغوي، وتخطيط الاكتساب اللغوي، وتخطيط البنية اللغوية، وتخطيط المكانة اللغوية، ودراسات التعريب، والتنوع والازدواج اللغوي، وتمكين اللغة وتنميتها ونشرها.
- أن يعتمد الباحث الأسس العلمية في كافة خطواته وأن يتبع قواعد التوثيق العلمي المستخدمة بالمجلة وهي طريقة جمعية علم النفس الأمريكية APA .
- أن تكون عدد كلمات البحث ما بين ٥٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ كلمة.
- ألا يكون قد سبق نشر البحث في أي وعاء علمي.
- أن يعد الباحث ملخصا لبحثه في حدود ٢٠٠ كلمة باللغة العربية.
- تحتفظ المجلة بحقوق النشر، ويمكن للباحث إعادة نشر بحثه في وعاء أكاديمي آخر، بشرط مضي سنة على نشر البحث في مجلة التخطيط والسياسة اللغوية والإشارة إليه.
- يمنح كل مشارك في المجلة مكافأة رمزية ترسل للباحث خمس نسخ ورقية من العدد الذي نشر فيه البحث، ومستلة إلكترونية من البحث.

معامل تأثير المجلة:

١,٥٧(وذلك للعام ٢٠١٩ وفقا لمعامل التأثير العربي، التابع لاتحاد الجامعات العربية).

كما ترحب المجلة بالاستعراض العلمي للكتب ذات العلاقة باهتمامات المجلة وفق الضوابط المتاحة في صفحة المجلة في موقع مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية:

www.kaica.org.sa

البحوث المنشورة بالمجلة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز، ويتحمل مؤلفوها المسؤولية كاملة عن صحة ودقة المعلومات والاستنتاجات.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقيا
أو تداولها تجاريا

محتويات العدد العاشر

١٠
تخطيط الوظائف اللغوية للغة العربية - إطار عام لرؤية استراتيجية
د. سحر سويلم راضي

٦٢
الحقوق اللغوية في المملكة المغربية من خلال الوثيقة الدستورية ٢٠١١
د.عبد الرحيم ناجح

٨٨
اللغة الأم، الجانب المشؤوم من اللسانيات
ترجمة: أ.د. فؤاد بوعلي

١٢٧
عرض كتاب
السياسات اللغوية وبناء الهوية: ديناميات التعددية اللغوية في الكاميرون
أ.د محمد مازن جلال

١٣٨
عرض كتاب
السياسة اللغويّة في البلاد العربية – بحثاً عن بيئة طبيعية، عادلة، ديمقراطية، وناجعة
د. أحمد الجنادبة

١٤٦
نبذة عن بعض إصدارات المركز الحديثة

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

كلمة التحرير

يسعدنا في هذا العدد العاشر من المجلة تقديم مجموعة متميزة من الأعمال في مجال التخطيط والسياسة اللغوية، تجمع بين البحوث الأصيلة والمترجمة، إضافة إلى مراجعة الكتب ذات العلاقة.

من الأبحاث المتميزة في مجال التخطيط اللغوي للعربية الدراسة التي تقدمها د. سحر سويلم راضي بعنوان «تخطيط الوظائف اللغوية للغة العربية ـ إطار عام لرؤية استراتيجية». ولعل خير تلخيص لهذه الدراسة ما ورد على لسان الباحثة في السطور التالية:

«وتأتي أهمية البحث من أهمية ومكانة اللغة العربية، وضرورة التخطيط للحفاظ عليها، ويهدف إلى تحجيم أحد أهم الأخطار التي تواجه حياة اللغة، وهو توزيع الأنماط اللغوية المختلفة للغة العربية على الوظائف اللغوية لدى المتحدثين باللغة العربية؛ وذلك بهدف الوصول إلى غاية أعلى، وهي اقتراح إطار عام لرؤية استراتيجية، واضحة في رؤيتها، محددة في أهدافها، لتوسيع دائرة استخدام، وتوظيف اللغة العربية الحديثة، وللتأثير في السلوك اللغوي في المجتمع؛ لتوجيهه إلى أداء لغوي معيَّن، وتفعيل دور اللغة الفصحى في حياة المتكلم العربي، وإحيائها، ومما ييسر تحقيق أهداف البحث تم اقتراح عدة مشاريع لغوية تنفيذية، منبثقة من الرؤية، محددة في مجال تطبيقها، تحتوي على تصور لإجراءات محددة، تكفل تحقيق الأهداف المرسومة.»

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

في دراسته القيمة عن الحقوق اللغوية في المملكة المغربية من خلال الوثيقة الدستورية ٢٠١١، يذكر الباحث د. عبدالرحيم ناجح بأن بحثه يهدف «إلى تسليط الضوء على قضية الحقوق اللغوية في المغرب. وتكمن أهمية رصدها في قيمة العلاقة التي تربطها بالديموقراطية والتنمية والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإدارية، وفي التزام المغرب بالمواثيق والمعاهدات الدولية ذات الصلة.»

وبعد دراسة تمهيدية عن مفهومي الحقوق اللغوية واللسانية والحركة الحقوقية للأقليات وأهمية الحقوق اللغوية في محاربة العنف والتطرف والأمية وغيرها، يتحدث الباحث عن الوثيقة الدستورية في المغرب وتأكيدها على الأهمية الدستورية لكل من اللغتين العربية والأمازيغية، اللتين تعتبران لغتين رسميتين، كما تطرقت إلى أهمية اللهجة الحسانية. ويبين الباحث أن الدستور المغربي على الرغم من تأكيده على رسمية اللغة الأمازيغية إلا أنه نظرًا لصعوبة مساواة الأمازيغية بالعربية في جميع مجالات الحياة، أضاف فقرة تبرر ذلك بإضافة فقرة تقول: «يحدد قانون تنظيمي مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، وكيفيات إدماجها في مجال التعليم، وفي مجالات الحياة العامة، وذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلًا بوظيفتها، بصفتها لغة رسمية.»

أما بالنسبة للهجة الحسانية فيعتبرها الدستور جزءًا من الهوية الثقافية المغربية الموحدة دون إضفاء الصبغة الرسمية عليها. ويشير الباحث إلى أنه على الرغم من وجود عدد من اللهجات الأخرى مثل «العروبي» و«الجبلي» يفوق عدد الناطقين بها الناطقين بالحسانية، إلا أن الدستور لم ينص سوى على الحسانية، ربما لأسباب سياسية تتعلق بالصحراء المغربية.

ويذكر الباحث إشارة الوثيقة الدستورية إلى ضرورة «أن تعمل الدولة على تعلم وإتقان اللغات الأجنبية الأكثر تداولًا في العالم» لأسباب علمية وثقافية. ولكنه يشير إلى أن الدور الذي أنيط باللغة الفرنسية من الناحية االواقعية، حيث تزاحم العربية بل وتطغى عليها في التعليم العلمي والتقني والخدمات الصحية، إضافة إلى المكانة التي أوليت لها في الأوراق الثبوتية والوثائق الإدارية الأخرى. وهو أمر لا يوجد له مبرر من الناحية الدستورية،

حيث لا توجد أية إشارة إلى اللغة الفرنسية في الوثيقة الدستورية.

نقرأ في هذا العدد أيضًا ترجمة عربية قام بها أ.د. فؤاد بوعلي لدراسة بالفرنسية للباحث جون ديديي أوربان حول موضوع شايع في اللسانيات بعنوان « اللغة الأم، الجانب المشؤوم من اللسانيات»، وهو مفهوم اللغة الأم في التراث الفكري والفلسفي الفرنسي، حيث يقول كاتب الدراسة الفرنسية: «في سنة ١٣٦١، نقل نيكول دورسيم Nicole d'Oresme إلى اللغة الفرنسية تعبيرا موجودا في اللاتينية القروسطية، هو عبارة اللغة الأم». ويذكر عدة تعريفات للغة الأم بقوله: «عرفت اللغة الأم بوصفها لغة محلية أو وطنية، مشتركة أو طبيعية أو أولية، وأيضا بدائية أو أصلية. ويتصورها البعض أقرب إلى كونها عامية محلية، أو لغة خاصة من بين لغات أخرى، أو لغة عائلية، أو شفوية، أو تداولية، أو عادية، ولغة للبادية أيضا، أو دارجة، إضافة إلى أن الفهم العام، يشرك مصطلح اللغة الأم طوعيا بفكرة كلام الطفولة، ورطانة المربيات، وحديث الأطفال»

ويقدم لنا الكاتب تحليلًا فلسفيا واجتماعيًا عن مفهوم اللغة الأم أو لغة الأم منذ بداية استعمال المصطلح في القرن الرابع عشر في اللغة الفرنسية وعبرالعصور. وتركز دراسته على الجانب الفلسفي وآراء الفلاسفة (الفرنسيين خاصة وعدد محدود من الألمان والإنجليز) المتفقة أحيانًا والمتناقضة أحيانًا أخرى، وعلى ارتباط النظرة إلى اللغة الأم بمكانة المرأة الاجتماعية الدونية في فرنسا في العصور المختلفة، فهي لغة المنزل والأطفال والمربيات، مقابل لغة الرجل الرسمية والمرتبطة بالتعليم والتجارة والسياسة والدين، إضافة إلى كونها لغة مقننة في نحوها ومعجمها.

ومن الجدير بالذكر ما يذكره الباحث عن «المؤسسة الموسوعية» في القرن الثامن عشر في فرنسا، حيث يشير إلى أنه: «لا يتمثل عمل المؤسسة الموسوعية في إصدار سلسلة من المقالات المصنفة أبجديًا فقط، بل تعتزم القيام بمحو الأمية أيضا. ومن ثمة، تحتل البيداغوجيا، من بين مواد أخرى، مكانًا أساسيًا في تدريس اللغات. فمن خلال الوسيلة التربوية، تعتبر المؤسسة الموسوعية هي موضع إعادة الإدماج الاجتماعي وإعادة الاعتبار للغة الأم، لغة المنزل. ففي بيئة تتجه بشكل متزايد نحو الأحادية اللغوية، لم تعد اللغة

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الأم، شيئًا فشيئًا، لغة أخرى، أو لغة على الهامش، بل هي المكان الأول لاكتساب اللغة الوطنية في المنزل؛ لأن للأم، مع ذلك، الدور الأساسي في وضع أول طمي لغوي داخل كل فرد، بالقدر الذي سيكون فيه هذا الطمي الأول هو «الجيد». ولكن هذا لم يمنع النظرة الدونية للغة الأم مقارنًا باللغة «الاصطناعية» أو الرسمية.

عليه يختتم الباحث الفرنسي دراسته بقوله: «هكذا، يثير التاريخ وإبستمولوجيا اللسانيات، على نحو مثير للقلق، فيما يتعلق باللغة الأم، التفسير التحليلي النفسي. كل شيء يدبر لإظهار أن اللغة الأم هي اللغة مشوومة (سيئة الحظ) في اللسانيات العامة، وهي نوع من الكلام تحت اللغة محكوم عليه بالاختفاء الاجتماعي، كما لو كانت المركب «الغريزي» المخجل لأي فاعل متكلم.»

لعل الفاسي الفهري يكمل لنا الصورة التي قدمتها لنا الباحثة سحر راضي للتخطيط والسياسة اللغوية في العالم العربي، وذلك في كتابه الموسوم (السياسة اللغوية في البلاد العربية) الذي نجد مراجعة له في هذا العدد. يراجع لنا هذا الكتاب القيم د. أحمد الجنادبة.

يذكرمراجع الكتاب بأن المؤلف الفاسي الفهري يعالج في كتابه جملةً من القضايا والإشكالات المعقّدة التي تُحيط بالسياسة والتخطيط اللغويين في عالمنا العربي، رجاء الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها كي تُحقق هذه اللغة أهدافها السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية. وينوه الفاسي الفهري إلى أن الحكومات العربية ليس لديها رؤية لسياسة لغوية واضحة ولا تخطيطًا مسبقًا لخدمة اللغة العربية وحمايتها والبلوغ بمكانتها إلى المرتبة العالمية التي هي جديرة بها.

ويشير الباحث إلى أن عددًا من القضايا التي يعالجها الفاسي الفهري في كتابه قد لا تكون جديدة من حيث موضوعاتها، ولكن المؤلف يعالجها بتفصيل أكبر وبشموليه تعكس الاطلاع الواسع على الدراسات المعاصرة التي عالجت قضايا اللغة الكونية واللغات الوطنية وربط اللغة بالعدالة الاجتماعية، إضافة إلى دور الدول في صنع القرار اللغوي.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وفي هذا العدد من المجلة نقرأ أيضًا عرضًا مهمًا لعمل آخر في مجال السياسة اللغوية، ولكن من منظور مختلف عما ذهب إليه الفاسي الفهري. وهي السياسة اللغوية في ضوء التعددية اللغوية الكبيرة التي تتميز بها الدول الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى. وهو كتاب (السياسات اللغوية وبناء الهوية: ديناميات التعددية اللغوية في الكاميرون) الذي ألفه إيريك أشمبي باللغة الإنجليزية. ونورد أدناه ملخصًا للباحث أ.د. محمد مازن جلال عن الكتاب:

«تدخل بنا هذه الدراسة إلى عالم التخطيط اللغوي داخل إفريقيا التي عانت ردحا من الزمن من ويلات الاستعمار الذي مضى إلى سبيله تاركا خلفه إرثا ثقافيا يتمظهر في أقوى صوره في اللغات، وبخاصة اللغتين الإنجليزية والفرنسية. تقدم الكاميرون إحدى الدول الإفريقية الكبرى حالة مثلى لدراسة التفاعل اللغوي، وتفاعل الهويات داخل مجتمع يموج بالعرقيات الإثنية (٢٠٠ مجموعة عرقية)، وباللغات المحلية (٢٨٥ لغة) التي تتصارع أو تتماهى في وجودها مع اللغتين الرسميتين الإنجليزية والفرنسية ».

«يطمح هذا الكتاب إلى تقديم نظرة لغوية اجتماعية عامة للعلاقة بين السياسة اللغوية، وبناء الهويات اللغوية والتفاعل الاجتماعي في الكاميرون. والهدف العام من الكتاب إظهار أن الخيارات اللغوية، لا سيما في حالات التعدد اللغوي بين لغات المستعمرين الإنجليزية والفرنسية واللغات المحلية في الكاميرون، لها تأثير في بناء هويات الأفراد داخل المجتمع.»

هذا ولنا أمل في أن محتويات هذا العدد، كما هو الأمر مع الأعداد التسعة السابقة، تسهم في فهمنا للتخطيط والسياسة اللغوية بصورة أفضل. كما نأمل أن تكون حافزًا للباحثين لتقديم المزيد من إسهاماتهم المهمة في هذا المجال.

رئيس التحرير

أ.د. محمود إسماعيل صالح

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

تخطيط الوظائف اللغوية للغة العربية - إطار عام لرؤية استراتيجية

د. سحر سويلم راضي[1]

ملخص البحث:

يقترح البحث[2] صياغة خطة لغوية، تهدف إلى تمكين الناطقين باللغة العربية من استخدام لغتهم في جميع الوظائف الاجتماعية، وذلك باقتراح بنية نظرية ذات إطار منهجي، ونموذج تطبيقي يستقي منهجيته من الفكر الإداري الاستراتيجي، يتم فيه تناول الجوانب النظرية المحيطة بقضية التخطيط للوظائف اللغوية ، من خلال استعراض أهم القضايا الاستراتيجية ذات الصلة، ثم يتم بعدها تشخيص الوضع اللغوي الراهن للبيئة اللغوية المستهدفة، للوقوف على نقاط القوة، ونقاط الضعف للبيئة الداخلية، والوقوف على الفرص والتهديدات في البيئة الخارجية، من خلال وضع معايير واضحة يتم تطبيقها، ويتم التشخيص لمعرفة مدى الاحتياج إلى جهود علمية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية تساعد اللغة على البقاء، ثم تبدأ بعد ذلك عملية صياغة الاستراتيجيات، والتي تتضمن: الرؤية الاستراتيجية، يليها الأهداف الاستراتيجية التي تنبثق منها، ويتم اقتراح هذه الخطة كإطار عام غير محدد، والبيئة اللغوية المستهدفة في هذا البحث تعد افتراضية؛ يمكن تطبيقها باختيار بقعة جغرافية محددة؛ فالبحث يطرح إطاراً عاماً، يمكن تخصيصه

١- قسم اللغة العربية بجامعة الجوف.
٢- شكر وتقدير :
تتقدم الباحثة بجزيل الشكر والعرفان إلى عمادة البحث العلمي بجامعة الجوف، فقد «تم دعم هذا المشروع من قبل جامعة الجوف تحت مشروع بحثي رقم (٤٠/٨١) ”

عند تحويله إلى حيز التطبيق، وتأتي أهمية البحث من أهمية ومكانة اللغة العربية، وضرورة التخطيط للحفاظ عليها، ويهدف إلى تحجيم أحد أهم الأخطار التي تواجه حياة اللغة، وهو توزيع الأنماط اللغوية المختلفة للغة العربية على الوظائف اللغوية لدى المتحدثين باللغة العربية؛ وذلك بهدف الوصول إلى غاية أعلى، وهي اقتراح إطار عام لرؤية استراتيجية، واضحة في رؤيتها، محددة في أهدافها، لتوسيع دائرة استخدام، وتوظيف اللغة العربية الحديثة، وللتأثير في السلوك اللغوي في المجتمع؛ لتوجيهه إلى أداء لغوي معيَّن، وتفعيل دور اللغة الفصحى في حياة المتكلم العربي، وإحيائها، ومما ييسر تحقيق أهداف البحث تم اقتراح عدة مشاريع لغوية تنفيذية، منبثقة من الرؤية، محددة في مجال تطبيقها، تحتوي على تصور لإجراءات محددة، تكفل تحقيق الأهداف المرسومة.

المقدمة

اللغة من منظور نظرية التجربة التاريخية ـ كما يقول علماء الاجتماع ـ كائن حي ينمو، ويتطور، وتعتريه أحوال القوة، والضعف، والصحة والمرض، كما أنها كالعضو الحي ينمو، ويقوى عند قيامه بوظائفه الحيوية التي يجب أن يقوم بها، ويضعف، ثم يموت إن ظل ساكناً، وطال تعطله عن القيام بدوره الوظيفي، وقوانين اللغات تنطبق على اللغة العربية، كما تنطبق على غيرها من اللغات، وعليه توصف اللغة العربية، بما توصف به اللغات الأخرى، فهي قد توصف تارة بالقوة، والنهوض، كما توصف بالضعف تارة أخرى عند فقدان القدرة على القيام بوظائفها، واستيعاب المتغيرات، والتعايش، والتجاوب الحضاري.

وتتوقع بعض الدراسات الديموغرافية أن نصف اللغات المستعملة في العالم حالياً ستختفي مع نهاية هذا القرن؛ وهو ما حدا بمؤسسات العمل الدولي، ودفع المهتمين باللغات للعمل على وضع سياسات وخطط، للحفاظ على اللغات، وقد أعلنت منظمة

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة عن برنامج أسمته (اللغة الأم) [٣] ؛ لمواجهة ظاهرة موت اللغات، واندثارها، نتيجة لتعطيل استعمالها، وقيامها بوظائفها الاجتماعية، وأهم وظائفها: وظيفتها في التواصل اليومي، والتي تضمن قوتها، وصحتها، وتضمن انتقالها للأجيال، ومن هنا تظهر أزمة اللغة العربية في القيام بهذه الوظائف المنوطة بها، والحاجة الملحة إلى تخطيط لغوي واعٍ بطبيعة الأزمة، وحجمها، وتداعياتها الاجتماعية، والحضارية، والثقافية.

يهدف هذا البحث إلى الخروج من بوتقة الدراسات النظرية والمفاهيمية في حقل التخطيط اللغوي إلى الممارسة والتطبيق، وذلك عن طريق طرح اقتراح إطار عام لخطة استراتيجية، واضحة في رؤيتها، محددة في أهدافها؛ وذلك لإعادة هيكلة وتوزيع الأنماط اللغوية على الوظائف اللغوية، ولتوسيع دائرة استخدام وتوظيف اللغة العربية الحديثة، والتأثير في السلوك اللغوي في المجتمع؛ لتوجيهه إلى أداء لغوي معين، وتفعيل دور اللغة الفصحى في حياة المتكلم العربي، وإحيائها، وكذلك النهوض بالمنظومة اللغوية. ومما ييسر تحقيق أهداف البحث تم اقتراح عدة مشاريع لغوية تنفيذية، منبثقة من الأهداف، وتعد أكثر تحديدًا، وتتسم بالتركيز في مجال تطبيقها، وتحتوي على تصور لإجراءات محددة، تكفل تحقيق الأهداف المرسومة.

أهم الدراسات السابقة:

- كتاب (موت اللغة) لديفيد كريستال، والكتاب يتناول ظاهرة (الموت اللغوي)، ويهدف المؤلف من خلال هذا الكتاب إلى التنبيه إلى الأخطار التي تواجه اللغات، وقد طرح خططًا، وقدم برامج تمهد سبل الحفاظ على التنوع اللغوي، وقد اقترح كريستال لتصميم هذه البرامج نموذجًا من الحقل الطبي؛ يبدأ بمهام التشخيص،

٣- اليوم الدولي للغة الأم، منظمة اليونسكو، الرابط:
http://www.unesco.org/new/ar/unesco/events/prizes-and-celebrations/celebrations/international-days/international-/mother-language-day-2014

وتقييم مستوى الخطورة، ودرجات التهديد، في الحالة اللغوية محل البحث، من ثم يتم التدخل العلاجي، من خلال تكوين فرق بحثية، وتنفيذية متعددة التخصصات؛ لتنفيذ الخطط التي تعنى بتنشيط اللغة، كما يقترح برامج نشر، وزيادة مستوى الوعي، ومحاولة جذب، وكسب الدعم المحلي من المجتمع اللغوي، وتعزيز المواقف الإيجابية للمجتمع، وكذلك وضع برامج لغوية تعليمية محددة للمدارس، وأخرى لأفراد المجتمع اللغوي المحلي.

- بحث (التخطيط اللغوي تعريف نظري، ونموذج تطبيقي) [٤]، للدكتور عبد الله البريدي، وتهدف هذه الورقة إلى التأكيد على حتمية الانعتاق من البعد التنظيري عبر ممارسة الفعل التخطيطي في المجال اللغوي، مع ضرورة الالتزام بمنهجية علمية دقيقة، تسلم بتداخل التخصصات، على أن تستقي منهجية التخطيط اللغوي في أصولها ومراحلها من الفكر الإداري الاستراتيجي، وقد استهدفت الورقة بلورة تعريف شامل للتخطيط اللغوي، واقتراح نموذجًا علميًا تطبيقًا له، يأخذ في اعتباره جملة من المحددات المنهجية، واللغوية، والاجتماعية، والاستراتيجية، والذاتية.

- بحث (مناقشة مسألة تخطيط الوظائف اللغوية)، للدكتور لي يو مينغ، وهو دراسة وصفية، تتناول تخطيط الوظائف اللغوية في اللغة الصينية، وتقوم الورقة البحثية على وصف، وتقسيم الاستعمالات الوظيفية للغة الصينية على ثمانية مستويات، وتعتمد مهمة تخطيط الاستعمال الوظيفي للغة على تخطيط دور كل ظاهرة لغوية Language phenomenon، كما يسميها المؤلف [٥]، وقيمتها في كل استعمال وظيفي.

٤- وردت للباحثة فكرة البحث الحالي عند قراءة هذه الورقة البحثية للدكتور البريدي.
٥- يقصد بمصطلح (الظاهرة اللغوية)، هو ما نطلق عليه في هذا البحث (النمط اللغوي)، انظر: المدخل المفاهيمي من هذا البحث، في مفهوم (اللغة العربية).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

منهجية البحث:

وتسعى هذه الدراسة إلى تقديم إجابات عن الأسئلة التالية: ما هي الوظائف التي تقوم بها اللغة العربية في الوقت الحالي؟ وما هي القضايا الرئيسة التي لها علاقة وتأثير مباشر على الشأن اللغوي في العالم العربي؟ وهل يمكننا التخطيط لتمكين اللغة العربية من قيامها بالوظائف التي يجب أن تقوم بها ؟ وكيف يمكننا ذلك؟

ويعتمد البحث على أسلوب دراسة الحالة ـ وهي إحدى أدوات المنهج الوصفي التحليلي بطريقته الواقعية ـ لإجراء عملياتِ الوصف والتحليل، وكذلك التشخيص، اعتمادًا على جمع المعلومات والبيانات، وتحليلها، واستنادًا إلى نتائج دراسات سابقة، والإفادة منها، في إعداد الوصف الكيفي للظواهر المدروسة، ولا شك أن الوصف الكمي الذي يتمثل في الوصول إلى أرقام تتعلق بالمشكلة، أو الظاهرة، ضرورة لإمداد الأبحاث والخطط بالبيانات اللازمة، ولكن هذا البحث فقط يقترح إطارًا عامًا لخطة، يمكن تطبيقها، غير محددة في الزمان والمكان.

في هذا البحث تعمل الباحثة على الوصول إلى بلورة وصياغة (رؤية استراتيجية مستقبلية طموحة) تنبع من الفكر الاستراتيجي، الذي يعتمد على التنبؤ بمستقبل اللغة، وتتمثل متطلبات تحقيق الرؤية الاستراتيجية المقترحة، أولاً في تشخيص الوضع اللغوي الحالي، ثم يعقب ذلك مهمة صياغة الرؤية، على أن تكون عملية صياغة الرؤية مفصلة بما يكفي لصياغة الأهداف الاستراتيجية التي تمهد لتحقيق الوضع اللغوي المنشود، وأن تكون هذه الأهداف واسعة، بما يكفي للسماح باقتراح مشاريع تنفيذية، منبثقة من الأهداف الاستراتيجية، والتي يجب أن تتصف بالمرونة، والواقعية، والقابلية للتطبيق ؛ لتحويل الفعل التخطيطي، إلى الفعل التنفيذي.

ويبدأ البحث بمدخل مفاهيمي، ويتوزع على أربعة مباحث، يستعرض المبحث الأول أهم القضايا الاستراتيجية اللغوية التي تتصل بشكل مباشر، بقضية التخطيط للوظائف

اللغوية، والتي تساعد في إلقاء الضوء على الحالة اللغوية الراهنة في البيئة العربية، وفي المبحث الثاني يقدم تحليلًا لتشخيص الوضع اللغوي الراهن من خلال محورين، هما: مؤشرات حيوية اللغات، وتعريضها للخطر، والتحليل البيئي الرباعي SWOT، ويطرح المبحث الثالث اقتراحًا لصياغة الاستراتيجية، وقد انقسم في التناول على ثلاثة أقسام: وهي تصميم الرؤية الاستراتيجية، تليها صياغة الأهداف الاستراتيجية Strategic Goals، ثم يتم تحديد الفجوة بين الوضع اللغوي الراهن والمستهدف. ثم قدم المبحث الرابع نموذجًا تطبيقيًا لتنفيذ الاستراتيجية، وقد انقسم في الطرح على ثلاثة أقسام، وهي: صياغة المشاريع، ونماذج لمشاريع مقترحة مدمجة لتنفيذ أهداف الخطة، ثم قدم نموذجًا مقترحًا لصياغة مشروع بعنوان (رفع مستوى الوعي بالمكانة الاجتماعية للغة). ثم عرض النتائج والتوصيات، وأهم المصادر والمراجع.

تنبع أهمية هذا البحث، من أهمية ومكانة اللغة العربية بوصفها عنوانًا للهوية والانتماء، والحفاظ عليها باعتبارها أداة ضرورية للتقدم، والارتقاء والتنمية المستدامة، ومواكبة روح عصر العلوم والتكنولوجيا في مجتمع المعرفة، كما تؤكد الدراسة على ضرورة انتهاج سياسات جديدة؛ لزيادة توظيف اللغة العربية الفصحى في كل مجالات حياة المواطن العربي، ويتم ذلك بالتسريع في اتخاذ قرارات، ومشاريع، وخطط، ذات أهداف واضحة، وإجراءات محددة؛ لتفعيل الوظيفة الاتصالية للغة، وبالتأكيد فإنه ليس هناك سياسة لغوية ناجحة من دون أن تتبناها قيادات حكيمة، واعية بحجم وأهمية اللغة، ودورها الثقافي والحضاري، بيد أن اللغة العربية تتميز، وتزيد عن باقي اللغات بأنها لغة الوحي، فهي أولى اللغات بالتخطيط والتدبير والحماية، ومما دفعني، وحفزني لطرح هذه الرؤية، أنها نابعة من رؤية المملكة العربية السعودية بقيادتها الحكيمة الواعية بدورها في الحضارة العربية والإسلامية، وقد نصت في رؤيتها الطموحة على أن " المملكة العربية السعودية... العمق العربي والإسلامي ".

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ـ مدخل مفاهيمي

أ ـ اللغة العربية: يستخدم الناطقون بالعربية في العصر الحاضر أنماطًا مختلفة من اللغة العربية، وتتوزع في الاستعمال على الوظائف اللغوية الاجتماعية العديدة، والمقصود بالأنماط اللغوية: هي" الظواهر، والتغيرات التي تطرأ داخل اللغة الواحدة في شكلها المنطوق والمكتوب، فتختلف وتتعدد أشكالها، وتنتمي في النهاية إلى لغة واحدة" (مينغ، ٢٠١٧: ١٣٦)، وهي في اللغة العربية ثلاثة أنماط رئيسة: النمط الأول: اللغة العربية الكلاسيكية Classical Arabic، وهي النموذج الأصيل للغة العربية، وهي لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية، ولغة النصوص التي سُجِّلت بها الحضارة العربية، والإسلامية في عصور الثراء المعرفي والحضاري، وتستخدم اللغة العربية الكلاسيكية حاليًا للأغراض الدينية فقط، والنمط الثاني: العربية المعيارية الحديثة Modern Standard Arabic ، وهو النمط المتطور من العربية الفصحى الكلاسيكية، وهي مستمدة من الفصحى الكلاسيكية، وتعتبر نسخة مبسطة منها، وهي تستخدم في الوثائق المكتوبة، والمناسبات الرسمية، والتعليم الرسمي، والإعلام الرسمي، وتستخدم اللغة العربية المعيارية الحديثة كلغة مشتركة بين جميع العرب، والنمط الثالث: اللهجات المحلية Colloquial Arabic، وهي النمط المنطوق Spoken Arabic في مختلف بقاع الوطن العربي، وهو النمط الذي يكتسبه المتحدث العربي بصورة طبيعية كلغة أولى، ويختلف، ويتمايز من قطر إلى آخر، بل من منطقة إلى أخرى داخل القطر الواحد، وهذا النمط هو الأكثر شيوعًا بين جميع العرب، وينبغي هنا أن نلفت النظر إلى أنه ليست هناك بقعة جغرافية، أو مكان معين في العالم تُعتبر اللغة العربية ـ في شكلها الفصيح ـ فيه، هي (اللغة الأم)، فهي تستخدم فقط في حالات التحدث الرسمية، من دون أن تضطلع بأي استعمال وظيفي هام في حياة المواطن العربي اليومية.

وعندما نتحدث في هذا البحث عن (اللغة العربية)، أو(الفصحى)، فالمقصود هو النمط الثاني، وهو العربية المعيارية الحديثة Modern Standard Arabic.

.(Bani-Khaled, 2014)

الوظائف اللغوية: وهي الاستعمالات الوظيفية الرئيسة للغة، ويمكن تقسيم الاستعمالات الوظيفية للغة العربية بأنماطها المختلفة على ستة مستويات، هي:

١. اللغة الرسمية، وهي لغة التخاطب الرسمي التي تستعمل في الهيئات العامة، والمكاتبات الرسمية (بناءً على نص قانون الدول)، وتؤكد القوانين في جميع الدول العربية أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية .

٢. لغة التواصل اليومي: التي يستخدمها الأفراد في التواصل اليومي داخل المنزل مع الأسرة، وخارج الأسرة مع الأصدقاء.

٣. لغة الإعلام: بشقيه المكتوب، والمنطوق.

٤. الوظيفة الدينية للغة، وتشمل هذه الوظيفة ثلاثة أغراض فرعية متداخلة، هي: قراءة النصوص، والوعظ والتعليم، وأداء الصلاة والأدعية.

٥. لغة التعليم: التعليم هو أحد أهم مستويات الاستعمال الوظيفي للغة، والعديد من الدول لديها قوانين واضحة، تحدد اللغة التي يجب استعمالها في مراجع التعليم، في التدريس والامتحانات، في المستوى الأساسي والثانوي.

٦. لغة الخدمات: وهي الخدمات والتسهيلات التي تقدمها الدولة في المجالات المختلفة للفرد والمجتمع، مثل: نداءات المطار، ولوحات الطرق، وملصقات المنتجات، واللوحات الإرشادية بالأماكن العامة، والمواقع السياحية، والمتاحف.. (مينغ، ٢٠١٧، دليلة، ٢٠١٣، كوبر، ٢٠٠٦). وهذه الاستعمالات الوظيفية الرئيسة قد يتفرع منها مجالات فرعية أكثر دقة، فعلى سبيل المثال: لغة التعليم: هناك اللغة المكتوبة، واللغة المنطوقة التي يؤدي بها المعلمون دروسهم، ويتواصلون بها مع طلابهم، وكذلك لغة الإعلام، فهناك لغة البرامج الحوارية التي يكثر فيها استخدام العامية، ولغة الأخبار التي تستخدم الفصيحة...الخ (راضي، ٢٠١٩).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الرؤيـــة الاستراتيجية: الرؤية هي استشراف المستقبل، والتنبؤ به؛ لمشاهدة الصورة الذهنية المثالية التي نريدها، ونتطلع لها، وتحث الخطى للوصول إلى هذه الصورة في المستقبل، وهي لا تبدو حقيقية الآن، بل ستصبح حقيقة في المستقبل، ولابد أن تتلاءم مع المفاهيم العامة للمجتمع، وتعكس قيمه، وتنسجم مع همومه، وطموحاته، وتتلخص أهمية الرؤية الاستراتيجية بكونها تدفع المخططين الاستراتيجيين نحو التخطيط، وتحدد الاتجاهات، وتحفز الاهتمامات، وتدق جرس الخطر بضرورة التغيير، وتحفز على الإبداع، وإيجاد الحلول للمشكلات، وتدفع نحو التركيز على المستقبل، وتساعد على اتخاذ القرارات، وتحقيق الرؤية إلى واقع لا يتم إلا عبر التخطيط الاستراتيجي (الكرخي، ٢٠١٤).

التخطيط الاستراتيجي: هو عملية منظمة يتم فيها التنبؤ بالمستقبل، والاستعداد له انطلاقًا من تحليل الحاضر، وتوقعات اتجاهات المستقبل؛ لتحديد الأهداف المرغوب تحقيقها، وتحديد الأساليب والوسائل المناسبة لتحقيق هذه الأهداف بكفاءة وفاعلية، وفقًا لأولويات، وجدول زمني، في ظل ما تتمتع به البيئة الداخلية من عناصر قوة، وما تعاني فيه من مجالات ضعف، ورصد الفرص والتهديدات التي تتصل بالبيئة الخارجية، ويعتمد التخطيط الاستراتيجي على إطار منهجي، يتجه نحو المستقبل، إلا أنه لا يهمل الماضي، والواقع الذي تقف فيه البيئة موضوع التخطيط، الأمر الذي يؤدي إلى تجنب أخطاء الماضي، وإدارة المستقبل بصورة أفضل، ويساعد على اتخاذ القرارات المناسبة، من خلال صياغة الاستراتيجيات؛ لمواجهة الأزمات، مع الاستفادة من موارد البيئة موضوع التخطيط، وباختصار، فهو يفرز خطة استراتيجية يمكن صياغتها، وتنفيذها، أما الخطة الاستراتيجية: فهي عمليات فكرية، وتنفيذية تتطلب مهارات تحليلية، كما تتطلب مهارات قيادية، وتتطلب عددًا من الاستراتيجيين والمنفذين، عن طريق اتباع وسائل محددة، بحسب منهج التخطيط الاستراتيجي؛ لتحقيق أهداف الخطة (البريدي، ٢٠١٣).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

التخطيط اللغوي: إن مصطلح التخطيط اللغوي يشير إلى الجهود الموجهة من قبل الحكومات، أو الهيئات الرسمية، وشبهها، أو الأفراد؛ وفق إطار علمي منهجي للتأثير على السلوك اللغوي للمجموعات اللغوية، فيما يتعلق باكتساب اللغة، أو بنيتها، أو وظيفتها، أو مكانتها داخل المجتمع، وكذلك اتخاذ كل الإجراءات اللازمة في كل ما يتعلق بالتدخل في اللغة نفسها، أو تعديلها، أو إدارتها عموماً (البريدي، ٢٠١٣، المحمود، والبغدادي، ٢٠١٥، دليلة، ٢٠١٣)، وينبغي للمشتغلين بالتخطيط اللغوي الاستعانة بحقول معرفية مختلفة، وبالنظريات الرئيسة في العلوم ذات الصلة؛ للقيام ببحث علمي منهجي، يسفر عن نتائج واقعية، ذات قيمة، ويمكن الإفادة منها بشكل مباشر، ونقلها إلى نطاق التنفيذ.

ويتم تصنيف التخطيط اللغوي إلى عدة مجالات،(مينغ، ٢٠١٧) وأشهر هذه المجالات، نجملها فيما يأتي:

١ ـ **تخطيط الوضع اللغوي Language Status Planning**: ويتعلق هذا النوع من التخطيط بوضعية اللغة القانونية، ومكانتها، وبتحديد المكانة الاجتماعية للغة، ويشارك في هذا النوع من التخطيط: علماء الإدارة، واللسانيون، وعلماء النفس، والاجتماع.

٢ ـ **تخطيط البنية اللغوية Language Corpus Planning**: وهو يختص بدراسة الأبعاد الداخلية للغة، والقيام بإصلاحات على اللغة في مستوياتها المختلفة، بحيث يعنى بالقواعد الصرفية والأساليب التركيبية، واشتقاق الكلمات، والمصطلحات والمعاجم، وهذا النوع من التخطيط هو مهمة اللسانيين فقط.

٣ ـ **تخطيط المكانة الاجتماعية Language Prestige Planning**: وهو نوع من التخطيط يتم فيه اعتبار درجة التقدير، من قبل أفراد المجتمع اللغوي تجاه لغتهم، ويعنى بتوجيه سلوكهم، وتعزيز المواقف الإيجابية، نحو لغتهم، وترتبط المكانة الاجتماعية للغة بالخلفية العاطفية التي ترتبط بالهوية ارتباطًا مباشرًا.

٤ ـ **تخطيط الوظائف اللغوية Language Function Planning**: هو تخطيط

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

للاستعمال الوظيفي للغة، وذلك عن طريق تخطيط دور اللغة المحددة، أو النمط اللغوي المحدد الذي يلعبه في كل استعمال وظيفي؛ وهو بحث عن زاوية دراسة جديدة، ومجال جديد لدراسة التخطيط اللغوي.

إن تخطيط الوظائف، وتوزيعها على الأنماط اللغوية يستدعي معطيات التخطيط في جميع أنواع التخطيط السابقة، وكل من هذه الأصناف السابقة للتخطيط يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالاستعمال الوظيفي للغة، لكن يبقى كل ما يتعلق بتخطيط الاستعمال الوظيفي للغة متميزًا على الأغلب بطابع ضمني، وذلك على الرغم من أن البعض يشير إلى أن التخطيط اللغوي يعنى في المقام الأول بتوزيع الوظائف، ويحمل في طياته تخطيط الاستعمال الوظيفي للغة (دليلة، 2013، Ager, 2005)، وعلى الرغم من أنه من المسلم به أنه في الممارسة العملية لا يمكن تنفيذ التخطيط في أحد هذه المجالات دون تداخل مع المجالات الأخرى، إلا أن التقسيم ضروري للأغراض البحثية، ويتم تحديد نوع التخطيط حسب الهدف من الدراسة، وبحسب أولويات الحالة اللغوية في المجتمع اللغوي المستهدف بالتخطيط.

المبحث الأول: القضايا الاستراتيجية اللغوية

أولاً ـ حياة اللغات وموتها: لا يوجد لغة تعيش للأبد، فاللغة كائن حي، هناك لغات تولد، وتنمو، وتزدهر، ثم تمرض، وتشيخ أحيانًا، وتموت كالأنواع الحية، وهذا أمر طبيعي، ومتوقع عبر التاريخ الإنساني، وقد تحل محلها لغة أخرى، مختلفة، أو مُشتقةً منها.[٦]

واللغة الحية هي اللغة التي يتحدثها الناطقون بها في التعبير عن أغراضهم، وللمحافظة على هويتهم، ويعدونها لغتهم الأم (كريستال، ٢٠١٤)، واللغة الميتة: ضد اللغة الحية، وهي التي لا يستخدمها أعضاء المجتمع اللغوي في التعبير عن أغراضهم، أو قد لا يستخدمها إلا الباحثون، أو التي تستعمل استعمالًا دينيًا فقط، فموت اللغة يعني اختفاء لغة (حية)، وكذلك تعبير (لغة ميتة) قد يكون إشارة الى اللغات غير المتداولة، وتختلف درجات الحياة

٦-كما ظهرت اللغة الإيطالية، والفرنسية والاسبانية من رحم اللغة اللاتينية التي كانت سائدة في العصور الوسطى.

من لغة إلى أخرى بسبب عوامل متعددة، ويبلغ عدد اللغات الحية المعروفة في العالم حاليًا أكثر من ستة آلاف لغة، وهناك إحصائيات تشير ـ حسب منظمة اليونسكو ـ إلى أنه يوجد في الوقت الراهن ثلاثة آلاف لغة من بين لغات العالم مهددة بالانقراض (فريق خبراء اليونسكو المعني باللغات المهددة بالاندثار، ٢٠٠٣).

وهناك تصنيف للغات بين ثلاث حالات: لغة حية، ولغة ميتة، ولغة مهددة[٧]، ولكنها ما زالت حية، فهي ربما تحتضر، أو أنها في حالة صحية سيئة، وللخبراء معايير معينة لمعرفة بعض مؤشرات الضعف والانكسار التي توحي باقتراب موت اللغة، وسوف نتناولها لاحقًا بشيء من التفصيل.

ولموت اللغات أسباب متعددة، ومن أهم أسباب موت اللغات سيادة اللغات الكبرى، أو الرئيسية، والتي تؤدي الى اختفاء اللغات المحلية، فحين تسود اللغة الكبرى، وتصبح هي لغة التخاطب، ولغة الدراسة، والكتابة، والإعلام بأنواعه، والإنترنت، تصبح معها اللغات المحلية لغات هامشية ثانوية، ويحدث نتيجة لذلك (التحول اللغوي)، ويشير مصطلح التحول اللغوي إلى (انخفاض في عدد المتحدثين بلغة ما، أو فقدان الكفاءة اللغوية، أو انخفاض استخدام تلك اللغة في مجالات مختلفة)، كما قد يكون تعريض اللغة للخطر نتيجة قوى داخلية، مثل موقف المجتمع السلبي تجاه لغته الخاصة، فالمواقف تجاه اللغة، سواء كانت إيجابية، أو غير مبالية، أو سلبية، تتفاعل مع الضغوط المجتمعية مما يؤدي إلى زيادة، أو انخفاض في استخدام اللغة في مجالات مختلفة، أو تعطيلها عن القيام بوظائفها. وتحدث وفاة اللغة عند موت آخر متكلم من اللُّغة، وعندما يتوقف الأطفال عن اكتسابها، كما يطلق موت اللغة لوصف الحالة اللغوية التي يفقد المتحدثون فيها الكفاءة اللغوية بلغتهم (كريستال، ٢٠١٤، Mufwene , ٢٠٠٤).

ينجم عن موت اللغات عمومًا ضياع التاريخ والحضارة الإنسانية التي سطرتها اللغة، فيما يتعلق باللغة العربية، ينجم عن موت اللغة أن الحضارة العربية الإسلامية قد تسير نحو

٧- يوجد ٢٤٦٤ لغة تم رصدها في موقع اليونسكو، انظر: تاريخ ٢٠٢٠/٣/٢م، التوقيت: ٩:٣٠

هاوية الاندثار، بكل ما فيها من طرائق التعبير والتفكير، وما تحمله من قيم تعزز الهوية العربية والإسلامية في نفوس أبنائها (فريق خبراء اليونسكو ٢٠٠٣، كريستال، ٢٠١٤).

ثانياً: الازدواجية اللغوية Diglossia: [٨]يعرف مصطلح الازدواجية بأنه:هو وضع لغوي مستقر نسبياً، يُستخدم فيه نمطان مختلفان، أو عدة أنماط من نفس اللغة، بواسطة نفس المتحدث في سياقات منفصلة اجتماعياً؛ وذلك باستخدام أنماط مرتفعة، واستخدام أنماط أخرى متنوعة منخفضة من نفس اللغة، تختلف عندما يكون هناك تغيير في موضوع الكلام، ويكون هذا التنوع اللغوي بوجود تباين واضح، وكبير بين أصناف اللغة التي تمثل الأنماط المرتفعة، والتي تعد اللغة الرسمية التي تستخدم في الكتابة، والتعليم والإدارة، وأصناف اللغة التي تمثل الأنماط المنخفضة، وتعد لغة عامية، وتمثل وسائل التبادل الشفوي في التواصل (Ferguson, 1959).

والازدواجية ظاهرة موجودة في جميع اللغات الكبرى[٩]، وإذا نظرنا إلى الوضع اللغوي الحالي في العالم العربي، نجد نمطين لغويين مختلفين، كل منهما لديه وظيفة اتصالية مختلفة، يمثل النمط الأول اللهجات العامية المحلية، والتي تعد وسيلة للتواصل اليومي، ويتم اكتساب الأطفال العرب لهذه العاميات بشكل طبيعي من الأسرة، والنمط الآخر، والذي يتم اكتسابه عن طريق التعليم الرسمي، وهو اللغة المعيارية الحديثة، ويستخدم هذا النمط لمعظم الأغراض المنطوقة، والمكتوبة، والرسمية، ولكن لا يتم استخدامه من قبل أي قطاع في المجتمع في وظائف الاتصال الشفهي اليومي، وهو الذي يمثل الشكل القياسي للغة العربية، فيستخدم العرب هذا الشكل القياسي للغة في مواقف معينة، والعامية في المواقف الأخرى (Bani-Khaled, 2014).

٨- فالإنجليزية في بريطانيا، مثلًا، لها لهجات متعددة في داخل بريطانيا، مثل: ويلز، واستكلندة، وإيرلندة الشمالية،إضافة إلى لهجات الإنجليزية خارج بريطانيا كاللهجة الكندية والأمريكية، والاسترالية والنيوزلندية، والجنوب أفريقية، كذلك الحال بالنسبة للغات الفرنسية والألمانية والإسبانية وغيرهما.

٩- كان أوّل من بحث هذه الظاهرة اللغوية في العصر الحديث اللغوي الأمريكي تشارلز فرغيسون Charles Ferguson ، ونشر بحثه عنها عام (١٩٥٩م) في مجلة (اللغة Language) الأمريكية.

وفي الحقيقة أن الدراسات تشير إلى أن وجود الازدواجية وحده لا يهدد حياة اللغة (Ager, 2005)، ولكن هناك عوامل أخرى بجانب الازدواجية تضعف اللغة، فعلى سبيل المثال أننا نجد بين الازدواجية في اللغة العربية والازدواجية في بقية اللغات العالمية فارقًا كبيرًا، والفرق هو في الكم، وليس في الكيف[١٠]، فقد أصبح الفارق بين تلك اللغات العالمية، ولهجاتها ضئيلًا ؛ لأن الدول الغربية اتبعت ـ وتتبع دائماً ـ سياسات لغوية تفرض استخدام اللغة الفصيحة المشتركة في التعليم، والإعلام، والإدارة، والتجارة، وجميع مجالات الحياة، فيعتاد المواطنون على سماعها، وقراءتها، فيتمكنون منها، وتقترب لغتهم الدارجة من اللغة الفصيحة [١١].

ثالثًا ـ الثنائية اللغوية : تعني الثنائية وجود لغتين مختلفتين، متنافستين في الاستعمال، تتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرسمية، والاستعمال الرسمي، وتتمتعان بالدرجة نفسها من القيمة، ونجد الثنائية في بعض الدول العربية، مثل بعض بلاد المغرب العربي، مثلما نلاحظ في الجزائر، حيث اللغة العربية، والفرنسية تمثلان كلتاهما لغتين يجيدهما المتكلمون بالقدر نفسه من الكفاية، [١٢] وهذا ينسحب على من يتعلمون لغتين مختلفتين معًا في جميع البلاد العربية، في أثناء طفولتهم، والذين يمثلون نسبة كبيرة من أبناء النخبة الذين يتعلّمون في مدارس أجنبية، ذات مناهج أمريكية، أو بريطانية، أو فرنسية، أو إسبانية، أو إيطالية... إلخ، ولا يخصص لتعليم اللغة العربية في مثل هذا النوع من المدارس أكثر من ساعتين في الأسبوع، كما أن العلوم، والتقنيات في الجامعات، والمعاهد العليا تُدرس باللغة الأجنبية.

١٠- لذلك نجد أن فيرجسون مثل لأربع لغات: هي: العربية، اليونانية، الألمانية، والسويسرية.

١١- في فرنسا، مثلًا، يوجد قانون يعاقب مَن يُخطئ باللغة الفرنسية في الإذاعة أو التلفزة أو المدرسة؛ لأنه يُفسد لغة الأطفال وغيرهم، انظر:٢٠١٤: ١٨٢ (Bani-Khaled,).

١٢- ومن أمثلة الدول التي تنتشر فيها الثنائية اللغوية سويسرا و بلجيكا، فنجد مثلا الألمانية لا تستخدم في مجلس النواب، وإنما التي تستخدم فيه هي الفرنسية، و في الميدان التجاري والاقتصادي نجد الغلبة للألمانية، فهي المتداولة في هذا القطاع، ومن الطريف أن السينما الشعبية في هذه البلاد يجري الحوار فيها بالألمانية خلافًا للأفلام التي تتمتع بالمستوى الثقافي الجاد، فهي الناطقة بالفرنسية. انظر: (Fishman, ١٩٦٧)

إن الازدواجية اللغوية في العالم العربي تشكّل صراعًا غير متكافئ بين لغة وطنية تعاني من التهميش، وبين لغة عالمية وافدة مهيمنة بسلطتها الثقافية، فتلقى هذه اللغة الأجنبية الترحيب، وتتمتع بالتمكين، ويؤكد ديفيد كريستال "أن أكثر الحالات شيوعًا في موت اللغة، هي أن يبدأ أبناء الأمة التحدث بلغة أخرى، غير لغتهم الأصلية، وشيئًا فشيئًا، تتحول الأمة كلها إلى حالة ثنائية اللغة؛ لأسباب اقتصادية واجتماعية، ثم تفتك اللغة الأجنبية باللغة الأصلية، حين تستعمل الأجنبية في الحياة اليومية، والمجالات المهمة، التي تلبي طموح الأجيال الشابة" (كريستال، ٢٠١٤: ٨، وانظر: دليلة ،٢٠١٣).

إن اللغات الأجنبية يجب أن تنحصر الوظائف اللغوية المسندة إليها في كونها وسيلة لنقل الثقافة، والعلم، والتبادل التجاري، ويجب أن لا تلعب دورًا داخليًا هامًا في الاستعمالات الوظيفية الداخلية للمجتمع، مثل: التعليم، ووسائل الإعلام، والخدمات العمومية (مينغ، ٢٠١٧)، ولا شك أن تعطيل اللغة العربية عن القيام ببعض الوظائف، لا بد وأن يسفر عن نتيجة ليست لصالح اللغة العربية، ولابد أن يحسم هذا الصراع في المجال الوظيفي للغة، وإن استمرار هذا الصراع، ربما يؤدي إلى غلبة اللغات الأجنبية، وإلى اختفاء اللغة العربية كلغة تواصل، ولغة مجتمع، وتبقى لغة مقدسة، ترتبط بالدين، والعبادة، والمساجد، فقط، كما حدث مع اللغة اللاتينية، والسريانية.

المبحث الثاني: تشخيص الوضع اللغوي المعاصر

إن الخطوة الأولى لإنقاذ اللغة يجب أن تكون من خلال تقويم مفيد للوضع الراهن للغة (كريستال، ٢٠١٤)، الذي يعتمد على نتائج تشخيص الحالة اللغوية المعاصرة للمجتمع موضوع التخطيط، فهو يعد بمثابة تقييم لغوي اجتماعي للتغيرات التي تلحق باللغة، ويعتمد هذا التحليل على جمع المعلومات وتحليلها، وبالتأكيد، فإن عملية جمع المعلومات لا تنبع من فراغ، ولكنها تتأسس على معايير تراعى في جمع هذه المعلومات، ولابد من تحري الدقة، في المعلومات ونوعيتها، التي تفيد التحليل، واعتمادًا على نتائج التحليل تتم

صياغة الأهداف، وسوف نستعرض في هذا المبحث أساسين لتحليل البيانات، يسهم كل منهما في تشخيص الحالة اللغوية الراهنة:

أولًا ـ تقييم حيوية اللغات وتعرضها للخطر:

في المجتمعات اللغوية ذات العدد الكبير ـ وهو ما ينطبق على اللغة العربية ـ فإن الموت اللغوي لا يحدث فجأة، ولكنه يحدث بالتدريج، فاللغة تمر بمراحل من الضعف، والمرض، والانكسار، قبل أن تصل إلى إعلان الموت اللغوي، وعند مرورها بإحدى مراحل الضعف، يمكننا في هذا الوقت أن نقول إن اللغة في خطر، وللخطورة درجات، فقد تكون نسبة الخطر ضئيلة، وقد تصل إلى مرحلة التهديد.

ولابد من معرفة العوامل التي تؤثر على حيوية اللغة، وللخبراء معايير معينة في تحديد أهم مؤشرات الضعف، والانكسار التي توحي باقتراب انقراض اللغة، وقد وضع فريق من علماء اللغة والمدافعين عن اللغة بالتعاون مع اليونسكو وثيقة (حيوية اللغات، وخطر تعرضها للاندثار)[١٣]، وقد حددت الوثيقة تسعة عوامل؛ لتصنيف عوامل الأمن التي تضمن للغة حيويتها، واستقرارها، أو الخطر الذي يهدد استمرارها، وقد اعتمدت في مهمة التشخيص في هذا البحث على ستة عوامل فقط، وقد تم تعديل المحتوى بما يتناسب مع الحالة اللغوية في البيئة العربية، وهذه العوامل هي:

العامل الأول – انتقال اللغة بين الأجيال: وهو العامل الأكثر استخدامًا في تقييم حيوية اللغة، (كريستال،٢٠١٤) فعندما لا يكون هناك متكلمون جُدد بلغةٍ ما، يمثلون مرحلة الطفولة التي تعكس مؤشر الاستمرارية the index of continuity ، ويكون المتكلمون الوحيدون الذين يعرفون اللُّغة المحلية، جيدًا هم من فئة الشباب، فإن اللُّغة تكون مهددة بالانقراض، وخلاصة الأمر أنه يطلق على اللغة التي تكتسب دارسين، أو متحدثين جُدد لغةً حية، أو مزدهرة، ويُطلق على اللغة التي لا تتناقل للأجيال اللاحقة لغة

١٣- بدأت اليونسكو مرحلة جديدة لمعالجة مسألة تعرض اللغات لخطر الاندثار، وعمل فريق من علماء اللغة والمدافعين عن اللغة بالتعاون مع اليونسكو من نوفمبر ٢٠٠١ حتى مارس ٢٠٠٣ على وضع طرق لتقييم حيوية اللغة، وأصدروا مجموعة من المبادئ التوجيهية.

ميتة، والسبب في ذلك كما يذكر كريستال "لأنها تفتقد الحراك بين الأجيال، ولكن المقاربة هي مع كل كائن فقد القدرة على التوالد" (كريستال، ٢٠١٤:٥٠)

العامل الثاني – العدد الكلي للمجتمع ونسبة المتحدثين باللغة: ينبغي الإشارة إلى أن العدد الكلي للمتكلمين، على سبيل المثال عند احتسابه بالنسبة للغة العربية، يجب أن يراعى في تحديد المتكلم، أنه الذي يتقن اللغة العربية إتقانًا تامًا، ولا يعاني من النقص في الكفاءة اللغوية ؛ لأن فقدان الكفاءة في اللغة بين المتحدثين بها، يعد من مظاهر موت اللغة «وذلك عندما يتم استخدام اللغة من قبل أشباه الناطقين بها Semi speakers، وهم أولئك الأفراد الذين يزعمون أنهم يتحدثون باللغة، ولكنهم يخلطون مفرداتها، وقواعدها مع نظام لغة آخر" (Mufwene, 2004:204)؛ لذلك يجب عند حساب هذا العامل في الحالة اللغوية العربية، أن يتم احتساب عدد المتحدثين بكفاءة فقط، كما يتم احتساب نسبة المتحدثين باللغة بالنسبة إلى إجمالي عدد السكان الذين يمثلون المجموعة اللغوية، ويعد ذلك مؤشرًا هامًا على حيوية اللغة، ويذكر كريستال من مؤشرات حساب نسبة المتحدثين على سبيل المثال: "أن اللغة التي لا يتعلم بها ثلث أطفال المجتمع اللغوي معرضة للانقراض" (كريستال، ٢٠١٤:٣٩).

العامل الثالث ـ توزيع الاستخدام اللغوي على الوظائف الاجتماعية للغة: إن توزيع الوظائف التي تستخدم اللغة من أجلها، هي أهم العوامل التي تؤثر بشكل مباشر على ما إذا كان سيتم نقل اللغة إلى الجيل التالي أم لا، وتكون اللغة في خطر عندما يتوقف المتحدثون عن استخدامها، ويستخدمونها في عدد أقل من مجالات التواصل، كما أن استجابة اللغة إلى وظائف مجالات الإعلام الجديدة، والوسائط، والذي يعد حيزًا جديدًا له قوة الجذب والانبهار، يوسع من نطاق، وقوة اللغة، وسلطتها؛ نظرًا لأهمية الوظائف اللغوية التي تتصل بالمجالات الجديدة في استخدام اللغة في ظل تغير أحوال المجتمعات، مثل وسائط البث والإنترنت، وإذا كانت لغة مجتمع ما لا تستطيع مواجهة تحديات الحداثة، تصبح

دون صلة بالتغيرات الاجتماعية، والثقافية، فتفقد قوتها .

العامل الرابع ـ المواد اللغوية التي تستخدم في تعليم اللغة ومحو الأمية : إن توفر الكتب، والمواد اللغوية التي تستخدم في تعليم اللغة، وتغطيتها لجميع الموضوعات، ومختلف الأعمار، ولجميع المستويات الدراسية، بما في ذلك محو الأمية يعد مؤشرًا ضروريًا للحيوية اللغوية، وجدير بالذكر أن مجرد توفر النصوص اللغوية، والوثائق، والمواد التعليمية وحدها، لا يكفي، ولكن لابد وأن يتم تحديد نوع المواد اللغوية الموجودة، وجودتها.

العامل الخامس ـ المواقف والسياسات اللغوية: إن الوضع القانوني وحده لا يضمن الحفاظ على اللغة، ولا على الحيوية طويلة الأجل للغة. إن وجود سياسة واضحة علنية لاستخدام اللغة، لها تأثير مباشر على الموقف اللغوي للمجتمع نفسه، ويتم قياس هذا المؤشر، على عدة أسس، ومعايير، فقد يكون الوضع الرسمي والسياسات اللغوية واضحة، أو تكون هناك مواقف ضمنية تجاه اللغات غير معلنة، أو قد يكون هناك تساهل في تطبيق السياسات اللغوية بشكل غير مقصود.

العامل السادس – اتجاهات أعضاء المجتمع نحو لغتهم: موقف أعضاء المجتمع اللغوي تجاه لغتهم الخاصة، يؤثر بشكل مباشر على صيانة اللغة، وحيويتها، وقيامها بوظائفها، فقد تكون مواقف الأعضاء تجاه لغتهم إيجابية للغاية، ويكون لديهم اعتبار اللغة كرمز رئيسي للهوية، وكقيمة جوهرية ثقافية حيوية لمجتمعهم، أو قد يكون على العكس، فقد يرون أنها مصدر إزعاج، وأنها تمثل عائقًا أمام الحراك الاقتصادي، والاندماج في المجتمع السائد، ويتجنبون استخدامها بفاعلية، وقد يطورون مواقف سلبية تجاه لغتهم (كريستال،٢٠١٤).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

شكل (١) جدول يوضح قياس مؤشر توزيع الاستخدام اللغوي على الوظائف الاجتماعية للغة (العامل الثالث)[١٤]:

درجة الخطورة	المستوى	المجالات والوظائف
الاستخدام الشامل	٤	يتم استخدام اللغة في جميع المجالات وجميع الوظائف، بما في ذلك المجالات الجديدة (الوسائط والإنترنت).
تعدد اللغات	٣	يتم استخدام اللغة في معظم المجالات الاجتماعية، وفي معظم الوظائف، ومعظم المجالات الجديدة.
مجالات محدودة أو رسمية	٢	يتم استخدام اللغة في مجالات اجتماعية محدودة ، ولعدة وظائف.
نطاق محدود للغاية	١	يتم استخدام اللغة فقط في مجالات محدودة للغاية، ولعدة وظائف.
تنقرض	٠	لا يتم استخدام اللغة في أي مجال، ولأي وظيفة.

تساعد هذه العوامل السابقة المخططين كثيرًا عند تحليلها، في تقييم الموقف اللغوي (فريق خبراء اليونسكو،٢٠٠٣)، ولتحديد ما إذا كان التدخل مطلوبًا، وما الذي يجب عمله بعد ذلك، وعلى الرغم من أهمية جميع العوامل، إلا أن هذه العوامل يمكن أن تختلف من حيث أهميتها؛ تبعًا للهدف من التحليل، والدراسة، ويتم الاستفادة من عوامل حيوية اللغة وفقًا للغرض من التقييم، وهذه العوامل المذكورة تعد بمثابة إرشادات، ويمكن لكل مستخدم تكييف هذه الإرشادات مع السياق، ووفق الغرض المحدد من التحليل، ومن خلال تحليل العوامل، يستنتج القائمون بالتخطيط حالة اللغة، من حيث درجة

١٤- اعتمد هذا البحث في التصنيف على خمس درجات من الخطورة، وقد اعتمدت وثيقة حيوية اللغات على ست درجات، وقد اقترح كريستال، تصنيفًا على ثلاث درجات، وآخر على خمس درجات، انظر: (كريستال، ٢٠١٤: ٥٠، ٥٣).

التهديد، والخطورة، فإذا كان الخطر شديدًا، فيكون هناك المبرر الواضح للتخطيط، ويتم كذلك تحديد الأولويات في التخطيط وفق هذه المؤشرات، وعلى الرغم من أن ليست كل العوامل السابقة تعنى بالوظائف اللغوية، إلا أن كل هذه العوامل تعد مساندة بشكل مباشر، لقياس مدى قيام اللغة بوظائفها في المجتمع، والوصول إلى حكم بشأن تحديد مستوى التهديد اللغوي. ومن غير تحديد هذه العوامل السابقة يستحيل تحديد الحاجات الملحة للمجتمع اللغوي، ومن ثم تحديد الإجراءات والموارد اللازمة للإنقاذ اللغوي.

ثانيًا - التحليل البيئي الرباعي:

يمثل التحليل البيئي أهم متطلبات تصميم الرؤية الاستراتيجية، ويقصد به تحديد العوامل الخارجية والداخلية الرئيسة التي لها دور هام في تحقيق الأهداف التي تتوخى الخطة تحقيقها، وتحديد الظروف التي تعمل فيها، وكشف القضايا الرئيسة التي لها صلة وثيقة في تحديد نجاح أهداف الخطة، أو فشلها (هاريسون، ٢٠٠٩، الكرخي، ٢٠١٤)، وهناك الكثير من العوامل التي لها تأثير على الشأن اللغوي، سواء تلك التي تنبع من داخل المجتمع اللغوي، مثل موقف المجتمع السلبي تجاه لغته الخاصة، أو تلك العوامل التي تكون نتيجة لظروف خارجة عن النطاق اللغوي، مثل: العوامل الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، وكثيرًا ما تكون الضغوط الداخلية مصدرها في عوامل خارجية، وكلاهما يقف عائقًا أمام انتقال التقاليد اللغوية، والثقافية بين الأجيال، ويتعين الحرص الشديد أن يكون تحليل البيئة مفيدًا، وناجحًا، مما يساعد على صياغة الرؤية، والأهداف في ضوء معطيات التحليل.

والتحليل البيئي الرباعي، هو المعروف بتحليل SWOT، وقد جاء مسمى هذا الأسلوب اختصارًا للكلمات الإنجليزية التالية: Threats and, Opportunities, Weaknesses, Strengths وهو أسلوب يستخدم في التحليل الاستراتيجي من خلال تقييم، وتحليل أربع نقاط رئيسة، والتي تعني بحسب التسلسل: القوة، والضعف،

والفرص، والمخاطر، ويتم التحليل باستعراض مواطن القوة، ومواطن الضعف، في البيئة اللغوية الداخلية، والتي تمثل في هذا البحث:(اللغة ـ المتحدثون)، وتحليل الفرص، والتهديدات في البيئة الخارجية، والتي تمثل في هذا البحث:(السياسات والتشريعات اللغوية، العوامل الاقتصادية، العوامل الاجتماعية).

يتم تحليل SWOT من خلال قسمين رئيسين هما:

أولًا ـ تحليل البيئة الداخلية Analysis Internal ويراد به دراسة أداء جميع الأنشطة التي نعتبرها داخل النطاق اللغوي، وتحديد مجالات (القوة، والضعف) فيها، ولابد من الإشارة إلى أنه، لابد وأن نقتصر في تحديد نقاط القوة، والضعف على ما هو واقع فعال، وحقيقي من نقاط قوة، وضعف (دي ماكين،١٤٢٩هـ:١٠٥،١٠٤).

ثانيًا ـ تحليل البيئة الخارجيةExternal Analysis حيث يتم تحليل الوضع اللغوي الاجتماعي من حيث (الفرص والتهديدات) ويراد به دراسة كل العوامل المحيطة بالبيئة الخارجية لموضوع التخطيط، ويعد عاملًا خارج إطار نشاطها، والذي يؤثر عليها بشكل مباشر، أو غير مباشر، والذي يأخذ بعين الاعتبار الوضع الفعلي والحقيقي، من حيث الفرص المتاحة، والفرص غير المستغلة، والتي يمكن للمخططين الاستفادة منها في تخطيط، وتنفيذ الاستراتيجيات التي تمكنها من أن تصبح أكثر فاعلية. وتمثل الفرص أية ظروف أو اتجاهات خارجية ذات أثر إيجابي، يمكن اقتناصها كفرص للتطور والنمو، عن طريق الأسئلة الآتية: ما هي التغيرات، أو الظروف الخارجية التي يمكن الاستفادة منها في مساعدة اللغة على النمو والتطور؟ ما هي العناصر التي يمكن استغلالها للتقدم والنمو؟ أما التهديدات، فهي أية ظروف، أو اتجاهات خارجية قد تؤثر سلبًا، أو أثرت بالفعل بشكل سلبي في حيوية اللغة، وأمنها، وقد مثلت، أو تمثل مصدرًا لإعاقة اللغة عن القيام بوظائفها، وتمثل مصدرًا للخطر، والتهديد اللغوي، وتتعرض فيها اللغة، وبقاؤها للخطر، وقد تتسبب في إعاقة تنفيذ الخطة (الكرخي، ٢٠١٤)، وذلك من خلال

طرح الأسئلة التالية: ما هي التهديدات والمخاطر المحيطة باللغة؟ و ما هي التغيرات التي أثرت، أو قد تؤثر بشكل سلبي على صيانة اللغة، والقيام بوظائفها؟

ويتعين على المخططين الانتباه الشديد من أجل اقتناص الفرص المتاحة، واكتساب ميزة من خلال الاستفادة منها، والإمساك بها عند ظهورها، والإفادة منها في تحديد الأهداف، وصياغتها، ومن أجل وضع السبل اللازمة لتنفيذ أهداف الخطة. وهنا لابد من الإشارة إلى أنه يتعين على المخططين استخدام معايير ومؤشرات عقلية، والاعتماد على أسس، وأساليب التقييم العلمية في التحليل، وعدم اعتماد مقاييس عاطفية؛ لقياس حجمها الحقيقي، ورصد مصادرها، مع الوضع في الاعتبار المجالات الوظيفية، والقدرات الإدارية.

نماذج (معايير التحليل البيئي):

اقترحت هذه الدراسة عدة معايير تكون أساسًا للتحليل البيئي لهذه الخطة المقترحة، وهي تعتمد على طرح أفكار يمكن للمخطط الإفادة منها، وتعديلها، وتغييرها بحسب الهدف من التخطيط، وبحسب الحالة اللغوية التي تتم دراستها.

المعيار الأول ـ المجتمع اللغوي:

في هذا المعيار يتم جمع بيانات التعداد السكاني، والبيانات الديموغرافية، فيتم التحليل في هذا المعيار بناء على جمع بيانات عن المتحدثين في المجتمع اللغوي، من حيث الكم، والكيف: عدد المجتمع اللغوي، نسبة المتحدثين باللغة، أعمارهم، والمقصود بالعدد هنا، هو عدد المجتمع اللغوي المستهدف كاملًا، أما فيما يتعلق بنسبة المتحدثين، فكما سبق وأشرنا أن المتحدثين، هم الذين يتحدثون اللغة بكفاءة، ويتم احتساب نسبتهم من عدد المجتمع اللغوي كاملًا.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

شكل (٢) نموذج التحليل البيئي لمعيار (المجتمع اللغوي):

التحليل	العامل	القرار الاستراتيجي
أوجه القوة	ـ عدد أفراد المجتمع اللغوي العربي كبير. ـ يوجد متحدثون للغة العربية من جميع الأجيال الأطفال، والآباء، والأجداد.	ـ نشر اللغة وتنشيطها.
أوجه الضعف	ـ قلة نسبة المتحدثين بكفاءة. ـ ضعف نظام تعليم اللغة (لم ينجح في تحقيق الكفاءة اللغوية) ـ اكتساب اللغة بالنسبة للأطفال يبدأ من المدرسة كلغة ثانية، وليست لغة أولى .	ـ رفع كفاءة المتحدثين باللغة العربية ـ تطوير نظم تعليم اللغة العربية.
الفرص	ـ للغة العربية مكانة مقدسة عند أفراد المجتمع اللغوي لارتباطها بالقرآن الكريم والحديث الشريف .	ـ تعزيز المكانة الدينية للغة العربية، وربطها بالهوية.
التهديدات	ـ عدم توفر الموقف الإيجابي لدى أفراد المجتمع اللغوي تجاه لغتهم. ـ قلة الفرص الوظيفية للمتحدثين بالعربية، وحصر الوظائف والأعمال على الأشخاص الذين يتقنون اللغات الأجنبية، مما يعكس قلة الجدوى الاقتصادية . ـ ضعف المكانة الاجتماعية للمتحدثين باللغة، لا يتمتع المتحدث باللغة بمكانة اجتماعية مرموقة. ـ التقليل من شأن مادة اللغة العربية في نظام التعليم، كأن يتمّ وضع مادة اللغة العربية في آخر الجدول الدراسي. ـ التقليل من شأن المتحدث باللغة العربية في الصورة الإعلامية، حيث صورت الكثير من الأعمال الدرامية الذي يتحدث بالعربية كمصدر للسخرية والاستهزاء.	ـ رفع المكانة الاجتماعية للغة العربية. ـ نشر الوعي بأهمية اللغة بين أفراد المجتمع اللغوي. ـ جذب واستقطاب المتفوقين للتخصص في اللغة العربية بحوافز مالية مرتفعة، مقارنة بالتخصصات الأخرى. ـ تعديل صورة اللغة في المواد الإعلامية.

المعيار الثاني - (توزيع الوظائف اللغوية):

يعنى هذا المعيار بتوزيع الوظائف التي تقوم بها اللغة، وخاصة لغة الإعلام بشقيه: التقليدي، والجديد الذي أخذ حيزًا ملحوظًا من حصة الإعلام التقليدي، ومن ثم أضحى أحد الجهات الفاعلة غير التقليدية، وله تأثير غير هين على الشأن اللغوي؛ لأنه يسهم في بناء التخطيط اللغوي من الأسفل إلى الأعلى، وتتجلى خطورته، وشدة تأثيره في تحرره من الحدود الجغرافية (المحمود، ٢٠١٦).

شكل (٣) نموذج التحليل البيئي لمعيار (توزيع الوظائف اللغوية):

التحليل	العامل	القرار الاستراتيجي
نقاط القوة	ـ تقوم اللغة العربية بالوظائف الرسمية المعتمدة، وهي لغة الوثائق الرسمية ـ اللغة العربية هي لغة التعليم الرسمي . ـ تستخدم اللغة العربية في المجالات الحديثة كثيرًا	ـ الإعلان عن سياسة لغوية واضحة و صريحة.
نقاط الضعف	ـ لا يتم استخدام اللغة العربية في التواصل اليومي. ـ لا يتم توظيف اللغة في جميع مجالات التعليم والإعلام. ـ يتم استخدام العاميات بشكلها الشفهي والمكتوب كثيرًا على شبكات التواصل وفي الفضاء الإلكتروني.	ـ إحياء اللغة ونشرها. ـ إصدار قوانين وتشريعات تنظم استخدام اللغة في الإعلام

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الفرص	ـ اللغة العربية هي اللغة الرسمية بنص القانون. ـ اللغة العربية هي إحدى اللغات الرسمية في الأمم المتحدة وعدد من المنظمات الدولية الأخرى.	ـ تفعيل القوانين والسياسات اللغوية ومتابعة تنفيذها .
التهديدات	ـ ليست هناك سياسة لغوية واضحة وصريحة لحماية اللغة وصيانتها. ـ اعتماد اللغات الأجنبية كلغات أساسية في بعض المؤسسات . ـ استخدام اللغات الأجنبية بشكل أساسي في التعليم في كثير من التخصصات .	ـ الإعلان عن سياسة لغوية واضحة و صريحة. ـ التخطيط للمحافظة على اللغة. ـ تعريب العلوم.

المعيار الثالث ـ توفر الوثائق اللغوية وجودتها:

يعنى هذا المعيار بتوفر المواد اللغوية، وهي تشمل: المواد التعليمية، والمواد العلمية، والثقافية ، ومدى ثراء اللغة، وإصداراتها، وتغطيتها لجميع الأنواع السابقة ، ولجميع المستويات التعليمية، والثقافية، ولجميع الأعمار: الأطفال، والكبار، كما يعنى بمدى جودة هذه الوثائق، ويتم تحديد عينات تمثل جميع الأنواع السابقة، وتغطي جميع الاهتمامات الثقافية المختلفة، بما في ذلك الإصدارات المترجمة، فيجب أن يعمل المخططون "على جمع عينة لغوية قابلة للدراسة الكمية، والكيفية، فالمدونات يمكن أن تمثل نوعاً لغويًا معينًا في فترة زمنية معينة" (المحمود، ٢٠١٦: ١٧٨).

شكل (٤) نموذج التحليل البيئي لمعيار (توفر الوثائق اللغوية وجودتها):

التحليل	العامل	القرار الاستراتيجي
نقاط القوة	ـ تتوفر الوثائق اللغوية، والتعليمية، لجميع المستويات التعليمية . ـ تتوفر الوثائق اللغوية لبعض التخصصات العلمية . ـ تغطي الوثائق اللغوية كثيرًا من الاهتمامات الفكرية والثقافية.	ـ تعريب العلوم. ـ توسيع حركة الترجمة، وتشجيع الإصدارات الأدبية.
نقاط الضعف	ـ جودة الوثائق اللغوية التعليمية لا تفي بالأغراض التعليمية، ولا تحقق المخرجات، وليست محدثة. ـ الإصدارات لا تغطي الاحتياجات الثقافية لجميع الأعمار، ولجميع الاهتمامات والاتجاهات للقراء. ـ معظم الإصدارات العلمية باللغات الأجنبية.	ـ حظر التأليف باللهجات الدارجة. ـ تطوير المواد اللغوية التعليمية. ـ تطوير المواد اللغوية.
الفرص	ـ وجود جهات لتشجيع البحث والتأليف والنشر في مجال اللغة وتجديدها.	ـ دعم حركة التأليف والنشر، والجهات المنوط بها النهوض بهذا الشأن.
التهديدات	ـ عدم وجود التحفيز والدعم الكافي للنهوض بالبحث اللغوي والتأليف. ـ انخفاض مستوى نظام تعليم للغة.	ـ دعم وتحفيز الباحثين اللغويين والمشتغلين بالتأليف.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

المعيار الرابع ـ المكانة الاجتماعية للغة العربية:

ويقصد به موقف المجتمع اللغوي تجاه اللغة، ومقدار ما تتمتع به اللغة من تقدير، وثقة، وفخر.

شكل (٥) نموذج التحليل البيئي لمعيار (المكانة الاجتماعية للغة العربية):

التحليل	العامل	القرار الاستراتيجي
أوجه القوة	ـ اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف. ـ اللغة العربية هي لغة التراث الديني والحضاري الغني. ـ أهمية العربية في تحقيق وحدة الدول العربية المختلفة.	ـ دعم وتحفيز حفظ ودراسة القرآن الكريم.
أوجه الضعف	ـ ضعف الأداء اللغوي لدى المتحدثين باللغة	ـ رفع كفاءة المتحدثين باللغة العربية.
الفرص	ـ للغة العربية مكانة مقدسة في نفوس المسلمين، الذين يمثلون الأغلبية من المجتمع اللغوي العربي.	ـ تعزيز الهوية اللغوية لدى أفراد المجتمع اللغوي.
التهديدات	ـ اللغة العربية لا تتمتع بمكانة اجتماعية تتناسب مع مكانتها المقدسة.	ـ رفع المكانة الاجتماعية للغة العربية.

بعد الانتهاء من إدراج معايير التحليل البيئي، يتم تحليل وتقييم البيانات، من قبل المتخصصين في الإدارة والتخطيط، وذلك من خلال تحديد درجة أهمية نقاط القوة، والضعف، والفرصة، أو التهديد، ثم تحديد درجة التأثير السلبي، أو الإيجابي، ثم يتم حساب وزن الفرصة، أو التهديد (الأهمية في التأثير).

ـ المبحث الثالث: صياغة الاستراتيجية

إن صياغة الاستراتيجية هي المهمة الكبرى للمخططين؛ لذلك لا بد وأن يكون المسؤولون عن هذه المرحلة في التخطيط من المتخصصين في الإدارة والتخطيط نظرًا وتطبيقًا، ولا يتم إسناد هذه المهمة إلى المنظرين، يقول الختلان: " إن الذي تعانيه العربية في رسم خططها، هو عدم وضوح الرؤية عند راسمي الخطط، إذ إنهم في الغالب من المنظرين الذين يعنون بالأفكار العامة، والرؤى الكبرى، أو يوغلون في تفاصيل كثيرة، يلهي بعضها عن بعض، ويصاحبهم في هذا أصحاب القرارات الذين يصدرون القرار؛ اعتمادًا على ما يذكره المنظرون" (الختلان، ٢٠١٧: ٨٨).

أولاً ـ صياغة الرؤية الاستراتيجية:

إن أهم مؤشرات النجاح في صياغة الرؤية: أن تصور الشكل النموذجي المأمول في خلال مدة عشرة أعوام، مثلًا، وصورة المستقبل التي ترسمها الرؤية، هي التي تمنح الحيوية، والإلهام للمخططين، وتعكس أفضل النتائج التي تريد الخطة تحقيقها، وتخلق الدوافع، والقوة، والإبداع؛ لتحقيق أفضل النتائج الإيجابية في ظل القيم المجتمعية العامة، ومن خلال القواعد التنظيمية التي تحكم التخطيط، والتنفيذ، فالغرض من الرؤية هو فتح الأبصار على ما هو ممكن، فهي حجر الزاوية في بناء استراتيجية الخطة الناجحة.

ويراعى في صياغة الرؤية أن تتكون من بضع كلمات، تصف تلك الصورة التي يتم التنبؤ بها، ويشترط في صياغة الرؤية الناجحة أن تكون مختصرة، وحسنة الصياغة، ومفهومة، وبسيطة، وواضحة، ولا بد أن تكون واقعية، أي: ممكنة التحقيق، وليست

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

خيالية، وأن تكون متحدية، وجريئة، تدعو للتغيير نحو الأفضل، ومتوقدة تثير الهمم، وتعبئ الطاقات، وتستطيع أن تدفع كل فرد فيها للعمل ضمن فريق التخطيط؛ لبلوغ تلك الصورة المستقبلية، وأن تكون موجهة: أي ترسم التوجهات نحو المستقبل، وتقود الخطة نحو أهدافها، وأن تستمد أصولها من ماضي المجتمع المستهدف، وحاضره (الكرخي، ٢٠١٤).

ويجب التنبه إلى عدم اجترار الماضي؛ لحل مشكلات الحاضر، والاعتماد على نجاحات، ورؤى سابقة مهجورة، فإنه غالبًا لا تصلح حلول الماضي للتعامل مع مشكلات الحاضر، والمستقبل، ولا شك أن الصياغة الجيدة للرؤية تدفع إلى ابتداع الأفكار، والوصول إلى الحلول الفاعلة لتحقيق الخطة، ويتكون نص الرؤية من مقطع حيوي فاعل، تتلخص فيه ضرورات هذه الرؤية، وفاعليتها، يسهل فهمها من قبل أي شخص يقرؤها، وكلما كانت الرؤية واضحة ودقيقة، كلما أعطت صورة أوضح للتصورات الذهنية لها؛ كي تشاهد الأهداف البعيدة المدى التي يتعين أن تسعى إليها (البريدي، ٢٠١٣، الكرخي، ٢٠١٤).

الرؤية المقترحة: (اللغة العربية الموحدة هي اللغة الأم، وهي اللغة الأولى للمجتمع اللغوي، تقوم بجميع الوظائف الاجتماعية للغة من قبل جميع الأجيال، من قبل مجتمع لغوي متماسك، يتمتع بكفاءة لغوية تواصلية، فخور بلغته، واع بأهميتها).

ولا بد وأن نضع في الأذهان عند صياغة الرؤية، بأن الغرض منها ليس وضع هدف واقعي متطابق مع الأمر الواقع؛ بغية تحقيق النجاح، بل إن ذلك متروك للأهداف الاستراتيجية، وهذا لا يعني مطلقًا أن الرؤية تحلق بالهواء، وتبتعد عن الواقع، لكنها تتطلب شيئًا من الطموح الذي يحتاج إلى قدر من الخيال، الذي يسانده الإصرار على الوصول إلى مستقبل أفضل، وعلى الرغم من أن بعض الرؤى كانت طموحة جدًا عندما ظهرت، بل بدت، وكأنها ضرب من ضروب الخيال، ولكن هذا الخيال أصبح حقيقة [١٥]، وهناك من يؤكد على أهمية توفر قدر من الخيال في صنع المستقبل، فيقال إن المعرفة تتيح

١٥- فعندما طرحت شركة المايكروسوفت رؤيتها في الثمانينيات والتي تتلخص في (حاسوب شخصي في كل منزل والجميع سيستخدمون برامج مايكروسوفت) رأى الكثير بأن هذه رؤية غير واقعية عندما تقول سيكون في كل منزل حاسوب شخصي، وأن كل واحد سيستخدم لمايكروسوفت، ولكن هذه الرؤية كانت تحتوي ضمنًا آفاق مفتوحة أمام التطور.

رؤية الأشياء كما هي، بينما يدعو الخيال إلى رؤية الأشياء كما يجب أن تكون؛ لأن الخيال أكثر قوة من المعرفة، ويقول براون ليس Brown Less : "انطلق نحو القمر، حتى لو أخطأت، فإنك لا تزال بين النجوم" (الكرخي، ٢٠١٤: ١٣٧).

ثانيًا ـ صياغة الأهداف الاستراتيجية Strategic Goals: (هاريسون، ٢٠٠٩، البريدي، ٢٠١٣)

الهدف الاستراتيجي: يمثل النتيجة النهائية التي تسعى الخطة إلى تحقيقها في المدى الطويل (حدود عشر سنوات)، وهو الهدف المبدئي الذي لا يمكن التخلي عنه، ولكنه يتسم بقدر كبير من المرونة. وأغلب التعريفات التي تتناول مفهوم التخطيط اللغوي تنص على أن الهدف الرئيس من التخطيط هو تمكين اللغة من القيام بوظائفها اللغوية، وأن التخطيط اللغوي يعني الجهود المستمرة الطويلة الأجل، بهدف تغيير لغة ما، أو بهدف تغيير وظائف تلك اللغة في المجتمع؛ من أجل إيجاد حلول للمشاكل المتعلقة بالاتصال، والتفاهم بين أفراد المجتمع، وبالتالي تظهر أهمية وظائف اللغة باعتبارها أسبابًا، وأهدافًا للتخطيط اللغوي، وأن أغلب علماء التخطيط اللغوي، يؤكدون العلاقة التعاضدية بين التخطيط اللغوي، وقيام اللغات بالوظائف المسندة إليها، (كوبر، ٢٠٠٦، و دليلة،٢٠١٣). ونجمل أهم أهداف الخطة المقترحة بما يلي:

١ ـ **التقييس اللغوي Language standardization**: (وهيب، ٢٠١٧) ويعني اختيار النمط اللغوي المحدد كمعيار، ودعم المعيار المقصود بالتخطيط اللغوي، وتفعيله، سواء على مستوى التخطيط الوضع القانوني (المنزلة القانونية)، ويتم ذلك من خلال تعديل الأوضاع القانونية للغة، والإعلان عن سياسات لغوية واضحة، ومتابعة تنفيذ هذه السياسات اللغوية [١٦]، أو على مستوى (البنية اللغوية) بتقنين المعيار اللغوي علميًا، وعمليًا.

١٦- وهنا ينبغي التنبيه أن من واجب الحكومات التدخل فقط في الوظائف اللغوية التي لها علاقة بالاستعمالات الوظيفية الرسمية، أو الوظيفة التعليمية...الخ، أما الوظائف اللغوية المتعلقة بلغة التواصل اليومي، فمن الأفضل أن ينحصر دور الحكومات على تقديم الدعم والتوجيه، وأن يكون التغيير نابعًا من المجتمع ذاته من القاعدة إلى القمة.

٢ ـ تطوير البنية اللغوية (Language Corpus: Keranen ,2018) ويتضمن جميع الجهود المبذولة لتطوير اللغة داخليًا، من خلال: تحديث المفردات Lexical modernization ، أو تكييفها، لتتناسب البنية اللغوية مع المفاهيم، والأفكار المقترضة من اللغات الأخرى، رغبة في حفظ اللغة، ونقائها من الدخيل، والتبسيط الأسلوبي (stylistic simplification)، ويقصد به الجهود المبذولة لتوضيح، وتيسير الاستخدام المعجمي، والتركيبي والأسلوبي للغة؛ ليسهل بها التواصل لأغراض مختلفة، منها: التواصل اليومي، أو في مجال مهني معين؛ لتيسير التواصل بين أصحاب الاختصاص وغيرهم [١٧]، ويلحق بتطوير البنية، توفير المواد اللغوية التي تطبق قوانين التطوير، وتجسده كلغة مستخدمة، لا تقتصر في شكل وجودها على عدة معاجم، ومواد لغوية مكتوبة، ربما لا يحسن تطبيقها، أو الاستفادة منها عمليًا على أرض الواقع، كما هو الحال عليه الآن، كما يشمل تحسين الوثائق، وتجديد اللغة، وتحديث وتطوير المواد اللغوية التي تستخدم في التعليم .

٣ـ نشر اللغة Language dissemination: وهي تلك الجهود المبذولة لنشر اللغة بين أفراد المجتمع، بتنشيطها، وزيادة عدد المتحدثين بها، ورفع مستوى الكفاءة للمتحدثين باللغة العربية، وتطوير تعليمها، واكتسابها.[١٨]

٤ـ صيانة اللغة: Language Maintenance تشير إلى الجهود المبذولة للحفاظ على اللغة، من العوامل التي تمثل خطرًا عليها، أو تؤدي إلى تراجع مكانتها؛ كوسيلة للتواصل في المجتمع، وذلك مثل جهود التنقية اللغوية التي تهدف إلى الحفاظ على البنية اللغوية من العوامل الداخلية، مثل الازدواجية، ومن العوامل الخارجية، مثل تأثير اللغات الأجنبية، فتحمي اللغة من الانحراف، والشوائب، والدخيل، وتعمل على حماية الصفاء، والنقاء اللغوي من تأثيرات اللغات الأخرى.

١٧- على سبيل المثال أصدرت أنظمة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية والدنمارك لكتابة العقود البنكية بلغة مفهومة وسهلة لا تستخدم المصطلحات التخصصية التي تخفى على غير المختص،

١٨- مع ملاحظة أن استخدام العاميات،أو اللغات الأجنبية غير مرفوض نهائيًا، ولكن الأهم هو اكتساب اللغة، وإجادتها، فالثنائية والازدواجية في حد ذاتها ليست وحدها سببًا في التحول اللغوي، بحسب تجارب التخطيط اللغوي، انظر على سبيل المثال: (Ager, 2005) .

٥ـ **رفع وتحسين المكانة الاجتماعية للغة Language Prestige**: وهي بذل جهود؛ لتعزيز مكانة اللغة بين أفراد المجتمع، وتغيير صورتها السلبية، والعمل على دعم المواقف الإيجابية تجاه اللغة.

وكما نلاحظ في جميع أهداف التخطيط اللغوي السابقة، أن هدف تمكين الوظائف اللغوية يعد هدفًا مشتركًا، وإن كان يأخذ الطابع الضمني في كثير منها، ولكنه حجر الأساس في جميع أهداف التخطيط.

ونؤكد على أن هذه الأهداف تم اقتراحها كنموذج، وتعد هذه الأهداف استرشادية، فقط.

ثالثاً ـ الفجوات:

الفجوة هي الفرق بين الحالة اللغوية الحالية، والحالة اللغوية المستهدفة، والذي تطمح الخطة في الوصول إليها في المستقبل، فهي الأداة التي تساعد المخططين على مقارنة الأداء الفعلي مع الأداء المحتمل، وتحديد، وتوثيق، واعتماد الفرق بين متطلبات العمل، والقدرات الحالية، وتحليل الفجوة يوفر الوقت والجهد اللازم لتحقيق الوضع المرغوب،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أو المستهدف، وذلك بعد تحديد معالم الوضع الحالي (هلال، ٢٠٠٨).

والشكل التالي يوضح نموذجًا لتحليل الفجوات في الوظائف اللغوية.

شكل (٦) نموذج تحليل الفجوة:

البند	الوضع الحالي	الوضع المراد تحقيقه	الفجوة
الوظائف اللغوية	تستخدم اللغة العربية في عدد من الوظائف فقط.	تمكين اللغة العربية من القيام بجميع الوظائف الاجتماعية للغة .	ـ استخدام اللغة العربية في التواصل اليومي. ـ استخدام اللغة العربية في التعليم. ـ استخدام اللغة العربية في جميع المؤسسات. ـ استخدام اللغة العربية في جميع وسائل الإعلام.

شكل (٧) توزيع الأنماط اللغوية على الوظائف اللغوية (الوضع الحالي)

الوظيفة	اللغة الرسمية	التواصل الشفهي	لغة الإعلام			الوظيفة الدينية	لغة التعليم		الخدمات
النمط			البرامج التلفزيونية الحوارية	البرامج الإخبارية	الوسائط والانترنت		المكتوب	المنطوق	
الكلاسيكية						+			
العربية الحديثة	+			+	+		+	+	+
اللهجات		+	+		+			+	
اللغات الأجنبية		+			+		+	+	+

(٨) توزيع الأنماط اللغوية على الوظائف اللغوية (الوضع المستهدف)

الوظيفة / النمط	اللغة الرسمية	التواصل الشفهي	الإعلام بكل أشكاله	الوظيفة الدينية	التعليم المكتوب والمنطوق	الخدمات
الكلاسيكية				+	+	
العربية الحديثة	+	+	+		+	+
اللهجات		+				
اللغات الأجنبية					+	+

المبحث الرابع: تنفيذ الاستراتيجية

أولاً: صياغة المشاريع: إن عملية تنفيذ الاستراتيجية التي تم التوصل إليها تمثل التحدي الأكبر، والأكثر صعوبة الذي يمكن أن يواجه الفرق المسؤولة عن التنفيذ في مراحل التخطيط الاستراتيجي، وهي أصعب كثيرًا من مرحلة صياغة الاستراتيجية؛ حيث تتطلب خبرة، ووقتًا، وجهدًا أكبر؛ وذلك لتعدد الأبعاد الإدارية، والتنظيمية، والتي يجب المواءمة بينها، والتنظيم معها؛ لكي تنجح عملية التنفيذ، فصياغة المشاريع تمثل تصور الفعل التنفيذي الذي يعقب الفعل التخطيطي، فبعد أن تتم صياغة الرؤية الاستراتيجية، وتحديد، وصياغة الأهداف الاستراتيجية، وتحديد الفجوة (الثغرات)، تبدو الأمور أكثر وضوحًا للقائمين بالتخطيط الاستراتيجي، حيث يتم وضع تصور

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

للمشاريع اللازمة؛ تمهيدًا للدخول في مرحلة التنفيذ.

يتم تحويل الأهداف الاستراتيجية التي تتسم بالعمومية، إلى ما يعرف بالهدف التكتيكي: الذي يعبر عن النتائج التي تسعى الخطة إلى تحقيقها في الأجل المتوسط، وهي تعد أكثر تحديدًا، ويجب في صياغتها مراعاة اتباع استراتيجية التركيز concentration (strategy)/ Focus (هلال، ٢٠٠٨)، وهو التركيز على مجال محدد، أو نشاط واحد، أو التوجه إلى مجموعات محددة من المستهدفين، ويشتق الهدف التكتيكي من الهدف الاستراتيجي؛ ليحوله إلى إجراءات، ونتائج، يتم تحقيقها عن طريق صياغة (مشروعات)، وتتم صياغة المشاريع في مجالات محددة تخدم الرؤية، وتحقق أهدافها، وهي غير مقصودة لذاتها، وإنما لخدمة الأهداف الاستراتيجية، وتمثل الوسيلة التي تتمكن الخطة من خلالها تحقيق الهدف الاستراتيجي.

ونستطيع تعريف المشروع بأنه: جزء من النتيجة الرئيسية Outcome، ويكتب بصيغة أكثر تحديدًا منها، حيث يمثل كل مشروع ناتجًا نهائيًا قابلا للقياس، عن طريق سلسلة من الأنشطة، أو المهام التي لها أهداف محددة، وهو مقيد بزمن، أي له تاريخ بداية، وتاريخ نهاية، ويستلزم لتنفيذه مصادر للتمويل، ومجموعة من المنفذين ذوي اختصاصات مختلفة، ومواصفات محددة، وبما أن المشاريع هي وسائل لتحقيق النتيجة الرئيسية التي تنضوي تحته، فهي تصف: ما الذي يمكن تنفيذه لتحقيق الخطة؟ وكيف يمكن التنفيذ؟ فهي ـ كما ذكرنا ـ تشير إلى النتائج المراد تحقيقها، والتي تخرج بها الأنشطة؛ ولهذا فهي تعتبر أساسًا؛ لما يطلق عليه الخطة التشغيلية (الكرخي، ٢٠١٤).

إن تحقيق المشروع Project يتطلب توفير البيئة المناسبة له، بما في ذلك تعبئة الموارد، وحشد المهارات، والمعارف والخبرات، وغير ذلك، وأن يراعى جميع الإمكانات المتاحة بواقعية بعيدًا عن خداع النفس، ولا ينسب المخططون لأنفسهم قدرات وهمية أكبر من حجمهم، وإمكاناتهم الحقيقية، ولابد أن يراعى عند صياغة للمشروع أن يكون واضحًا، وسهلًا، ومفهومًا، كما يجب تجنب أي غموض قد يؤدي إلى ضياع المهمة التي يرمي

إليها، ولابد له أن ينقل النتائج المطلوبة بدقة، وعند صياغة المشروع ينبغي مراعاة تحديد المكونات الرئيسة للمشروع، وهي: هدف المشروع، والذي يعبر عن التغييرات المتوقعة، وتاريخ المشروع، والفئة المستهدفة، وفريق التنفيذ، وتحديد الإجراءات، أو الأنشطة، والمؤسسات الداعمة، وتحديد الميزانيات، والعدد المتوقع من المستفيدين، أو نسبتهم، ونطاق تنفيذ المشروع، وأساليب المتابعة، والتقييم عن طريق وسائل قياس التغييرات (المؤشرات) (الكرخي، ٢٠١٤).

وأهم مكون من مكونات المشروع، هي الأنشطة، والمهام التي تقع حيز التنفيذ، فهي تمثل ما يطلق عليه الهدف التشغيلي: والذي يعبر عن النتائج التي تسعى الخطة للوصول إليها، من خلال الإمكانات المتاحة والممكنة، ولتحقيق المتطلبات المرحلية للعمل، وهو دائمًا يكون هدف (نشاط) قصير الأجل (سنة واحدة)، ودائمًا ما يكون أكثر تفصيلًا وتحديدًا، كما سبق وأشرنا، وهنا يجب التنبيه إلى أنه يجب التمييز بين الأنشطة، أو المهام التي يتم القيام بها مرة واحدة؛ من أجل تحقيق هدف محدد، بوصفها جزءًا من مشروع محدد بزمن، كون المشروع أمرًا مؤقتاً لمرة واحدة، وبين ما تتسم به العمليات الإدارية، أو التشغيلية التي تجري بشكل دائم، أو شبه دائم، من أجلِ الوصول إلى نفس النتيجة بشكل مستمر.

وتسهم المشروعات المندرجة تحت النتيجة الرئيسية المعنية مجتمعة في إنجاز تلك النتيجة، وتحقيق الهدف المحدد، فيتم تحديد المشروعات المختلفة المقترحة كجزء من الخطة التنفيذية.

ثانيًا: نماذج لمشاريع مقترحة مدمجة لتنفيذ أهداف الخطة:

يبنى المشروع بصورة مباشرة على النتائج الرئيسة، حيث تعبر النتيجة الرئيسة على قضية هامة. وعلى أساس النتيجة الرئيسة، تتم صياغة مشروع، أو عدة مشاريع، والتي بإنجازها يتحقق الهدف. ونمثل لاشتقاق المشروع من الهدف، بأنه إذا كان لدينا هدف رئيس، هو:

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

تطوير البنية اللغوية، فبذلك يمكن صياغة عدة مشاريع؛ لتحقيق هذا الهدف على أرض الواقع. ويمكننا أن نطلق على هذا النوع من المشاريع، (مشاريع معرفية knowledge objectives): والتي تعنى بتنمية المعارف والمهارات، وتتطلب لتنفيذها مجموعة من اللغويين المتخصصين، تحت إشراف ودعم بعض المؤسسات، مثل: المؤسسات التعليمية، والمؤسسات البحثية، والمؤسسات الحكومية، ويمكن اقتراح عدة مشاريع لتحقيق ذلك الهدف:

١ـ **مشروع تطوير المواد اللغوية التعليمية (النظام النحوي)**: من المعروف أن المواد التعليمية الخاصة بتدريس النحو، تعتمد على القواعد النحوية التي وضعت من أكثر من ألف عام، ولم يحدث فيها تطوير يذكر، وقد ثبت عدم فاعليتها في تمكين الطلاب من تطبيق القواعد، كما ثبت بعدها عن الممارسة، والتطبيق، فكان لابد من صياغة مشروع، يهدف إلى تطوير القواعد النحوية.

٢ـ **مشروع التبسيط الأسلوبي**: ويعني بذل جهود منظمة، وموجهة؛ لتوضيح الاستخدام المعجمي، والتركيبي، والأسلوبي، فيما يخص الاصطلاحات الخاصة بكل مجال مهني، أو عملي، بتحديث اللغة، وجعلها أداة طيعة للاتصال، في كل المجالات المهنية والعملية، ومن صور هذا التخطيط: لغة الإعلام، ولغة المهن، ولغة البنوك...الخ .

٣ـ مشروع تطوير المواد اللغوية التعليمية (مقررات اللغة العربية لمرحلة ما قبل الجامعة):

من المعروف أن تعليم اللغات سواءً في المدارس، أو غيرها، يهدف في الأساس إلى تمكين الطلاب من الكفاءات التواصلية اللغوية: قراءةً، وكتابةً، وتحدثًا، واستماعًا، ومن الملاحظ أن مقررات اللغة العربية لا تحقق هذا الهدف على الإطلاق، وأن تطبيقاتها لا تزيد على أن تطلب من الطالب تركيب جمل محدودة طيلة سنواته الدراسية، ليمثل بها على قاعدة، ولا تهدف إلى تمكين الطلاب من الكفاءات التواصلية، مما يوضح غياب الهدف الرئيس لاستخدام اللغة عند وضع هذه المقررات، فينبغي مراجعة المقررات على ضوء

الهدف من تعلم اللغات.

ثالثًا: نموذج لصياغة مشروع بعنوان (رفع مستوى الوعي بالمكانة الاجتماعية للغة):

نمثل الآن لصياغة أحد المشاريع التنفيذية، فإذا كان لدينا هدف رئيسي ينص على ما يلي: رفع المكانة الاجتماعية للغة العربية، فإن من أهم أسباب انخفاض مكانة اللغة العربية، هو انخفاض مستوى الوعي بأهمية اللغة، وعلاقتها بالهوية، وعدم التنبه إلى ضرورة الحفاظ عليها، فبذلك يمكن اقتراح مشروع، وتكون صياغته: رفع مستوى الوعي بمكانة اللغة العربية، ويمكننا أن نطلق على هذا النوع من المشاريع، المشاريع السلوكية Behavioral Objectives ، والتي تعكس ما يتوقع عمله في ظل الخطة الاستراتيجية من تغييرات في المواقف، والأبعاد الاجتماعية، والسلوكيات، والاتجاهات الشخصية، والجمعية.

التعريف بالمشروع : إن إدراك المواقف اللغوية أمر بالغ الأهمية في بناء سياسة لغوية فاعلة، وإن المبادرات المنطلقة من تشكيل المواقف الإيجابية تجاه اللغة في المجتمع لها أهمية قصوى للغاية؛ لأنها تساعد على تشكيل أرضية خصبة تقود إلى تغيير السلوك اللغوي في المجتمع، ويسعى هذا المشروع لإحداث تغيير في الحالة الاجتماعية، والمواقف بشكل عام تجاه اللغة، والتي تكون متأثرة بالقيم والمعتقدات، والعواطف اللغوية، ويمكن أن تنعكس في السلوك اللغوي. ولابد من الاستفادة من معطيات تخطيط الصورة، كمرحلة في تشكيل الهوية، مما يعزز مكانة اللغة، وزيادة الثقة فيها، وكذلك الاستفادة من معطيات تخطيط المكانة الاجتماعية، كتغيير في المواقف (كريستال، 2014، Ager, 2005)، ويترتب على تغيير هذه المكانة تغيير في الوظائف التي يتم استخدام اللغة فيها.

الهدف العام من المشروع: تغيير الصورة الذهنية للغة العربية، وتغيير مواقف المجتمع

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اللغوي تجاه اللغة، وانعكاسه في السلوك اللغوي.

الأسباب والدوافع: يأتي تعديل صورة، ومكانة اللغة العربية كأولوية قصوى؛ حيث إن اللغة العربية لا تتمتع بمكانة مرتفعة بين كثير من أعضاء المجتمع اللغوي، بناءً على الصورة المغلوطة في أذهان المجتمع عن لغتهم، ولابد من استدعاء ثلاثة مصطلحات ذات صلة بهذه القضية، هي: الصورة، والمكانة، والهوية، فالصورة هي نسخة غير واقعية للهوية شبه الواقعية في المجتمع، وتعديل الصورة يتطلب التأثير على العاطفة، مثل ما يحدث في التسويق التجاري[19]، فتحسين الصورة اللغوية يؤدي إلى تحفيز الشعور بالهوية، ويؤدي بالتالي إلى رفع مكانة اللغة في المجتمع، وهنا ينبغي تحري الحذر، والدقة في تحديد صورة تلك الهوية التي يجب أن يتم إنشاؤها في أذهان المجتمع اللغوي، والتي يمكن أن تكون إيجابية، أو سلبية، مرتفعة، أو منخفضة، حديثة، أو قديمة الطراز، فالحفاظ على اللغة لا يعني الحفاظ على كل ما هو قديم الطراز، حتى ولو لم يكن ذا فائدة، ولا يعني الحفاظ على اللغة، ورفع مكانتها، أن يُرفض التجديد، ولا يعني الصورة المثالية التي ترسم في أذهان المجتمع عن اللغة، أنها مرادفة للتجمد، وعدم قبول التجديد. ولكن رسم الصورة لا بد أن يكون فيه إبداع، يستمد من الجذور، ولكنه يصل إلى عنان السماء، و في حاجة إلى تعديل المواقف، حتى المواقف التي تؤيد اللغة بشدة، وترفض التجديد، تحتاج إلى تعديل؛ لذلك يجب على المخططين تغيير الصورة التقليدية المتجمدة لدى المجموعة عن هويتها اللغوية. وفي الحقيقة نجد أن تخطيط المكانة، وتخطيط تعديل الصورة، أو الهوية يتم اعتباره (تخطيطًا حقيقيًا)،لأنه نوع من التخطيط للتغيير الاجتماعي، والتعديل في المواقف والسلوكيات، وتعزيز الشعور بالهوية للأشخاص، والمجموعة اللغوية. وهنا ينبغي الإشارة إلى أن تخطيط الصورة وإن كان يعتمد على العاطفة، فإن له تأثيرًا طويل الأجل، وبالتأكيد إن رفع مكانة اللغة في نفوس أبنائها، وتكريس شعورهم بقيمتها، وأهميتها، يساهم في صيانتها، ويؤثر بشكل مباشر في إسناد الوظائف للغة في المجتمع، وقدرتها على ذلك .

١٩ - من أمثلة تأثير تغيير الصورة، وذلك مثل تغيير صورة المنتج، مثل ما فعلت شركة (كوكا كولا)، بحيث ترتبط Coca-Cola بالأنشطة الرياضية الرائعة في إعلاناتها الترويجية، وكذلك ربط Marlborough بنمط حياة رعاة البقر، والحياة في الهواء الطلق، انظر: (Ager, ٢٠٠٥)

مقومات نجاح المشروع:

إن النجاح في تحقيق أهداف هذا المشروع، يقاس بنجاحه في مدى جذب، وكسب الدعم المحلي من المجتمع اللغوي، ويعتمد على مدى رفع، وزيادة الوعي لدى الفئة المستهدفة، كما يتعلق بالنجاح في التأثير على السلوك اللغوي، وتعديل المواقف، واستقبال هذا الاتجاه الإيجابي من قبل الجمهور المستهدف، وكذلك أيضًا في قبول، أو رفض جهود التخطيط، وأهمها جهود نشر اللغة، وتنشيط استخدامها في الوظائف التواصلية المختلفة، وتعزيز المواقف الإيجابية للمجتمع، ولابد أن نشير إلى أن المحاولات غير الناجحة أيضًا تؤثر في رفع الوعي، والمكانة اللغوية.

الفئة المستهدفة:

- تحديد الفئات الاجتماعية المستهدفة بالتخطيط.
- معرفة قدراتهم، وإمكاناتهم.
- معرفة حاجة الفئة المستهدفة من المقدار اللغوي، ونوعه.
- نماذج لبعض الأنشطة التي تهدف إلى تعزيز النظرة الإيجابية للغة ورفع الوعي، وتحسين الصورة.
- القيام بمبادرات توعوية، وهو ما يعني الاستفادة القصوى من وسائل الإعلام، وقيام الحملات الدعائية المناسبة (كريستال، ٢٠١٤) وإنتاج أعمال فنية، تهدف إلى معالجة صورة اللغة، وتحسينها .
- إنشاء منتديات لغوية، للتحدث والاستماع إلى اللغة، سواء بين الأصدقاء والأقارب،
- والفنانين، والأدباء، والمهتمين.
- إقامة المهرجانات المتنوعة: الثقافية، والتراثية، والتي تتضمن أنشطة ثقافية مختلفة وجذابة.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

- التغطية الإعلامية، وطباعة ونشر المطويات، والإعلانات، ونشر الجداريات.
- القيام بقوافل توعية متنقلة، بهدف تغيير الأفكار تجاه المواقف السلبية الشائعة تجاه اللغة، تتمتع بعوامل جاذبة للجماهير.

المنفذون:

فرق للتسويق والاتصالات، الإعلاميون، الفنانون، الأدباء والشعراء.

الجهة الداعمة :

المؤسسات الحكومية، والثقافية، والإعلامية، والفنية، والترفيهية.

المدة الزمنية للمشروع:

عام كامل، ويطلق عليه شعار(عام: لغتي هويتي).

الحدود المكانية:

منطقة جغرافية محددة.

المتابعة وقياس الأثر:

تعد المتابعة للخطة التنفيذية أمرًا بالغ الأهمية، لذلك يجب وضع آلية دقيقة، وفاعلة للمتابعة لضمان استمرارية العمل، وخاصة في الشأن اللغوي، فاللغات بطبيعتها تتغير باستمرار، فلا بد من التتبع الدقيق لمدى التقدم في تنفيذ الخطة، في كل مرحلة من مراحل تنفيذها.

قبل بداية المشروع يتحتم على المخططين القيام باستطلاعات للرأي في البيئة اللغوية المستهدفة مع أعضاء المجتمع اللغوي لقياس، وتحديد ما يأتي: الفئات الاجتماعية، وتصنيف مواقفهم تجاه اللغة، من حيث: أهميتها، مكانتها، علاقتها بالهوية، وقيامها بوظائفها، وكذلك من حيث مواقفهم تجاه التخطيط لها، ويتم من خلال قياس تلك المؤشرات، رصد ما يلي: الفئات المعادية بشكل صريح لتنشيط اللغة،الفئات المحايدة،

الفئات المؤيدة للتنشيط، الفئات المؤيدة للتنشيط بقوة، وكذلك رصد مستويات الوعي والثقافة، وعلاقتها بالمواقف تجاه اللغة، ثم يتم تتبع مدى التطور، ومدى استجابة الفئات المستهدفة عبر زمن تطبيق المشروع، ويذكر المحمود أن «التتبع الدقيق لبيانات الإحصاء خلال إطار زمني معين يمكن أن يكشف بكل وضوح مدى نجاح، أو إخفاق ذلك التخطيط اللغوي بالإضافة إلى ربط ذلك بأبعاد أخرى تظهرها البيانات الإحصائية» (المحمود، ٢٠١٦: ١٩٣، وانظر: الخثلان، ٢٠١٧).

ويلزم على المخططين وضع أدوات محددة لقياس الأثر، وبعد تنفيذ المشروع، يتم عمل استطلاعات أخرى لقياس مدى ارتفاع نسبة الوعي، وكسب الدعم، ورصد مدى التغير في المواقف على مدار الزمن المخصص لتنفيذ المشروع، والتأكد من نجاح المشروع، بأنه قد تم إقناع عدد أكبر من الناس بأهمية اللغة، واستخدامها، وتحسين الصورة، وتعزيز الشعور بالهوية، والترحيب بالتخطيط، وهل أبدى المتحدثون باللغة ثقة متزايدة، وفخرًا، بعد وجود نوع من اللامبالاة؟ ورصد زيادة في عدد، ونسبة الذين يعبرون بإيجابية عن مشاعرهم تجاه اللغة كقيمة أساسية، وتمثيل أفضل للهوية، ويتم قياس ما يلي:

- مدى زيادة في عدد المستجيبين في إجراء الاستطلاعات الرأي.
- مدى زيادة في عدد المشاركين في الفعاليات: المهرجانات، والندوات....
- زيادة إجمالية في عدد، ونسبة الذين يستطيعون التحدث باللغة.
- رصد تغيير المواقف: المعادية، المحايدة، مؤيد بضعف، مؤيد بقوة.
- زيادة في عدد الذين يرون أن للغة مكانة اجتماعية مرموقة.
- الفئات الاجتماعية الداعمة، والمحايدة، والمؤيدة للتنشيط.

وبالتأكيد فإن التغيير في المواقف، نحو اللغة، سوف يؤثر بشكل مباشر في نشرها،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقيامها بالوظائف التواصلية في المجتمع.

الخاتمة والنتائج:

- إن المكانة المؤكدة التي تتمتع بها اللغة العربية في نفوس أبنائها، هي ارتباطها بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتي تعد أهم الفرص التي يمكن استغلالها في التخطيط نحو العربية، ولم يتم استغلال هذه الملحوظة في تخطيط لغوي عربي يذكر، باستثناء تناول هذه القضية من خلال أطر نظرية لا تدخل حيز التطبيق.

- تعد اللغة العربية المعيارية غير مستخدمة فعليًا كلغة للتواصل اليومي، فهي تعد كائنًا مجردًا، لا وجود له في الواقع، وبناءً على غياب المتحدثين الأصليين للغة؛ فإن اللغة العربية الفصحى لا تعد من اللغات الحية؛ وفقًا لمفهوم اللغات الحية، ووفقًا للمفاهيم السابقة عن حياة اللغة وموتها، فإن اللغة العربية المعيارية تموت حرفيًا.

- نتشارك جميعًا مسؤولية ضمان حياة اللغة، والحفاظ عليها، وإدامتها في الأجيال القادمة، ولا تقتصر المسؤولية تجاه اللغة في صيانتها، على اللغويين فقط، أو الحكومات، ولكن تتمثل مسؤولية العمل بشكل تعاوني مع المجتمع اللغوي الذي يتمتع بشراكة متساوية في تنفيذ، ودعم المشاريع، وفي صياغة سياسة لغوية؛ لغرض الحفاظ على اللغة.

- التأكيد في مجال التخطيط اللغوي للغة العربية، على حتمية تجاوز الأطر التنظيرية إلى التطبيق والممارسة عبر ممارسة الفعل التخطيطي نحو العربية، وفق منهجية علمية دقيقة، ووفق الضوابط، والأسس المنهجية للفكر الإداري الاستراتيجي، كما يجب الاطلاع والإفادة من خطط ومشاريع لغوية سابقة تم تطبيقها، وثبتت فعاليتها في تجارب لغوية أخرى، و إنتاج أبحاث قابلة للتطبيق.

- عند تخطيط الاستعمال الوظيفي للغة، وذلك من خلال تخطيط الوضع القانوني للغة، من واجب المقننين التدخل بفرض اللغة، وتقييسها فقط في الاستعمالات الوظيفية العليا والرسمية، أما في الحياة اللغوية المتعلقة بالاستعمالات الوظيفية في الحياة اليومية، فمن الأفضل ألا يزيد التدخل عن تقديم المساعدة، والدعم، والتوجيه.

- إن أهم نقاط الضعف التي قد تهدد اللغة العربية، هو ضعف الكفاءة عند المتحدثين العرب، وعدم تمكنهم من اللغة المعيارية؛ لاستخدامها في الأغراض التواصلية، فكان من أولويات التخطيط هو التخطيط لرفع كفاءة المتحدثين بالعربية، والتخطيط

للاكتساب اللغوي، وكذلك انتهاج سياسات جديدة لزيادة توظيف اللغة العربية الفصحى في كل مجالات حياة المواطن العربي، وهو ما قد يدفعه شيئًا فشيئًا إلى تقليص استعماله للهجات العربية تلقائيًا دون فرض، أو سلطة.

- تجاوز الأنشطة التقليدية في جهود وبرامج نشر اللغة، وذلك مثل الإفادة في أنشطة الترويج والدعاية للغة من نجوم المجتمع من الإعلاميين، والأدباء، والفنانين، والرياضيين؛ لصيانة اللغة، ونشرها، وتعزيز مكانتها.

- يجدر إيلاء أهمية فورية في المجالات التالية: تطوير المواد التعليمية، والتربوية في مجال تعليم اللغة في مختلف المراحل التعليمية حتى التعليم العالي، وتدريب معلمي اللغة، وتوعية أعضاء المجتمع، وتقديم الدعم، للجهات المسؤولة عن التخطيط اللغوي، وفرق تنفيذ الخطط، والمشاريع، ورفع المستوى الاقتصادي، والاجتماعي للفئات التالية: (علماء اللغة، معلمي اللغة، وجميع المتخصصين في اللغة).

المراجع:

أولًا: المراجع العربية:

- البريدي، عبد الله (٢٠١٣). التخطيط اللغوي: تعريف نظري ونموذج تطبيقي، ورقة بحثية ألقيت في الملتقى التنسيقي للجامعات والمؤسسات المعنية باللغة العربية. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٧ـ٩ مايو.
- بسندي، خالد عبد الكريم (٢٠١٤).التخطيط اللغوي لبرامج اللغة العربية الأكاديمية بين الواقع والمأمول، أبحاث ودراسات الندوة السابعة. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية وجامعة الملك سعود، ديسمبر ، ص ٣٣، ٦٤.
- الحسيني، فلاح (٢٠٠٠). الإدارة الاستراتيجية: مفاهيمها، مداخلها، عملياتها المعاصرة.
- عمان: دار وائل، الطبعة الأولى.
- الخثلان، عبد العزيز بن عبد الرحمن (٢٠١٧). التخطيط اللغوي نحو العربية بين المقننين والمنفذين. الرياض: مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السنة:الثالثة ، العدد: ٥،ص ٧٨، ٩٩.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٢٠٠٤). مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش. دار يعرب، الطبعة الأولى.
- دربال ، بلال (٢٠١٤). السياسة اللغوية: المفهوم والآلية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري. الجزائر: جامعة بسكرة، العدد: العاشر.

- دليلة، فرحي سعيداني (٢٠١٣). التخطيط اللغوي في ظل وظائف اللغة، مجلة العلوم الإنسانية. الجزائر: جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد:٢٩، فبراير، ص ٢٠٣ـ٢٢٢.
- دي ماكين، شارلي، ترجمة: الحبيب، فهد بن إبراهيم (١٤٢٩هـ). التخطيط الاستراتيجي في التعليم: دليل التربويين. الإمارات: العبيكان، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.
- ذيب، هيثم عبد الله (٢٠١٦). أصول التخطيط الاستراتيجي، دار كتاب للنشر والتوزيع.
- راضي، سحر سويلم (٢٠١٩). ظاهرة الازدواجية اللغوية في الإعلام العربي المرئي، كتاب مؤتمر:الخطاب الإعلامي: جدلية الفكر واللغة.الجوف: جامعة الجوف،ص ٤٣٦،٤٥١.
- ريمان، إيمان، و درويش، علي (بدون تاريخ). بين العامية والفصحى: مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة والإعلام الفضائي. استراليا:شركة رايتسكوب للمنشورات التقنية، .
- الزنفلي، أحمد محمود (٢٠١٠م). التخطيط الاستراتيجي في التعليم الجامعي. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، سلسلة التربية والمستقبل المشرق، عدد:٣.
- السعيدي، محمد بن إبراهيم (٢٠١٧م). المثقف والمجتمع: تحديات ومقاربات في الشأن السعودي. الرياض: مركز الفكر المعاصر.
- أبو صالح، محمد (٢٠١٧). التخطيط الاستراتيجي القومي منهج المستقبل، دار الجنان للنشر والتوزيع.
- طوليفسن، جيمس (٢٠٠٧).السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها، ترجمة: خطابي، محمد الرباط: مؤسسة الغني للنشر، الطبعة الأولى.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

- عبد الله، محمود (٢٠١٦). الإحصاء أساس التخطيط الثقافي الاستراتيجي. جريدة الاتحاد، أبو ظبي: شركة أبو ظبي للإعلام، عدد: ١٠ ديسمبر.
- غراب، كامل (١٩٩٥). الإدارة الاستراتيجية: أصول علمية وحالات عملية. الرياض: جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى .
- الفاسي الفهري، عبد القادر (٢٠١٣). السياسة اللغوية في البلاد العربية. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- فريق خبراء اليونسكو الخاص المعني باللغات المهددة بالاندثار (٢٠٠٣).وثيقة حيوية اللغات وتعرضها للاندثار. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. النسخة العربية.
- كالفي، لويس جان (٢٠٠٦).علم الاجتماع اللغوي، ترجمة: محمد يحياتين. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- الكرخي، مجيد (٢٠١٤). التخطيط الاستراتيجي المبني على النتائج. قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث .
- كريستال، ديفيد (٢٠١٤). موت اللغة، ترجمة: د. فهد بن مسعد اللهيبي.السعودية: منشورات جامعة تبوك.
- كوبر، روجرت (٢٠٠٦). التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ترجمة:خليفة أبو بكر الأسود. ليبيا: مجلس الثقافة العام .
- المحمود، محمود بن عبد الله (٢٠١٥).التعريف بكتاب كامبريدج المرجعي في السياسة اللغوية. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، العدد: الأول.

- المحمود، محمود بن عبد الله (٢٠١٦). طرائق البحث في السياسة اللغوية. الرياض: مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد:الثالث ، ص١٧٩ ـ ١٩٢.
- المحمود، محمود بن عبد الله، والبغدادي، زكي أبو النصر (٢٠١٥). تخطيط المتن في اللغة التركية: استقراء تاريخي، حولية الحرف العربي، العدد:١، أغسطس،ص ١٧٧ ، ٢٣٠.
- مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي (٢٠١٥). مدونة قرارات اللغة العربية في المملكة العربية السعودية: الأوامر والقرارات والأنظمة واللوائح والتعاميم. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى.
- المسدي،.عبد السلام (٢٠١٥). التخطيط اللغوي والأمن اللغوي. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، الرياض.
- مينغ، لي يو، ترجمة: هند خالقي (٢٠١٧). مناقشة مسألة تخطيط الوظائف اللغوية. الرياض: مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد:الخامس، ص ١٣٠، ١٤٩.
- هاريسون، ديفيد، تعريب: ناطورية، علاء الدين (٢٠٠٩). الإدارة الاستراتيجية، عمان، الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع .
- هلال، محمد عبد الغني حسن (٢٠٠٨). مهارات التفكير والتخطيط الاستراتيجي: كيف تربط بين الحاضر والمستقبل، مركز تطوير الأداء والتنمية.
- وهيب، وهيبة (٢٠١٧). مزايا التخطيط اللغوي: وصور تطبيقه. مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، عدد: ١٠، يونيو، ص ٣٧،٤٤

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- Ager, Dennis (2005). Image and Prestige Planning: Current Issues in Language Planning, 6:1, 1-43, DOI: 10.1080/14664200508668271.

- Al-Sobh, Mahmoud A. Abu-Melhim, Abdel-Rahman H. Bani- Hani, Nedal A. (2015). Diglossia as a Result of Language Variation in Arabic: Possible Solutions in Light of Language Planning. Journal of Language Teaching and Research, Vol. 6, No. 2, pp. 274-279, March

- Bani-Khaled ,Turki Ahmad Ali (2014). Standard Arabic and Diglossia: A Problem for Language Education in the Arab World. American International Journal of Contemporary Research, August; 8No. ,Vol.4.

- Coulmas, F. (1993). Language and Economy. London: Blackwell, Pub.

- Ferguson, C.A. (1959). Diglossia. Word 15, 325–340.

- Ferguson, Gibson. (2006).Language Planning and Education. Edinburgh: Edinburgh University Press. xii + 243pp.

- Fishman, J.(1967). Bilingualism with and without diglossia: diglossia with and without bilingualism. Journal of Social Issues 23 (1), 29–38.

- Gibson Ferguson. Language Planning and Education. Edinburgh: Edinburgh University Press. 2006. xii + 243pp
Gibson Ferguson. Language Planning and Education. Edinburgh: Edinburgh University Press. 2006. xii + 243pp
Gibson Ferguson. Language Planning and Education. Edinburgh: Edinburgh University Press. 2006. xii + 243pp
Gibson Ferguson. Language Planning and Education. Edinburgh: Edinburgh University Press. 2006. xii + 243pp
Gibson Ferguson. Language Planning and Education. Edinburgh: Edinburgh University Press. 2006. xii + 243pp
Gibson Ferguson. Language Planning and Education. Edinburgh:

- Edinburgh University Press. 2006. xii + 243pp James W. Tollefson, (1991). Planning language…Planning Inequality, Pearson Educational Limited.

- Keranen ,Mari.(2018).Language maintenance through corpus planning: the case of Keven Acta Borealia,VOL.35,NO.2,176-191.

- Malouf, David.(1985). The only speaker of his tongue. In Antipodes: stories. Sydney: Random House.

- Mufwene, S. Salikoko (2004). Language Birth and Death. Annu. Rev. Anthropol. 33:201–22 ,doi: 10.1146/annurev.

- Sallabank, Julia (2005). Prestige From the Bottom Up: A Review of , Language Planning in Guernsey:Current Issues in Language Planning, 6:1, 44-63, DOI:10.1080/14664200508668272.

- Wissal Al Allaq 2014). Arabic Language in a Globalized World: Observations from the United Arab Emirates. AWEJ Volume.5 Number,3.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية:

ـ رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠). الرابط:
https://vision2030.gov.sa//?id=2766

ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (٢٠١٦). الخطة الاستراتيجية للمنظمة (٢٠١٧ـ٢٠٢٢)، تونس، الرابط:
http://www.alesco.org/site/images/2016files/khottaistratiga-final.pdf.

ـ اليوم الدولي للغة الأم، منظمة اليونسكو. الرابط:
http://www.unesco.org/new/ar/unesco/events/prizes-and-celebrations/celebrations/international-days/international-mother-language-day-2014/

http://www.unesco.org/languages-atlas/

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الحقوق اللغوية في المملكة المغربية من خلال الوثيقة الدستورية ٢٠١١

د.عبد الرحيم ناجح[١]

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على قضية الحقوق اللغوية في المغرب. وتكمن أهمية رصدها في قيمة العلاقة التي تربطها بالديموقراطية والتنمية والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإدارية، وفي التزام المغرب بالمواثيق والمعاهدات الدولية ذات الصلة. يتكون متن البحث من الوثيقة الدستورية لسنة ٢٠١١. وقد جاء البحث منظما، كما يلي: نتناول في الفقرة الأولى مفهوم الحقوق اللغوية. ونخصص الفقرة الثانية للحركات التي تهتم بحقوق الإنسان اللسانية من خلال رصد ثلاث حركات كبرى، وهي: حركة البيئة اللغوية، وحركة حقوق الإنسان اللسانية، وحركة الحقوق اللغوية للأقليات. ونرصد في الفقرة الثالثة أهمية الحقوق اللغوية في محاربة مجموعة من الظواهر السلبية، مثل: العنف والتعصب والتطرف والأمية وغيرها، وفي تشجيع مجموعة من المظاهر الإيجابية، مثل: التسامح الثقافي والتفاعل الحضاري. ونهتم في الفقرة الرابعة بالحقوق اللغوية في المغرب من خلال استقراء الوثيقة الدستورية (٢٠١١)، وتسليط الضوء عليها في الواقع الراهن.

الكلمات المفتاح: حقوق الإنسان اللسانية - الحقوق اللغوية - دستور ٢٠١١ - المملكة المغربية.

١- أكاديمية مراكش آسفي، مراكش المغرب.

مقدمة

تزايد الوعي اليوم بالدور الذي يمكن أن تلعبه اللغة في ترتيب علاقات السلطة والهيمنة داخل المجتمع. وبات مؤكدا إمكانية أن تكون اللغة سببا في الصراع بين العرقيات المختلفة داخل الوطن الواحد، أو أن تكون سببا في ازدهار ثقافة واندثار أخرى. وقد تكون سببا أيضا في حرمان الأفراد أو الجماعات من الوصول إلى الخدمات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية. وقد تكون سببا في الحرمان من الشعور بالكرامة والفخر بالهوية. «ذلك أنه إذا كانت اللغة وسيلة تخاطب وأداة اكتساب المهارات والمعارف، فإنها أيضا بؤرة للصراع الذي يسبب حروبا دامية قاتلة تمزق أوصال الشعوب والأمم وتنهك قواها» (عزوز وخاين،٢٠١٤: ٥٩)، لذلك، ارتفعت الأصوات المطالبة بالحقوق اللغوية من مختلف الفعاليات الحقوقية من أجل التصدي إلى اللامساواة التي يمكن أن تسم العلاقة بين لغات الأقليات واللغات المهيمنة؛ لأن «قضايا اللغة هي قضايا القوة» (شومسكي (Chomsky, 1979:191)). كما انبرت جبهات مختلفة للدفاع عن الحقوق اللغوية بوصفها رافعة من رافعات حماية حقوق الإنسان، وآلية من آليات تعزيز المشاركة الديموقراطية.

نهتم في هذا البحث بالحقوق اللغوية بوصفها أحد أهم الاهتمامات الحقوقية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وبوصفها أيضا أحد المفاهيم الرئيسة في اللسانيات الاجتماعية. ويرجع الاهتمام بها إلى تعالقها مع الثقافة والعدالة والتنمية والديموقراطية والمشاركة في الحياة العامة والخيارات الاستراتيجية للدولة. ويمثل الدفاع عنها دفاعا عن حق الفرد والجماعة اللغوية في الانخراط في الحياة العامة، وفي تخويلهما الحق في المشاركة السياسية والاقتصادية والثقافية بواسطة اللغة، ودفاعا عن حق الفرد والجماعة في الهوية؛ لأن «التعددية اللغوية طريقة للحياة والتفكير، وليست مجرد سبيل للاحتفاء بالتنوع الثقافي» (مجيد،٢٠١٠: ٥٣). إضافة إلى هذا، تعد الحقوق اللغوية من المواضيع التي تحظى بأهمية بالغة في الدساتير العالمية نظرا لارتباطها بالسيادة وبالسلطة السياسية وممارسة

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الحكم؛ لأن «الدساتير الليبرالية الحالية التي تؤسس عليها الممارسة السياسية في الدولة المدنية ترى في التنوع اللغوي تعبيرا مشروعا عن الهويات المختلفة التي تتقاسم فضاء الدولة» (ستاركي (Starkey,2002 :9)). وتتأثر مناقشتها ببعض الالتباسات التي تسم طبيعة الحقوق ووضعها، كما سنتطرق إلى ذلك في البحث.

صحيح أن الحقوق اللغوية أثيرت في سياق مرتبط بالأقليات العرقية؛ لأن التمييز اللغوي مصدره تمييز عرقي في الأصل؛ إذ تعاني الأقليات العرقية تمييزا لغويا وثقافيا، حيث يتم قمع الممارسات اللغوية والثقافية من قبل مجموعة مهيمنة تهدف إلى القضاء على أي علامة للتميز في كل من المجالات العامة والخاصة. ومع ذلك، أضحت الحقوق اللغوية اليوم مدار نقاش يتجاوز حقوق الأقليات العرقية نحو أفق تؤطره الرهانات الكبرى المتمثلة في الديموقراطية والعدالة اللغوية وقضايا السلم العالمي.

إن تناول الحقوق اللغوية يوجب تناول العديد من الإشكالات الراهنة المتمثلة في ما يلي: أولا، تحديد الممارسات اللغوية التي تشكل إطارا للحقوق. ثانيا، تحديد المجالات التي يتعين أن تشكل مجالا للممارسة اللغوية. ثالثا، كيفية الحفاظ عليها وتنميتها. رابعا، وضع الحقوق اللغوية في المواثيق والمعاهدات الدولية. خامسا، المشاكل التي تواجه تفعيل الحقوق اللغوية. سادسا، استقصاء العلاقة بين الحقوق اللغوية والديمقراطية والتنمية الاقتصادية والثقافية والمشاركة السياسية. سابعا، استجلاء العلاقة بين الحقوق اللغوية وحقوق الإنسان.

وترجع الحاجة إلى المطالبة بالحقوق اللغوية إلى إمكانية حرمان جميع الفئات في مجتمع موسوم بالتنوع اللغوي بحماية هويته الثقافية واللغوية، والتعامل معها على قدم المساواة من جهة، وإلى إمكانية عدم المساواة بينها في الوصول إلى قنوات المشاركة السياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع من جهة ثانية. وترجع أيضا إلى تجاوز الاعتقاد الذي كان يرى في اللغة مجرد أداة للتوصل إلى الرؤية التي تعد اللغة عاكسة للهوية والثقافة، وخزانا للقيم المعرفية والفكرية. ومن ثم، أصبح الدفاع عن الحق اللغوي دفاعا عن رؤية

في إدراك الكون؛ لأن «جميع اللغات هي تعبير عن هوية جماعية، وعن طريقة متميزة في إدراك الواقع ووصفه. وعليه، يجب أن تكون قادرة على التمتع بالشروط اللازمة لتنميتها في جميع الوظائف»، كما يشير إلى ذلك الإعلان العالمي للحقوق اللسانية في المادة (٧). إضافة إلى الوعي بدورها في النهوض بمكانة المرأة وتربية الطفل، وفي فك العزلة عن الأقليات من أجل المشاركة في الحياة العامة في مختلف أبعادها.

نتظم البحث كما يلي: نتناول في الفقرة الأولى مفهوم الحقوق اللغوية. ونخصص الفقرة الثانية للحركات التي تهتم بالحقوق اللغوية من خلال رصد ثلاث حركات كبرى، وهي: حركة البيئة اللغوية، وحركة حقوق الإنسان اللسانية، وحركة الحقوق اللغوية للأقليات. ونرصد، في الفقرة الثالثة، أهمية الحقوق اللغوية في محاربة مجموعة من الظواهر السلبية، مثل: العنف والتعصب والتطرف والأمية وغيرها، وفي تشجيع مجموعة من المظاهر الإيجابية، مثل: التسامح الثقافي والتفاعل الحضاري. ونهتم، في الفقرة الرابعة، بالحقوق اللغوية في المغرب من خلال استقراء الوثيقة الدستورية (٢٠١١).

١. الحقوق اللغوية وحقوق الإنسان اللسانية

يعد مفهوم الحقوق اللغوية (language rights) ومفهوم حقوق الإنسان اللسانية (linguistic human rights) من المفاهيم التي استأثرت باهتمام الباحثين الحقوقيين واللسانيين على حد سواء. ويعد مفهوم الحقوق اللغوية أوسع من مفهوم حقوق الإنسان اللسانية؛ إذ توجد حقوق لغوية لا يصح أن تندرج ضمن حقوق الإنسان اللسانية؛ إذ هناك فرق بين الحاجة إلى المحافظة على لغة أقلية في مواجهة لغة أو لغات مهيمنة، والحاجة إلى تعلم لغة أجنبية من أجل تطوير القدرات المعرفية والثقافية. فالحاجة الأولى تعد حقا من حقوق الإنسان اللسانية؛ لأنها دفاع عن لغة ملازمة للإنسان تعكس هويته وثقافته، وتميزه عن الآخرين. أما الحاجة الثانية المتمثلة في تعليم لغات أجنبية وتعلمها، فتعد حقا لغويا لا يندرج ضمن حقوق الإنسان اللسانية، طالما أن هناك لغة أُمًّا تعكس هوية الفرد

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والجماعة اللغوية وتميزهما عن الآخرين.

وفي سياق تمييز الحقوق اللغوية من حقوق الإنسان اللسانية، يتم التمييز بين «الحقـــوق الضروريـــة» (necessary rights)، و«الحقـــوق الموجهـة إلى الإثـــراء» (enrichment oriented rights). وتتكوّن الحقوق الضرورية من نوعين من الحقوق: الحقوق الضرورية الفردية، والحقوق الضرورية الجماعية. وتتضمن الحقوق الفردية الضرورية ما يلي: أولا، الحق في هوية مرتبطة بلغة ما. ثانيا، الحق في الولوج إلى اللغة الأم. ثالثا، ينبغي اعتبار حق الوصول إلى لغة رسمية حقًا ضروريًا. رابعا، العلاقة بين اللغة (اللغات) الأم واللغات السائدة، بحيث لا ينبغي أن يوجد أي تحول قسري في اللغة. خامسا، يتعلق بالحصول على التعليم الابتدائي الرسمي، بحيث لا ينبغي حرمان أي شخص من التعليم على أساس اللغة. أما بالنسبة إلى الحقوق الجماعية الضرورية، فإنها تُعنى بضمان السماح للأقليات والشعوب الأصلية بـ «إعادة إنتاج أنفسهم كمجموعاتٍ متميزة بلغاتهم وثقافاتهم»(سكوتناب-كانغاس(Skutnabb-Kangas 2000: 498). وتعد هذه الحقوق سواء الحقوق الضرورية الفردية أو الجماعية حقوقا إنسانية لسانية. أما بالنسبة للحقوق الموجهة للإثراء، فتدخل في نطاق الحقوق اللغوية، كأن يتعلم الفرد أو الجماعة لغة من اللغات الأجنبية قصد تطوير الذخيرة اللغوية، أو من أجل تحقيق أهداف اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية.

وتمثل حقوق الإنسان اللسانية حزمة من الالتزامات التي تقع على عاتق سلطات الدولة بتدخلها في استعمال لغات معينة في عدد من المجالات (الحقوق اللسانية الإيجابية)، أو بعدم التدخل في الخيارات اللغوية للأفراد أو الجماعات (الحقوق اللسانية السلبية)، أو بدعمها استعمال لغات الأقليات أو الشعوب الأصلية من خلال ضمان توظيف لغتها

في الحياة الخاصة أو العامة[٢]. وهي حقوق يتعين الاعتراف بها وحمايتها من أي شكل من أشكال التمييز سواء من قبل الدولة أو الفعاليات الخاصة. وتعد حقا من حقوق الإنسان وفقا لمعاهدات حقوق الإنسان الدولية. إضافة إلى كونها حقا مدنيا، كما نصت على ذلك المعاهدة الدولية للحقوق المدنية والسياسية في المادة ٢٧، كما يلي:»لا يجوز، في الدول التي توجد فيها أقليات اثنية أو دينية أو لغوية، أن يحرم الأشخاص المتسبون إلى الأقليات المذكورة من حق التمتع بثقافتهم الخاصة أو المجاهرة بدينهم وإقامة شعائرهم أو استخدام لغتهم، بالاشتراك مع الأعضاء الآخرين في جماعتهم».

وتتميز الحقوق اللغوية عن باقي حقوق الإنسان بمجموعة من الخاصيات منها: أولا، ينبغي النظر إليها في أي نشاط يشمل سلطات الدولة واختياراتها اللغوية؛ ثانيا، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بقضايا الهوية الوطنية والجماعية والفردية؛ ثالثا، تتصل بالتأثير على مشاركة الأقليات وإدماجها؛ رابعا، لها علاقة بالشعور بالاغتراب والتهميش وعدم الاستقرار المحتمل أو الصراع إذا لم تتم معالجتها بشكل صحيح بطريقة متوازنة ومعقولة؛ خامسا، لها علاقة بظروف شديدة التنوع، بحيث لا توجد طريقة - تناسب الجميع - لتنفيذ الحقوق اللغوية في جميع السياقات الوطنية في العالم. (هيكس (Hicks,2016 :14)). فالحقوق اللغوية، طبقا لهذه الخصوصيات المومأ إليها سابقا، يجعلها مرتبطة بمجموعة من مبادئ حقوق الإنسان، ومتعالقة معها، مثل: حرية التعبير، وحظر التمييز، والحق في الحياة الخاصة، والحق في التربية، وحق الأقليات اللسانية في استعمال لغتها داخل جماعتها اللغوية.

وتجمع مختلف المواثيق الدولية ذات الصلة بحقوق الإنسان اللسانية على ضرورة اتخاذ مجموعة من الخطوات والإجراءات التي تتيح تفعيل حقوق الإنسان اللسانية. وتتمثل فيما يلي (هيكس،٢٠١٦:١٤):

٢- راجع بهذا الشأن الحقوق اللغوية للأقليات اللغوية دليل عملي للتنفيذ، ص:٤.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

- احترام وضع الحقوق اللغوية بوصفها حقا أساسيا من حقوق الإنسان؛
- ترسيخ ثقافة التسامح والتنوع الثقافي واللغوي والاحترام المتبادل والتفاهم والتعاون بين جميع الفئات المجتمعية؛
- ضرورة أن تتوفر الدول على تشريعات وسياسات تتناول حقوق الإنسان اللسانية. وتضع إطارًا واضحًا للمعايير والسلوك؛
- تنفيذ التزاماتهم في مجال حقوق الإنسان من خلال اتباع مبدأ التناسب في استخدام لغات مختلفة أو دعمها
- من قبل سلطات الدولة، ومبدأ الحرية اللغوية من قبل الأفراد والخواص؛
- وضع آليات فعالة للشكاوى أمام الهيئات القضائية والإدارية والتنفيذية للتصدي لقضايا حقوق الإنسان اللسانية.

٢.حركات الحقوق اللغوية

تتوزع الحركات المنافحة عن الحقوق اللغوية إلى ثلاث حركات كبرى (ماي(May,2005 :319)). يتعلق الأمر بحركة البيئة اللغوية، وحركة حقوق الإنسان اللسانية، وحركة الحقوق اللغوية للأقليات. تنطلق هذه الحركات الثلاث من هاجس انقراض اللغات، وأثرها على التراث والثقافة الإنسانية في مختلف مستوياتها. وتماثل بين انقراض اللغة وانقراض الأنواع البيولوجية. بتعبير أخرى، تعد قضايا التنوع البيولوجي قابلة للمقارنة بقضايا التنوع اللغوي. ومن ثمة، كما هو الحال مع الخسارة الإيكولوجية ، يمثل فقدان اللغة فقدان مكون معرفي وثقافي له آثار وخيمة على الحضارة الإنسانية برمتها.

١,٢.حركة بيئة اللغة

تنطلق حركة بيئة اللغة (Language Ecology movement) من الفكرة التي تفيد أن العديد من لغات العالم انقرضت. هذا الأمر يهدد النظام الإيكولوجي اللغوي في معناه

الشامل؛ لأن «الانقراض الواسع النطاق للغات يشبه الانقراض الحالي للأنواع النباتية أو الحيوانية، وإن كان أقل حدة » (بينكر(Pinker,1995 :259)). لذلك، يمسي الدفاع عن الحقوق اللغوية دعوة إلى الحفاظ على اللغات. وتوظف العديد من الاستعارات البيولوجية عندما تخوض في مصير اللغات، مثل موت وانقراض اللغات وتعرضها للخطر (نيتل ورومان (Nettle and Romaine, 2000 : 5–7)). ويعد موت اللغة أحد الأعراض الكبرى للموت الثقافي. ويحدث عندما تترامى لغة ما على مختلف الوظائف التي تضطلع بها في المجتمع جراء عوامل عدة اقتصادية وعسكرية وثقافية. فعندما تتخلى لغة ما عن إحدى وظائفها، فهي في الواقع تتخلى عن جزء من موطن كان لها لفائدة لغة أخرى. ويحصل هذا عندما «يتخلى الناس عن لغتهم لصالح بعض اللغات الأخرى التي تعتبر أكثر تداولا أو أكثر فائدة» (تراسك (Trask 1994:69)). في هذا الصدد، يميز(ماكمهون (McMahon,1994 :286)) بين نوعين من موت اللغة: انتحار اللغة (language suicide)، وقتل اللغة. (language murder) ويقصد بانتحار اللغة سيرورة اقتراض كلمات من لغة، تعد لغة الترقي الاجتماعي أو لغة الحظوة (prestige)، إلى أن يصبح من الصعب التمييز بينهما. ويراد بقتل اللغة اعتماد لغة الترقي الاجتماعي أو لغة الحظوة إلى جانب اللغة الأم، فتصبح الجماعة اللغوية ثنائية اللغة. ويتم تعليم لغة الترقي الاجتماعي أو لغة الحظوة للأطفال، فلا يكتسبون اللغة الأم، فتنقرض اللغة الأم.

وتكون اللغة معرضة للخطر عندما يتوقف الناطقون عن استخدامها وتوظيفها، ويتوقفون عن نقلها من جيل إلى آخر؛ أي لا يوجد ناطقون جدد بها.

ويعد الدفاع عن اللغة من خلال الدعوة إلى الحفاظ عنها، حسب هذه الحركة، مبررا؛ لأن اللغة تعد خزانا للمعرفة الإنسانية عن العالم الطبيعي، مثل: الخاصيات الطبية للنباتات، ووصف الأنواع الحيوانية، والتقنيات الفلاحية وغيرها من العادات الثقافية والأعراف والأشكال الثقافية. فاللغة، وفق هذا المنظور، تقدم تصورا عن المعرفة الإنسانية في مختلف أبعادها. لذلك، يجب المحافظة عليها.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وتجدر الإشارة إلى أن هناك برامج جُرّبت من أجل المحافظة على اللغات، مثل برنامج العش اللساني (language nest) في الحفاظ على لغة الماوري (Maori)، بوصفها إحدى اللغات بنيوزيلاندا التي طورت نظام كتابتها سنة ١٨١٨ واستطاع الماوري أن يدون بها العديد من المتون الأدبية الغنية التي تعكس ثقافتهم، غير أنه في سنة ١٨٦٧، اعتُمِدت اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية، مما عجل بتواري لغة الماوري من المدارس والخطاب الرسمي. وفي سنة ١٩٧٠، عدت لغة ميّتة بحجة اقتصار استعمالها في الكنيسة وفي بعض اللقاءات القبلية فقط (غرونوبل ووالي(Grenoble and Whaley 2006 : 54)). ولتجاوز هذه الوضعية، أنشأ الموراي ما يسمى بالعش اللساني سنة ١٩٨٠، حيث يتم تعليم لغة الموراي للأطفال خلال سنوات ما قبل التمدرس. وبعد نجاح العش اللساني، طُوّر تعليم لغة الموراي في الأسلاك التعليمية الأخرى تشجع ثقافة شعب الموراي. وانتزعت صفة لغة رسمية سنة ١٩٨٧. وهناك برنامج طُوّر في كاليفورنيا سنة ١٩٩٢، حيث توجد عدة لغات مختلفة. يسمى البرنامج بمدرس-متعلم (Master-apprentice program). وتختلف هذه الوضعية عن وضعية الماوري، حيث لا توجد لغة مرشحة لعملية المحافظة عليها؛ لأن عدد متكلمي كل لغة على حدة محدود جدا. ويقوم البرنامج على مصاحبة متعلم لناطق فطري باللغة موضوع التعلم في وضعيات تعلمية مشروطة بما يلي: أولا، لا يسمح باستعمال الإنجليزية. ثانيا، التركيز على التواصل الشفهي. ثالثا، ينبغي أن يتم التعلم في سياقات طبيعية تتيح ممارسة أشياء ملموسة، مثل المطبخ والحديقة.

٢,٢.حركة حقوق الإنسان اللسانية

تتعامل حركة حقوق الإنسان اللسانية (Linguistic Human Rights movement) مع الحق اللغوي بوصفه امتدادا لحقوق الإنسان الأساسية. وتقوم هذه الحركة على ما يفيد أن حقوق الإنسان اللسانية، سواء الفردية أو الجماعية هي حقوق ملازمة(inherent) للإنسان. وتنطلق من التمييز بين الحقوق اللغوية وحقوق الإنسان اللسانية. فالحقوق اللغوية تستعمل بمعنى أعم من حقوق الإنسان اللسانية، كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

وترتبط حقوق الإنسان اللسانية بتعلم اللغة أو اللغات المرتبطة بالطبيعة الإنسانية التي تتيح العيش الكريم، مثل تعلم اللغة الأم التي تعد لازمة للطبيعة الإنسانية. ويخضع تعلمها لمنطق الضرورة. وهو ما يجعلها متصلة بما يسمى بالحقوق الضرورية (Necessary rights)، بينما ترتبط الحقوق اللغوية بالحقوق الموجهة إلى الإثراء (enrichment-oriented rights)، مثل الحق في تعلم اللغات الأجنبية الذي لا يدخل في نطاق التعلم بالضرورة، وإنما في نطاق التعلم بالاختيار؛ لأن تعلم اللغة الأم يعد حقا إنسانيا لسانيا، بينما يعد تعلم اللغات الأجنبية حقا لغويا. وهو نفس التمييز الذي أقامه كلوس (Kloss,1977) بين الحقوق القائمة على التسامح (tolerance-oriented)، والحقوق القائمة على التنمية (promotion-oriented). ويراد بالحقوق اللغوية القائمة على التسامح الحفاظ على اللغة في المجال الخاص. وهي تشمل حق الأفراد في استخدام لغتهم الأولى في المنزل وفي الأماكن العامة، وحرية التجمع والتنظيم، والحق في إقامة ثقافة واقتصاد خاص، وإنشاء مؤسسات اجتماعية حيث يمكن استخدام اللغة الأولى، والحق في تعزيز اللغة الأولى للفرد في المدارس الخاصة. ومن ثم، فالمبدأ الأساسي لهذا النوع من الحقوق يتمثل في كون الدولة «لا تتدخل في الجهود التي تبذلها الأقلية للاستفادة من لغتها في المجال الخاص»(كلوس،١٩٧٧: ٢). وبخلاف ذلك، تقوم الحقوق القائمة على التنمية على المجال العام؛ أي الاعتراف بحقوق اللغة ضمن المجال العام أو المجال المدني. على هذا النحو، تشمل «السلطات العامة في محاولة الترويج للغة أقلية من خلال استخدامها في المؤسسات العامة التشريعية والإدارية والتعليمية، بما في ذلك المدارس العامة»(كلوس،١٩٧٧: ٢).

يعتمد مفهوم حقوق الإنسان اللسانية على عدد من التمايزات، مثل: التمييز بين اللغة الأم واللغة الأجنبية، وبين الضرورة والإثراء، وبين الاختيار (الحر) والقوة. فلا يمكن المطالبة بحقوق الإنسان اللسانية إلا فيما يتعلق باللغات الأم. ولا مجال للحديث عن حقوق الإنسان اللسانية عندما يتعلّق الأمر باللغات الأجنبية (Phillipson &

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(Skutnabb-Kangas 1995: 487). وذلك لأن اللغة الأم، على عكس اللغة الأجنبية، ملك لا يتخلى عنه من قبل الفرد أو المجموعة بفعل القوة، وإن كانت هناك حالات يتحول فيها الأفراد عن طيب خاطر إلى لغة مختلفة. وعلى الرغم من أن الحركة تفضل وصف مثل هذا التحول بأنه «نقل قسري» ، فإن نوع «القوة» المعنية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يماثل الحرمان من الطعام أو المسكن؛ لأنه في العديد من حالات التحول يكون الدافع فيه رغبة في تحقيق حياة أفضل. ومن ثم، لايبدو منطقيا الحكم على أن التحول حصل بالإكراه أو القوة.

إلى جانب التمايزات التي أشرنا إليها سابقا، تميز الحركة بين اللغة بوصفها أداة للتواصل وواسمة للهوية. فمن ناحية، تقوم الحقوق اللغوية المستندة إلى اللغة بوصفها أداة للتواصل على ضمان قدرة الفرد على التمتع ببيئة لغوية آمنة في لغته الأم، وفرص عادلة لمجموعة لغوية في التكاثر الثقافي. ومن ناحية ثانية، تقوم الحقوق اللغوية القائمة على اللغة بوصفها واسمة للهوية على ما يفيد أن اللغة ليست عقبة أمام التمتع الفعلي بالحقوق ذات البعد اللغوي، والمشاركة الفعالة في المؤسسات العامة والعملية الديمقراطية، والتمتع بالفرص الاجتماعية والاقتصادية التي تتطلب مهارات لغوية. تعتبر اللغة في الواقع أداة أساسية للتواصل، لكن ارتباط الناس بلغتهم لا يمكن اختزاله في البعد التواصلي للغة، بل اللغة واسمة للهوية الفردية والجماعية، وخزان للإرث الثقافي إلى جانب كونها أداة للتواصل.

إن الفكرة الكامنة وراء الاهتمام باللغة بوصفها واسمة للهوية تتمثل في التزام الدول بمساعدة جماعة ما على تحقيق حماية لغتها. ومن ثم يصبح الدفاع عن الحقوق اللغوية أداة لحماية الأقليات من القوة السياسية والاقتصادية للأغلبية المهيمنة ثقافيًا؛ لأن حماية عضوية الفرد في مجتمع لغوي حمايةٌ لسياق معين من الاختيار والشعور بالهوية التي توفرها ثقافته. لذا، يجب أن يكون هناك عدد كاف من الأشخاص الملتزمين بتكلم تلك اللغة ورعاية الثقافة التي تمثلها، خصوصا أن الحقوق اللغوية القائمة على اللغة تركز على البعدين التواصلي والثقافي. ويفقد هذان البعدان معنييهما دون تجربة المجتمع في جعل

اللغة واسمةَ هويةٍ ثقافيةٍ.

من الواضح أن حقوق الإنسان اللسانية هي بمثابة حقوق جماعية؛ لأنه لا يمكن الحفاظ على اللغة من خلال الدفاع عن استعمالها من قبل الفرد الواحد، طالما أن اللغة ممارسة اجتماعية في الأصل. لذلك تطرح جملة من الإشكالات بوصفها قضية من قضايا حقوق الإنسان من الجيل الثاني أو الجيل الثالث. فعندما تطرح مسألة حقوق الإنسان اللسانية في حلة الجيل الأول، فإنها تكون متصلة بالحقوق المتأصلة في الشخصية. ولكنها عندما تطرح حقا جماعيا، مثل الحقوق الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، فإن ذلك لا ينبغي أن يحجب الإشكالات المفاهيمية المصاحبة.

يولد الإنسان مزودا بملكة لغوية فطرية تتيح له اكتساب المبادئ اللغوية المشتركة بين جميع لغات البشر. ويسعفه التفاعل الاجتماعي في اكتساب الوسائط الخاصة بكل لغة على حدة. وبما أنه لا يمكن أن يحرم أي فرد من هذه الملكة الفطرية، وبما أنه يمكن حرمان الطفل من اكتساب الوسائط من خلال حرمانه من التفاعل الاجتماعي (الأطفال المتوحشون مثلا)، فإنه يمكن إثارة الحقوق اللسانية من هذا الجانب فقط بوصفه حرمانا من اكتساب اللغة وتعلمها. فلا تنظر الحركة إلى حقوق الإنسان اللغوية على هذا النحو، ولكنها تنادي بوجوب تمكين اللغة الأم، خاصة لغات الأقليات، من الاضطلاع بوظائف في المدرسة والفضاء العام. لذا، يطرح السؤال: هل تعد حقوق الإنسان اللسانية حقوقا فردية أم جماعية؟ فإذا كانت تنتمي إلى الحقوق الجماعية، فكيف لها أن تكون موسومة بـ«الإنسان»؟ وإذا كانت فردية، فأنى لها أن تكون لغوية؟

٣,٢.حركة الحقوق اللغوية للأقليات

تشتق حركة الحقوق اللغوية للأقليات (Minority Language Rights movement) قضية الدفاع عن الحقوق اللغوية من الدفاع عن حقوق الأقليات بشكل عام؛ لأن حركة الحقوق اللغوية للأقليات تعد الدفاع عن الحقوق اللغوية اهتماما بحقوق الأقليات. فاللغة

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

جانب من جوانب الهوية الثقافية للمجموعة الأقلية التي يتعين الحفاظ عليها. وتنطلق الحركة من الفكرة التي تفيد بأنه في مجتمع متنوع عرقيًا، هناك حاجة إلى حقوق لغوية لضمان علاقات عادلة بين متحدثي اللغة المهيمنة، من ناحية، والمتحدثين بلغة الأقلية، من ناحية ثانية. لذلك، تنظر الحركة إلى حماية الحقوق اللغوية من منظور ديمقراطي ليبرالي. وتسعى إلى إبراز أن الحقوق الفردية والجماعية (الثقافية) لا يعضد بعضها بعضا، وأن التوليف بينهما من شأنه يكون فعّالا في إطار الديمقراطية الليبرالية (Kymlicka, 2001: 42). تلتزم الليبرالية بوجهة نظر مفادها أن جميع الأفراد يتساوون في إمكانية الاختيار الحر والعقلاني، وأن أي قيود أو عقبات أمام تحقيق هذه الإمكانات تقلل بشدة من تطور الفرد الشخصي وتعبيره عن نفسه. لذلك، تؤكد الليبرالية على أهمية الاستقلالية والاختيار الشخصي. وتدعو إلى «حق الأفراد في الاحترام على قدم المساواة، وتفترض أن الحكومات يجب أن تكون محايدة ونزيهة إزاء المصالح الفردية» (تامر (Tamir, 1993 : 6)).

إن إشكالية التخطيط اللغوي في الدول التي تعرف تعددا عرقيا، ينبغي أن يخضع، وفقا لفانستوك (Weinstock,2003) لثلاثة مبادئ أساسية: الحد الأدنى(Minimalism)، واللارمزية(Antisymbolism) ، والقابلية للمراجعة (revisability). ويقصد بالحد الأدنى أنه إذا كان الهدف من الخيار اللغوي قائما على ضمان نجاعة التواصل بين المواطنين، فإن الدولة يتعين أن تستند في خيارها اللغوي إلى الحد الأدنى من الإمكانيات لتحقيقه. ويقصد باللارمزية أن تكون الدولة ملزمة، في ظل التعدد العرقي ووجود أقليات، بخيار لغوي خالٍ من أي إيحاء رمزي يُعلي من ثقافة على حساب ثقافة أو لغة على حساب لغة. ويراد بالقابلية للمراجعة أن الدولة إذا كانت حريصة على التواصل الفعال بين مواطنيها، فإنها تكون ملزمة بمراجعة الخيار اللغوي المعتمد كلما حصل تغيير في المجتمع.

٣.أهمية تفعيل الحقوق اللغوية

تضطلع الحقوق اللغوية بعدة أدوار على مستوى الحياة العامة والحياة الخاصة للأفراد

في مختلف أبعادها، حيث يسهم احترام الحقوق اللغوية، على مستوى التعليم، في تمكين الأطفال من تعليم بواسطة اللغة الأم، مما يسعف في محاربة الهدر المدرسي والرسوب وغيرها من الظواهر السلبية. وعليه، يساعد على تخفيض كلفة التمدرس. كما يتيح تقليص الفوارق الاجتماعية بين الفئات المتمدرسة. ويعمل على محاربة التمييز من خلال التشجيع على قيم التسامح الثقافي. لا شك أن احترام حقوق الإنسان اللسانية هو اعتراف بهوية وثقافة في وسط ثقافي موسوم بالتنوع. ومن ثم، عندما يسمح بلغات الأقليات لغةً للتدريس، فإنه يُسمح للثقافة بأن تتلبس بلبوس الإغناء والتجدد، من خلال السماح بتناقلها بين الأجيال.

أما على مستوى الحياة العامة، فإن تفعيل الحقوق اللغوية من شأنه أن يطور من منسوب التواصل الفعال داخل الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والإدارية. وعليه، يسهم في سهولة الولوج إلى المرافق الإدارية والصحية والتعليمية والقضائية. ويحقق المساواة في الاستفادة من الخدمات التي تقدمها المرافق العمومية. فإذا كانت اللغة الرسمية (official language) هي لغة الدولة المعتمدة رسميا وفق نص الدستور. وعليه، فهي اللغة التي من المفروض اعتمادها من قبل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية في أداء اختصاصاتها، والاضطلاع بالأدوار المنوطة بها في الحياة العامة، فإن ذلك لا ينبغي أن يحول دون استعمال لغات الأقليات ولهجاتهم، احتراما لحقوق الإنسان اللسانية، من أجل تحقيق المساواة بين الأفراد والجماعات من الاستفادة من الخدمة العامة والمشاركة في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية على قدم المساواة. ومن ثم، فالهوية الوطنية المنغرسة في اللغة الرسمية لا ينبغي أن تتعارض مع هويات الأقليات المرتبطة بلغاتهم وثقافتهم. في هذا الصدد، يشير الإعلان العالمي في المادة (٣) إلى ما يلي: «يحق للفرد أن يستعمل لغته، سواء في الأمكنة الخاصة، أو العمومية، والحق في صيانة ثقافته وتطويرها، كما أن جميع الجماعات اللغوية لها الحق في تنظيم مواردها الخاصة وإدارتها بضمان استخدام لغتها في جميع الوظائف داخل المجتمع.»

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ويساعد احترام الحقوق اللغوية في التخفيف من حدة التوترات العرقية، سواء على المستوى الداخلي للدول أو على المستوى العالمي. وذلك من خلال إتاحة الفرص للأقليات العرقية للمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية. إن الاعتراف بلغة الأقليات هو نزوع إلى توطيد هوية موسومة بالتنوع والتعدد. وبما أن الهويات القاتلة على حد تعبير «معلوف» هي هويات منغلقة على مكونات محدودة تأبى التفاعل مع المكونات المختلفة، فإن من شأن الهويات الموسومة بالتنوع أن تسمح بالتفاعل الإيجابي بين مكوناتها. وبناء عليه، التقليل من الصراعات الإيديولوجية الدائرة حول الاختلاف الديني والثقافي واللساني. وعندما تكرس حقوق الأقليات في الدساتير، وتنفذ من خلال النظم الانتخابية والعدالة والتعليمية قبل أن تتاح للنزاع فرصة للتفاقم، فإن هناك احتمالَ ألا يحدث الصراع على الإطلاق. ومن ثمة، فاستخدام لغة رسمية واحدة فقط من شأنه أن يكون عاملا من عوامل حدوث العنف. ويمثل هذا أحد الأسباب التي دفعت منظمة الأمن والتعاون في أوروبا إلى اقتراح توصيات أوسلو المتعلقة بالحقوق اللغوية للأقليات القومية بوصفها أداة لمنع النزاعات.

يعد تبني ثقافة الحقوق اللغوية جسرا للعبور من «وهم الوحدة» على حد تعبير عبد الكبير خطيبي(٢٠٠٩) إلى حقيقة التعدد والتنوع والاختلاف. فالحفاظ على لغات الأقليات هو حفاظ على ثقافات وهويات من الانقراض والاندثار؛ لأن تنوع الثقافات والهويات إرث إنساني مشترك يجب الحفاظ عليه وصيانته، والعمل على جعله عاملا من عوامل التطور الحضاري الإنساني المشترك. يعد تبني حقوق الإنسان اللسانية خطوة في طريق تعزيز التسامح والحوار بين الثقافات، فضلاً عن بناء أسس أقوى لاستمرار احترام التنوع والتعدد الثقافي. ومع ذلك، «إذا كان التعدد اللغوي(multilinguism) مبدأ متداولا ومستحبا (...) باعتباره رأس مال يمكِّن من الاتصال والتفاعل، وإذا كان التعدد اللهجي (multidialectalism) مشروعا؛ لأنه يتيح التنوع، فإن التعدد اللغوي والتنوع ينبغي ألا ينقلبا إلى تمزق مجتمعي (ينفي الأرضية المشتركة)، ولا إلى تعدد لسني

(multiglossia) »(الفاسي الفهري،٢٠٠٣: ١٨).

٥.الحقوق اللغوية بالمغرب من خلال الوثيقة الدستورية ٢٠١١.

يخصص الدستور المغربي الفصل الخامس لتناول المسألة اللغوية. ويأتي هذا الفصل بعد الفصول الأربعة المخصصة للسيادة والدين والعلم الوطني وشعار المملكة. فالمسألة اللغوية تدخل في نطاق الرموز السيادية للملكة. ويشير الدستور في الفصل الخامس إلى ما يلي: «تظل العربية اللغة الرسمية للدولة» (الدستور،٢٠١١: ٤). إن الإشارة إلى اللغة الرسمية في الدستور يجعل الدولة المغربية من بين الدول التي تعلن عن لغتها الرسمية، بخلاف دول لا تصرّح بلغتها الرسمية، مثل الولايات المتحدة الأمريكية. ثم إن توظيف «ظل» بوصفها دالة على الاستمرارية إشارة إلى عدم القطيعة مع الماضي، حيث كانت العربية لغة رسمية، ورمزا للهوية الوطنية، والقاسم الثقافي المشترك بين مختلف المغاربة بمختلف تلويناتهم الثقافية واللغوية. زد على ذلك، أن توصيف العربية بكونها «اللغة الرسمية» يعني أن السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية ينبغي أن تقوم بوظائفها وأدوارها واختصاصاتها، وفقا للوثيقة الدستورية باللغة العربية. فاللغة الرسمية تعني اللغة الموظفة من قبل السلطات الحكومية التي تدير شؤون البلاد.

وتضيف الوثيقة الدستورية في الفصل الخامس: «تعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة، باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة بدون استثناء» (الدستور،٢٠١١: ٤). يستفاد من الوثيقة أن الدولة المغربية تعد «الأمازيغية» لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية لأول مرة في المغرب. وتتيح قراءة التصريح الوارد حول اللغة الأمازيغية في الدستور إبداء الملاحظات الموالية: أولا، لا ينبغي عد اللغة الأمازيغية لغة أقلية، وإنما رصيدا مشتركا لجميع المغاربة. ثانيا، صحيح أن الناطقين باللغة الأمازيغية لا يسمح بوصفها لغة أقلية، غير أن وصفها بكونها «رصيدا مشتركا» ينقلها من لغة إلى إرث ثقافي؛ أي لغة ثقافية على حد تعبير عبد الكبير خطيبي (٢٠٠٩: ١٩). ومن ثم، لا يصح أن تشكل مطلبا

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

حقوقيا؛ لأنها تشكل أحد الأمشاج الرئيسية للثقافة المغربية. ثالثا، يعد توصيفها بكونها «لغة رسمية» بعيدا كل البعد عن الأجرأة والتفعيل؛ لأن السلطات الحكومية لا يمكن أن تؤدي اختصاصاتها بلغة لا يعرف قراءتها وكتابتها مختلف المسؤولين الحكوميين، بل ومعظم المغاربة حتى الناطقين بها، على الأقل في الوقت الراهن. ومن ثم، فالدستور عندما يصف اللغة الأمازيغية بكونها لغة رسمية، وهو يعلم أن أية حكومة لا يمكن أن تضطلع باختصاصاتها باللغة الأمازيغية للمبررات المذكورة سابقا على الأقل في الوقت الحالي، يخفي صعوبة ترسيمها وفق المعايير المتداولة والمعروفة، كما هو معمول به في النطاق الدولي. لذلك، تضيف الوثيقة الدستورية «يحدد قانون تنظيمي مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، وكيفيات إدماجها في مجال التعليم، وفي مجالات الحياة العامة ذات الأولوية، وذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلا بوظيفتها، بصفتها لغة رسمية»(الدستور،٢٠١١:٤). رابعا، يسعف عد اللغة الأمازيغية لغة رسمية في إدخال الخيار اللغوي في المغرب إلى حظيرة الدول ذات لغات رسمية متعددة، مقارنة بالدول ذات الخيار اللغوي القائم على لغة رسمية واحدة. خامسا، تتم استعارة «الرصيد» من المجال الاقتصادي لوصف اللغة الأمازيغية. وبما أن الرصيد يمكن أن يكون موسوما بالانتعاش تارة، ويمكن أن يكون موسوما بالتضخم تارة أخرى، فإن اللغة الأمازيغية تمثل رصيدا منتعشا عندما تضطلع بالوظائف الثقافية الموكولة إليها، وتروج القيم المشتركة المنوطة بها على الوجه المطلوب؛ لأن «اللغة لا تخلقها القوانين، بل تخلقها قوة الاستعمال، وقوة النصوص التي تجري في دمائها» (حجفة،٢٠٠٨:١٥٣). وقد تصبح رصيدا متضخما عندما تتخلى عن وظائفها الثقافية، والقيم المشتركة الخاصة بها لصالح لغة أخرى تجاورها وتتعايش معها؛ لأن اللغات عندما تتجاور في سياق من السياقات تلجأ إلى استراتيجيتين. فإما أن تتخلى لغة عن بعض الوظائف التي تضطلع بها لصالح لغة أخرى توجد معها في الحيز الجغرافي نفسه، وإما أن تُخلق لغة مشتركة (Linguae franca) من اللغات التي تعيش في الحيز نفسه لتضطلع ببعض الوظائف المقتطعة (ناجح،٢٠٢٠:١٥). فاللغات تموت عندما تضيع فرص توظيفها واستعمالها.

ولأول مرة في تاريخ المغرب، يلتفت الدستور إلى «الحسانية» بوصفها اللهجة المتداولة في المناطق الجنوبية في المغربية. ويتحاشى وصفها باللغة، مثلما فعل تجاه اللغتين العربية والأمازيغية. فلا تدعي الوثيقة الدستورية إمكانية الإنجاح السياسي لها؛ لأن الفرق بين اللغة واللهجة يتمثل في كون اللغة لهجة ناجحة سياسيا، وفي كون اللهجة لغة فاشلة سياسيا. ونقصد بإنجاح اللهجة سياسيا إقدارها، من خلال سن مراسيم وقوانين، على الاضطلاع ببعض الوظائف في الحياة العامة للمواطنين المغاربة. لذلك، تؤكد الوثيقة الدستورية على ما يلي: «تعمل الدولة على صيانة الحسانية، باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية المغربية الموحدة» (الدستور،٢٠١١:٤). ويراد بمصطلح «صيانة اللغة»(language maintenance)، من الناحية اللسانية، استمرار استعمال اللغة الأولى (أي لغة الأقلية أو التراث)، أو الحفاظ عليها في واحد أو أكثر من مجالات استخدامها وتوظيفها. ويتم إيراد مصطلح الصيانة مقابلا للتحول اللغوي (Language shift) الذي يراد به الاستعاضة تدريجيا عن نسق لغوي مستعمل بنسق لغوي بديل (بوفالز(Pauwels,2016 :19)). ومن ثم، فالوثيقة الدستورية تعد «الحسانيَة» جزءًا من الهوية الثقافية المغربية الموحدة، غير أنها لا تخولها إمكانية الاستعمال في الحياة العامة من خلال تمكينها من الاضطلاع ببعض الوظائف بسن قوانين واستصدار مراسيم ذات صلة. بهذا المعنى، لا يمكن «للحسانية» أن تتيح للناطقين بها المشاركة في المناحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بواسطة «الحسانية»، مما يجعلها بعيدة كل البعد عن أداء الأدوار المنوطة بها في التفاعل الحضاري والثقافي مع مختلف المكونات اللغوية الأخرى.

إن تخويلها صفة جزء من الهوية الثقافية لا يلغي أن تصير في قادم الأيام مطلبا حقوقيا، لذلك، يتعين على الدولة أن تعي دور الحسانية في تشييد الصرح الديموقراطي الذي يسع مختلف المكونات الثقافية، وفي دورها في محاربة الأمية والهدر المدرسي، وفي قدرتها على تأهيل المكون الثقافي الحساني من أداء أدوار في مختلف المناحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ومع ذلك، فإننا لا نعني أبدا بالعدالة اللغوية التفريط في الأدوار الحضارية

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الموكولة إلى اللغة العربية.

وفي إطار التحول الذي وسم دستور (٢٠١١) بخصوص المسألة اللغوية، وفي سياق حرصه على الحفاظ على المكونات الثقافية للمغرب، يؤكد أن الدولة تعمل على «حماية اللهجات والتعبيرات الثقافية المستعملة في المغرب، وتسهر على انسجام السياسة اللغوية والثقافية الوطنية»(الدستور،٢٠١١:٤). إن التشديد على حماية اللهجات المختلفة في المغرب دستوريا يعني حماية التلوينات اللغوية المختلفة. وتستدعي الحماية سن قوانين وخلق آليات وتحديد المسؤوليات. وقبل أن نخوض في تحديد طبيعة القوانين والآليات، وتحديد المسؤوليات، نطرح السؤال: ما المقصود بحماية اللهجات؟ يراد بحماية اللهجات العمل على حمايتها من الانقراض بوصفها نوعا لغويا. في هذا الإطار، يتعيّن أن نشير إلى أنه ليس هناك استراتيجيات محددة يمكن اللجوء إليها من أجل حماية اللهجات. فلكل لهجة وضعها وسياقها الخاص. ومع ذلك، يمكن الاستفادة من التجارب الدولية التي عنيت بهذا الأمر، حيث يمكن أن تعمل الحكومة والشعب سويًا لتحقيق أهداف الحفاظ على اللهجة. فالحكومة، من جهتها، قادرة على التأثير المباشر في الوضع الرمزي للهجة عن طريق تسميتها، وجعلها مرئية داخل المجتمعات من خلال خصها بالبحث العلمي في كافة المستويات الداخلية والخارجية، وتوفير فرص تعليمية، ووضع معايير إجادة اللهجة من خلال تطوير مناهج دراسية، وعروض دورات تدريبية. وإذا كانت الحكومة يمكن أن توفر الحوافز والفرص لاكتسابها واستخدامها، فإن السلوك اللغوي للمتحدثين هو الذي يحدد في نهاية المطاف مصير اللغة أو اللهجة، لأن استخدام اللهجة هو الطريقة الوحيدة لضمان حيويتها؛ لأن القوانين لا تخلق اللغة، وإنما تنتعش بفضل قوة الاستعمال.

ومع ذلك، لا بد من طرح السؤال: لماذا تخص الوثيقة الدستورية «الحسانية» بالاسم، في الوقت الذي تكتفي فيه بإيراد «اللهجات» الأخرى؟ المتمثلة في «العرُوبي» بمجال المغرب الأطلسي، و«الجبلي» بمنطقة الريف الغربي ومقدمة الريف، والذي يعتبر مجالا لغويا أصيلا يعبر عن تمازج الأمازيغية بالعربية، المجال اللسني «البدوي»، وهو مجال

هامشي بشرق المغرب، يطابق المجال القبلي لبني گيل بالهضاب العليا، وأولاد الحاج بملوية، وأولاد يحيى وأنـگـاد (رامو،٢٠١٣: ١١١). هذا مع العلم أن هذه اللهجات التي لم تحض باسمها تغطي مكونات مجالية واسعة يفوق عدد الناطقين بها عدد الناطقين بالحسانية، وفقا لإحصاء المندوبية السامية للتخطيط (٢٠١٤). قد يرجع السبب إلى الحساسية التي تتصل بالحسانية؛ لأنها تغطي مجالا له علاقة بقضية الصحراء التي تعد قضية متصلة بالوحدة الترابية للملكة، بخلاف اللهجات الأخرى التي تعد مناطق داخلية لا علاقة لها بأي نزاع خارجي. ومع ذلك، نُؤْثر أن نكرر أن اللغة الرسمية لا ينبغي أن تشكل حائلا دون تفويت بعض الوظائف لهذه اللهجات قصد إتاحة الفرصة للناطقين بها للمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بلغتهم من جهة، وقصد تمكين ثقافتهم من التفاعل داخل الفضاء العمومي، مما يسمح للهوية المغربية من الخروج من منطق الوحدة القائمة على توظيف اللغة الرسمية، وتبني الهوية الوطنية الموحدة إلى منطق الوحدة القائمة على التعدد اللغوي، وتبني الهوية المتعددة المشارب الثقافية. وذلك من أجل تحقيق العدالة اللغوية القائمة على الاعتراف بالتنوع اللغوي داخل حدود الدولة والتأكيد الرمزي للمساواة بين اللغات، وتبني مبدأ الجهوية اللسانية الذي يتأسس على الاعتراف بحق كل جماعة لغوية في استخدام لسانها داخل حدود إقليمها في إطار تعدد لغوي متزن قوامه أرضية وطنية مشتركة.

إن تبني سياسة «اللاتمركز» منطلقا للتنظيم الإداري بالمغرب من خلال تبني الجهوية في التدبير، يتوافق مع تمكين هذه التنويعات اللغوية من حقها في الاستعمال من قبل الناطقين بها في المجال الخاص من جهة، وفي المجال العام من جهة أخرى، مما يسمح لهذه التلوينات اللغوية والثقافية بالاضطلاع بالدور المنوط بها في النهوض بقضايا التنمية في مختلف أبعادها؛ لأن العدالة الاجتماعية تقتضي ألا «يعامل الأفراد على أنهم متساوون سياسيا وحسب، بل التعامل أيضا مع معتقداتهم الثقافية على أنها معتقدات صائبة بصورة متساوية، وأن تتم مأسستها في المجال العام» (مجيد، حسام الدين علي،٢٠١٠: ٤٣) لكن،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ينبغي ألا يفهم من هذه التضحية باللغة الموحدة المتمثلة في اللغة العربية التي تعد لغة جميع المغاربة بصرف النظر عن تلويناتهم اللغوية أو اللهجية.

إن الاهتمام باللغة العربية واللغة الأمازيغية والحسانية ومختلف اللهجات يندرج ضمن ما يسمى بالحقوق اللغوية الضرورية المرتبطة بالهوية المغربية. ولم يفت الوثيقة الدستورية أن تولي عناية للحقوق اللغوية الموجة إلى التنمية من خلال نصه على ضرورة أن تعمل الدولة «على تعلم وإتقان اللغات الأجنبية الأكثر تداولا في العالم؛ باعتبارها وسائل للتواصل، والانخراط والتفاعل مع مجتمع المعرفة، والانفتاح على مختلف الثقافات، وعلى حضارة العصر»(الدستور،٢٠١١: ٤). في هذا الصدد، يُلاحظ أن الدستور حدد المعيار الذي يتعين أن يستند إليه اختيار اللغة أو اللغات الأجنبية المتمثل في «الأكثر تداولا في العالم»، وحدد الغاية من وراء ذلك، حيث عدها وسائل للتواصل والانخراط والتفاعل والانفتاح على الثقافات وحضارة العصر. وتعد اللغات الأربع «الأكثر تداولا» في العالم، وفقا لتصنيف موقع «اثنولوغ» (ethnologue)، هي: الإنجليزية، والماندرينية، والهندية، والإسبانية. وتأتي الفرنسية في المرتبة الخامسة. ويبدو أن الاستناد إلى معيار «الأكثر تداولا» في تحديد اللغات الأجنبية التي ينبغي أن يتعلمها المغاربة يعبر عن نزوع براغماتي ينضبط إلى الرغبة في جعل المملكة المغربية منسجمة سياسيا واقتصاديا وثقافيا مع المحيط الدولي. ومع ذلك، فالواقع يشي بخلاف ذلك؛ إذ ما زالت اللغة الفرنسية تهيمن على بعض الوظائف، وتعد اللغة الأجنبية المفضلة لدى المغاربة لارتباطها بالترقي الاجتماعي، وبأداء بعض الوظائف العليا ذات أهمية في المخيال الاجتماعي، مثل الهندسة، والطب، والجيش.

إن استقراء الوثيقة الدستورية يدفعنا إلى طرح استقراء واقع الحقوق اللغوية في المغرب. فرغم ادعاء أن اللغتين العربية والأمازيغية لغتان رسميتان، فإن اللغة الفرنسية ما تزال تضطلع بوظائف مهمة في السياق المجتمعي من خلال كونها تمثل لغة الترقي الاجتماعي، ولغة التعليم في المعاهد والكليات ذات التخصص العلمي والتقني، وفي كليات الطب

والصيدلة. إضافة إلى كون الخدمة الصحية ما زالت تستند إلى اللغة الفرنسية، حيث لازال الأطباء والصيادلة يقدمون وصفات للمرضى مكتوبة باللغة الفرنسية، وهو ما يعد خرقا سافرا للحقوق اللغوية للمواطن بالمغرب، وانحرافا عن منطوق الوثيقة الدستورية. ناهيك أن الأوراق الثبوتية، مثل: جواز السفر، وبطاقة التعريف الوطنية، ورسم الولادة، والأوراق النقدية، وغيرها من الوثائق الإدارية، ما زالت تقتسمها اللغة الفرنسية والعربية على قدم المساواة. وتُقدم فيها اللغة الفرنسية متماثلة مع اللغة العربية، رغم أن الدستور لم يشر إلى اللغة الفرنسية إطلاقا، ولا يمكن عدها اللغة «الأكثر تداولا» في العالم تبعا للإحصائيات الواردة في هذا الشأن، كما أشرنا إلى هذا سابقا. ومازال التحكم في اللغة الفرنسية حاسما في ولوج المناصب العليا. وبما أنه من «الضروري أن يكون التشريع اللساني في خدمة اللغات والسلم اللغوي؛ إذ يمكن من رسم مجالات الاستعمال، ومن معاقبة من لا يحترم التوازنات اللغوية المتفق عليها بعد أن تتبنى المؤسسات المؤهلة النصوص التشريعية اللائقة» (الفاسي الفهري،٢٠٠٣،١١)، فإنه يتعين أن تستصدر الجهات المسؤولة قوانين تعمل على أجرأة منطوق الدستور وتنزيله تنزيلا يراعي ما اتُّفِق عليه في هذا الشأن.

خاتمة وتوصيات

تناولنا في هذا البحث الحقوق اللغوية في المغرب من خلال رصدها في الوثيقة الدستورية ٢٠١١. وتتبعنا بعض تجلياتها في الواقع. وقد خلص البحث إلى أن المغرب، رغم اهتمامه بالحقوق اللغوية من خلال الوثيقة الدستورية، سواء الحقوق الضرورية أو الحقوق الموجهة للإثراء على حد تعبير كلوس، ورغم توقيعه على مختلف المواثيق والمعاهدات الدولية ذات الصلة بحقوق الإنسان، مازال واقع الحقوق اللغوية غير معتمد بالشكل الذي يسمح بانخراط المجال اللغوي في دفع قاطرة التنمية في أبعادها المختلفة. ويسهم في جعل مختلف التلوينات اللغوية مُشاركة في الفضاء العمومي. ويجعل التنوع اللغوي مواكبا للتطورات التي يشهدها المغرب في مختلف القطاعات السياسية

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والاقتصادية والاجتماعية والإدارية.

وخلص البحث أيضا إلى أن المغرب، رغم انخراطه في أوراش كبرى، مثل: الديموقراطية، والجهوية، والتحديث الإداري، والحكامة الجيدة، مازال غير مولٍ المسألة اللغوية العناية الكافية، بما يجعلها قادرة على مسايرة ركب مشاريع التنمية، وعلى مجاراة إيقاع التحولات التي تفرضها السياقات الداخلية والخارجية. وبما أننا نعتبر أن اللغة أو اللهجة تمثل طريقة لإدراك الكون، فإن الدفاع عن تخويل اللغة الحق في الحياة العامة هو تخويل طريقة الإدراك الحق في التفاعل مع باقي وجهات النظر من أجل عدالة الفضاء العمومي وتكافؤ الفرص فيه؛ لأن التعددية اللغوية طريقة للحياة والتفكير، وليست مجرد سبيل للاحتفاء بالتنوع الثقافي (جحفة،٢٠٠٨،٥٣). لذلك يوصي البحث بمايلي:

- تعليم اللغات الأم في المدرسة بوصفها لغات تندرج ضمن الحقوق اللغوية وفقا للإعلان العالمي لحقوق الإنسان اللسانية؛
- اهتمام الدولة باللهجات من خلال حمايتها وتشجيع البحث العلمي فيها للاستفادة مما تزخر به من معطيات ومعلومات ثقافية؛
- إنشاء معهد وطني لحماية اللهجات والتعبيرات الثقافية التي تزخر بها المملكة المغربية؛
- إنشاء الجمعية الدولية لحقوق الإنسان اللسانية يعهد إليها تتبع الحقوق اللسانية على الصعيد الدولي؛
- تضمين القانون المدني بنودا حول المسألة اللغوية؛
- استصدار قوانين تنظم استعمال اللغة وتوظيفها في المجال العام؛
- إجراء بحوث تنظر في علاقة الحقوق اللغوية بالديموقراطية والتنمية والعدل؛
- إجراء أبحاث حول علاقة الحقوق اللغوية بإدماج المرأة في الحياة العامة.

المراجع

- الإعلان العالمي للحقوق اللسانية،١٩٩٦.
- جحفة، عبد المجيد.(٢٠٠٨). الأبعاد السياسية للإشكالية اللغوية في المنطقة المغاربية، المستقبل العربي، العدد ٢٥٣،(ندوة).
- الجمعية العامة. (١٩٦٦). المعاهدة الدولية للحقوق المدنية والسياسية.
- حنون، مبارك. (٢٠٠٩). الوضع اللغوي بالغرب في أفق العولمة: نحو إيكولوجيا لغوية، مجلة فكر ونقد، العدد٢٤، المغرب.
- خطيبي، عبد الكبير .(٢٠٠٩). المغرب العربي وقضايا الحداثة، ترجمة أدونيس، أميرة الزين، الحبيب السالمي، عز الدين الكتاني، فريد الزاهي، محمد بنيس، المعطي قبال، مراجعة محمد بني، الطبعة الأولى، منشورات الجمل،بيروت لبنان.

رامو، حسن. (٢٠١٣). الخريطة اللغوية بالمغرب،مجلة أسيناگ- العدد الثامن، صص ١٢٧-١٠٥.

- عزوز، أحمد وخاين، محمد.(٢٠١٤). العدالة اللغوية في المجتمع المغاربي: بين شرعية المطلب والتوظيف السياسوي، الطبعة الأولى، مركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، لبنان.
- الفاسي الفهري، عبد القادر.(٢٠٠٣). اللغة والبيئة، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب.
- مجيد، حسام الدين علي.(٢٠١٠). إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر: جدلية والاندماج والتنوع، مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛٨٥)، بيروت، لبنان.
- معلوف، أمين. (١٩٩٩). الهويات القاتلة قراءات في الانتماء، ترجمة محسن نبيل، الطبعة الأولى،ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

- المقررة الخاصة التابعة للأمم المتحدة المعنية بقضايا الأقليات. (٢٠١٧). الحقوق اللغوية للأقليات اللغوية دليل عميل للتنفيذ.
- المملكة المغربية، الدستور، ٢٠١١.
- المندوبية السامية للتخطيط.(٢٠١٤). الإحصاء العام للسكان والسكنى، المملكة المغربية.
- ناجح، عبد الرحيم.(قيد النشر). التخطيط اللغوي: قراءة تحليلية في الرؤية الاستراتيجية٢٠١٥-٢٠٣٠ والقانون الإطار، مجلة النداء التربوي، ع٢٠،صص١-٢١.

- Chomsky, N .(1979). Language and Responsibility, London: Harvester.
- Grenoble, L. A., & Whaley, L. J. (2006). Saving Languages, Cambridge: Cambridge University Press.
- Hicks, Davyth A. (2016). Respecting linguistic diversity?Language Discrimination in the European Union, A Report on the ELEN, EFA-Greens, GUE-NGL European Parliament Hearing, the issues raised, and next steps for minoritised language rights.
- Kloss, H. (1977). The American Bilingual Tradition (Rowley, MA: Newbury House).
- Kymlicka, W. (2001). Politics in the Vernacular: Nationalism, Multiculturalism and Citizenship. Oxford: Oxford University Press.
- May, S. (2005). Language rights: Moving the debate forward. Journal of Sociolinguistics, 9: pp.319–47.
- McMahon, April, M.S. (1994). Understanding Language Change.

- Cambridge: Cambridge University Press.
- Nettle, D., & Romaine, S. (2000). Vanishing Voices: The Extinction of the World's Languages. Oxford: Oxford University Press.
- Pauwels, A. (2016). Language maintenance and shift, Cambridge University Press.
- Phillipson, R., & Skutnabb-Kangas, T. (1995). Linguistic rights and wrongs. Applied Linguistics, 16: 483–504.
- Pinker, S.(1995). The Language Instinct, London: Penguin.
- Skutnabb-Kangas, T. (2000). Linguistic Genocide in Education—or Worldwide Diversity and Human Rights? Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.
- Starkey,H.(2002). Citoyenneté démocratique : langues, diversité et droits de l'homme,guide pour l'élaboration des politiques linguistiques éducatives en Europe, de la diversité linguistique à l'éducation plurilingue, Strasbourg conseil de l'Europe.
- Tamir, Y. (1993). Liberal Nationalism . Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Trask, R.L. (1994). Language Change. London: Routledge.
- Weinstock, D. M. (2003). The antimony of language policy, in Language Rights and Political Theory, ed. W. Kymlicka and A. Patten, pp. 250–70. Oxford: Oxford University Press.

المواقع الإلكترونية

https://www.ethnologue.com/guides/ethnologue200.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اللغة الأم، الجانب المشؤوم من اللسانيات[1]

جون ديديي أوربان[2]

ترجمة: أ.د. فؤاد بوعلي[3]

مقدمة المترجم:

بالرغم من أن مصطلح «اللغة الأم» حديث النشأة والتداول، حيث لم يظهر في أوروبا الغربية إلا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، فقد غدا شائع الاستعمال في الدراسات اللسانية والاجتماعية والتربوية، خاصة بعد ترسيمه من قبل منظمة اليونيسكو التي اختارت له يوما عالميا للاحتفاء به، اعترافا بقيمته في تثبيت الانتماء الهوياتي والاكتساب اللغوي. فجل التعريفات التي تختزنها مصنفات المعاجم واللغويات تعرف، بشكل عام، اللغة الأم بأنها اللغة الأولى التي يتلقاها الطفل مباشرة من أمه في البيت، باعتبارها الدرجة الصفر في التواصل. لكن على الرغم من الاستخدام الشائع والمتداول، مازال المصطلح يحمل في ثناياه العديد من الإشكاليات المثيرة للسؤال وإعادة النظر تتعلق على الخصوص بالمقصود باللغة الأم وضبط حدودها وتمييزها عن باقي الأنساق اللغوية.

ويروم جون ديديي أوربان في هذا البحث «**اللغة الأم، الجانب المشؤوم من اللسانيات**» بسط رؤية مختلفة لمفهوم اللغة الأم من خلال تقديم تحقيب اجتماعي يربط المفهوم باستعادة

---

١ - بيانات البحث باللغة الفرنسية:
La langue maternelle, part maudite de la linguistique?. In: Langue française, n°54, 1982. Langue maternelle et communauté linguistique. pp. 7-28

٢-جون ديديي أوربان Jean-Didier Urbain، من مواليد ١ أغسطس ١٩٥١، عالم اجتماع فرنسي ولغوي وإثنولوجي متخصص في السياحة. أستاذ وحاصل على دكتوراه الدولة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية من جامعة باريس ديكارت (باريس ٥) عام ١٩٨٧ .

٣ - رئيس الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية بالمغرب، ورئيس المجلة المغربية لدراسات الترجمة.

المرأة لمكانتها في المجتمع وإثبات انحياز اللسانيات باعتبارها علما عقلانيا للرجل. فبالرغم من محاولة العديد من اللسانيين ضبط المصطلح واعتماده وتحديد مجاله المفهومي بقي متفلتا عن الضبط، لأن المدخل اللغوي لم يكن هو المدخل الطبيعي لرسم مجاله الدلالي بل ينبغي معالجة المفردة من خلال المدخل الاجتماعي حسب أوربان. «**فمصطلح اللغة الأم، المغمور عبر التاريخ تحت طائلة من المترادفات المترابطة، ينبغي إعادة النظر فيه من حيث الوحدة والقيمة الإجرائية**». فبعد تفنيد معنى اللغة الأصلية باعتباره مرادفا للغة الأم الذي تخلى عنه الدارسون منذ نهاية القرن الرابع عشر، ورفض النظرة «الاحتقارية» التي سادت عند معتمدي اللغة الاصطناعية، ودحض اليوتوبيات المؤسسة للمفهوم في المخيال العلمي للسانيات، يصل أوربان إلى اعتبار اللغة الأم، المصطلح الذي كان مشحونًا في فرنسا، بمعنيي اللغة المحكية في الأسرة واللغة الهجائية المقابلة للغة العمل والسوق، موضوع خطاب نسوي مؤسس على كونها كلام القوة الجديدة التي بدأت تستعيد أدوارها الاجتماعية. «**من يوتوبيا إلى أخرى، إنها جدلية غريبة بين كراهية اللغة الأم وحبها، التي هيكلت، في جزء أساسي منها، مخيال اللسانيات قبل العِلْمية**»

"تطغى عقبة إبستمولوجية على المعرفة غير المساءلة. وعلى المدى الطويل، يمكن أن تغدو عادات فكرية كانت مجدية في زمن معين معيقة للبحث. وكما يقول برغسون: لعقلنا نزعة قوية كي نعتبر الفكرة الأوضح هي الفكرة الأكثر استعمالا. وهكذا تكتسب الفكرة وضوحا جوهريا مسيئا، ويجري تقويم الأفكار دون وجه حق تقويما استعماليا»

ج.باشلار، تكوين العقل العلمي

يروم هذا البحث إعادة النظر في معنى لفظ واستعماله، ومراجعة تداوله المعتاد على الخصوص، من خلال مساءلة صورته الثابتة السائدة في اللسانيات. إذ يبدو أن مفهوم اللغة الأم ليس واضحا وثابتا، كما تحاول مختصرات القواميس إيهامنا ودفعنا إلى الاعتقاد بالقول:

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

- «اللغة الأم هي لغة البلد الذي ولدنا فيه»[4].
- «اللغة الأم هي لغة البلد الذي ولدنا فيه، أو لغة الجماعة التي ننتمي إليها من خلال أصولها: عَلَّمَتهُ المُرَبِّيَةُ الحَديثَ بِالإنجَلِيزيةِ باعتبارها لغته الأم(تريولي)..»[5].

أين الأم إذن؟

لا نتحدث هنا إلا عن اللغات الوطنية أو الجهوية، واللغات الرسمية واللهجات. إن «اللغة الأم، كما تكرر خطأ القواميس، هي لغة البلد الذي ولدنا فيه»[6]. بالطبع، يمكننا القول دائما بأن لفظة الأم هنا مجازية: اللغة الأم هي لغة الأرض الأم، هي لغة الأصول. لكن هل يمكننا الاستنتاج بأن المصطلح، منذ وضعه في القرن السادس عشر، لم يكن إلا انطباعا، بدون أي إحالة إلى الفرد الاجتماعي الواقعي للأم؟. يظهر لنا أن الرد بالإيجاب على هذا السؤال سيكون بالتخلص السريع من التعقيد المحيط بالمفهوم، والملاحَظ من قبل العديد من اللسانيين، دون البحث فيه.

منذ زمن طويل، حاول العديد من اللسانيين ضبط المصطلح، المُرْبِك في حد ذاته، بإعادة تعريفه دون توقف، وتحديده بشكل مختلف، أو بناء أنموذج من المصطلحات «المتماثلة». وهكذا، يقترح ويتني Whitney تماثلا بين اللغة الأم واللغة الأصلية[7]. هل هذا إيضاح، أو تغيير، أو تعقيد مفيد للمصطلح؟. كما تزعم «ترجمات» أخرى، مترددة بشكل أكبر عند علماء الاجتماع اللغوي الغربيين، أن اللغة الأم يمكن أن تكون محلية أو وطنية[8]، مشتركة أو طبيعية أو أولية، وأيضا بدائية أو أصلية. ويتصورها البعض أقرب إلى كونها عامية محلية، أو لغة خاصة من بين لغات أخرى، أو لغة عائلية، أو شفوية، أو تداولية، أو عادية،

4- Dictionnaire Encyclopédique Quillet, éd. 1975, article langue

5- Lexis, Larousse 1977, article maternel, elle

6- J. Cellard, La Vie du langage, Le Robert, coll. « L’ordre des mots » (« Quand la langue se fait maternelle ..). Paris. 1979.

7- W. D. Whitney, La vie du langage, Paris. 1892 (F. Alcan éd.. 4e éd.). chap. II. p. 7.

8- Cf., par exemple, J. Fishman. Sociolinguistique, Paris-Bruxelles. Nathan-Labor. 197 1. p. 122.

ولغة للبادية أيضا، أو دارجة، إضافة إلى أن الفهم العام، يشرك مصطلح اللغة الأم طوعيا بفكرة كلام الطفولة، ورطانة المربيات، وحديث الأطفال(baby talk...).

إذن ينبغي طرح بعض الأسئلة التي لا يطرحها عادة العديد من اللسانيين على الرغم من عنايتهم بهذه «اللغة»[٩]. فما هي بالضبط اللغة الأم؟ وهل توجد أصلا؟ وألا يتعلق الأمر بالأحرى بخيال نظري؟ وإذا كانت موجودة بالفعل، كيف توجد؟ ومن أين أتت؟ وما وضعها الاجتماعي؟ وما وظيفتها؟ وما معناها الجوهري؟ وبناء على أي مبادئ، أو في أي سياقات سوسيو—— تاريخية تم تمييزها وإدامتها؟ وهل لهذه اللغة معنى؟ وهل هو أصيل؟. لا شيء يبدو واضحا فيما يخص اللغة الأم. **فالواضح هنا هو الاستعمال المتواتر للمصطلح في خطاب اللسانيين**. بعد هذه الملاحظة الأولى، نجد أنفسنا في مقابل وحدة سيميائية ملتبسة ومتعددة الأشكال، وصعبة التحديد أو التأويل بشكل عام. إذ ينبغي إعادة النظر في مصطلح اللغة الأم، المغمور عبر التاريخ تحت طائلة من المترادفات المترابطة، من حيث الوحدة والقيمة الإجرائية. فهل يتعلق الأمر بلهجة فردية idiolecte، أو لهجة، أو لهجة جهوية، أو لهيجة مجتمعية، أو لهيجة قديمة، أو كل هذا في الوقت نفسه؟

انتشرت الصورة الأمومية للغة، تاريخيا، في كل فصول اللسانيات، وقد شكك نجاح هذه الصورة، دوما، في مساهمتها في زعزعة هذا المفهوم. فقد كان هذا المفهوم المنتشر في الزوايا الأربع للسانيات موضوع انفجار أنموذجي؛ لأنه كان دقيقا وشاملا وغامضا في نفس الوقت، لكن يعاد توجيهه دوما باعتباره مجال تعدد دلالي منبثق عن إجماع إيبستيمي غريب مضاد لكل حقيقة علمية.

لقد نجحت هذه الصورة منذ أكثر من ستة قرون. لماذا؟ فقد كتب باشلار في يوم من الأيام: "**حب صورة ما هو أن تجد، بدون أن تعرف، مجازا جديدا لحب قديم**"[١٠]. وإذا كان الأمر يتعلق هنا بالكره؟!. فبعد أن استعملت اللسانيات، طيلة قرون، الصورة

9- Cf.. par exemple, L'Emploi des langues vernaculaires dans l'enseignement, Paris. UNESCO. 195

10- .G. Bachelabd. L'eau et les rêves, Paris. J. Corti éd.. 1976. p. 157

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الاستعارية للأم ووظفتها، فقد غدا من الأساسي اليوم إبراز كيف تُلفَظ وتُشرَح هذه التعددية الدلالية وتحديدها، إضافة إلى كيفية استعمال مصطلح اللغة الأم، أو الأحرى، غموضه المثير في هذا المستوى الأول من التحليل. فمما لا شك فيه أن التحويل المجازي الأمومي للغة، مثل عدة مجازات أخرى، وعلى قدر دوامه بشكل دقيق، فضلا عن كونه ترجمة لمواضعة إيديولوجية غامضة للسانيين، يجب أن يكون إحالة إلى التنظيم الاجتماعي أو السيكولوجي للمجتمع كما يقول شوفاليي[١١]. وبالرغم من أننا نروم بهذا التحقيق التاريخي الوصول إلى تأكيد الفرضية الأخيرة وتوضيحها، فإننا لا نرغب في رسم تاريخ للمفهوم، ولكن نعيد تشكيل نسق للتفكير يُمَكِنُنا ــــ من خلال تسلسل الأحداث ــــ من الاقتراب من المعنى العميق لهذا المصطلح والرهان الإيديولوجي الذي يخفيه ويثيره في الوقت نفسه[١٢].

١ - في عصر اليوتوبيا الأولي: الكلام الأصلي

في سنة ١٣٦١، نقل نيكول دورسيم Nicole d'Oresme إلى اللغة الفرنسية تعبيرا موجودا في اللاتينية القروسطية، هو عبارة اللغة الأم[١٣]. فلكونه رجل علم (حيث ترجم لأرسطو) وصاحب سلطة (هو أسقف ليسيو[١٤]) يرغب دورسيم عن طريق هذا المركب، في فرنسا التي مازالت منقسمة لغويا، تحديد مستوى معين من اللغة الفرنسية، من

Cf. J .-Cl. Chevalier, « Note sur la notion de synonymie chez trois grammairiens des XVII et XVIII siècles » in Langages 24 : -11 épistémologie de la linguistique (dir. J. Kristeva), Paris, Didier-Larousse, 1971, pp. -10 et suiv. Cl. également J.-E. Schlanger, Les métaphores de l'organisme, Paris, J. Vrin éd., 1971. pp. 258 et suiv.

١٢- ج. باشلار. تكوين العقل العلمي، باريس، طبعة ج فران،١٩٣٨.ص ١٧: «يجب على مؤرخ العلوم أن يأخذ الأفكار باعتبارها حقائق. ويجب أن يأخذ الإيبستمولوجي الحقائق باعتبارها أفكارا بإدخالها في نظام الفكر». وانظر أيضا ل.أبوستيل «إيبستمولوجيا اللسانيات» في العقل والمعرفة العلمية (إدارة بياجي)، باريس، كاليمار، ١٩٦٧، ص ١٠٥٦: «موضوع إيبستمولوجيا اللسانيات هو دراسة اللساني نفسه، وبالتالي دراسة أهدافه ووسائله الأقل أو الأكثر فعالية، المتاحة له، وفرص نجاحه أو فشله» .

١٣ - يعود التعبير باللغة اللاتينية إلى القرن الثاني عشر، وفقًا لدو لانج، الذي يستشهد بقانون يقابل فيه بين maternaliser: «في اللغة المبتذلة» إلى litteraliter: «باللغة اللاتينية». (أشكر ج. باتاني على هذه المعلومات).

١٤ - ليسيو (بالفرنسية Lisieux) بلدة فرنسية تقع شمال غرب فرنسا في منطقة نورمندي.

الأوكيتانية أو الأويل١٥، يقابل اللاتينية لغة العلم والفكر. يَقصد إذن باللغة الأم اللغة الجهوية أو المحلية، لكنه يقصد أيضا اللغة المشتركة، ولغة الاستعمال الأدنى. وقد كان بمقدور دورسيم الاكتفاء بعبارة اللغة المشتركة لتحديد هذا المستوى المتدني من اللغة، لكنه فضل، لإثارة هذه الحقيقة اللسانية، وضع صورة الأم في الأمام، ومن خلالها صورة المرأة. لذا فهو يتحدث عن «اللغة الأم والمشتركة». واختيار هذا الترتيب في التسمية ليس صدفة، إذ يشير إلى الترتيب الاجتماعي في القرن الرابع عشر كما يوضح قائلا: «**انطلاقا من القرن الرابع عشر، سنشهد تراجعا متتاليا وبطيئا لوضعية المرأة في المنزل. فقد فقدت حق استبدال زوج غائب أو مجنون...وفي النهاية، ستصبح المرأة المتزوجة، في القرن الرابع عشر، عاجزة بشكل كامل، وكل الأفعال التي تقوم بها بدون إذن من الزوج أو القضاء ستكون باطلة بشكل مطلق**»[١٦].

نرى الآن في أي سياق اجتماعي أخذ الإبداع الاصطلاحي لنيكول دوريسم مكانه، إذ ليس فيه أي مجاز، ومفهومه جلي. بهذه التسمية الجديدة، العنصرية بشكل أساسي، رأى النور مشروع سياسي مزدوج عبر سلمية لسانية بدائية تتمثل في احتقار اللغات الجهوية والمحلية، وإقرار الاحتقار الاجتماعي للمرأة على الصعيد اللساني. وسيكتمل هذا المشروع فيما بعد، كما تقول ريجين بيرنود Régine Pernoud: «**في نهاية القرن السادس عشر، وبمرسوم من البرلمان مؤرخ في ١٥٩٣، ستستبعد المرأة ضمنيا من كل وظيفة في الدولة. لن يتأخر التأثير المتنامي للقانون الروماني القاضي بسجن المرأة في مجالها المميز على الدوام: العناية بالمنزل وتربية الأبناء**»[١٧]. وتضيف فيما بعد مباشرة قائلة: «إلى حدود هذا الوقت، حيث سينزع منها حتى هذا بالقانون، لأنه مع القانون النابوليوني، كما نلاحظ، لم

١٥- من الناحية التاريخية، الأويل هي لغة رومانية تطورت في الجزء الشمالي من بلاد الغال، و الجزء الشمالي من فرنسا، وجنوب بلجيكا وفي الجزر الأنجلونورماندية، والتي كان يتحدث بها في العصور الوسطى. من ناحية أخرى، تعتبر لغات الأويل مجموعة من اللغات الغالية الرومانية حافظت هذه المجموعة الشمالية على رواسب سلتية وقد خضعت لتأثير الجرمانية أكبر من شقيقتها الأوكيتانية الرومانية الجنوبية.

16- P. Petot, « La famille en France sous l'Ancien Régime » in Sociologie comparée de la famille contemporaine, Colloques, CNRS, 1955, cité par P. Ariès in L'enfant et la vie familiale sous l'Ancien Régime, Paris. Le Seuil, coll. « Point », 1975. p. 239.

17- R. Pernoud. Pour en finir avec le Moyen Age, Paris. Le Seuil. 1977. p. 99.

تعد مسؤولة حتى عن ممتلكاتها الخاصة ولا تؤدي في بيتها إلا دورا ثانويا. فمنذ مونتاني إلى جان جاك روسو، الرجال هم من يشكلون مراسيم الإبعاد»[١٤]. ونضيف إلى هذا أن الرجال، منذ نيكول دورسيم، هم الذين يحددون قيمة اللغة الأم كما هي، ومن ثمة الوضع السوسيو لساني للمرأة ودورها الاجتماعي...

لكن، طيلة هذه الحقبة، لم تكن المرأة، الأم على الخصوص، و«لغتها»، مجردتين من سلطتهما بشكل نهائي كما نعتقد. فقد عرفت المرأة -الزوجة، باعتبارها موضوعا سياسيا، في ثلاثة قرون، تراجعا ملحوظا بموازاة احتقار قدرتها اللغوية المنبوذة في عالم الاستعمال المتدني، في الوقت الذي استفادت فيه المرأة – الأم وابنها، كمتكلمين، من المتخيل اللساني للحقبة. إذ يوجد فيهما جانب مازال سحريا يربطهما بأصول اللغة، مما يجعلهما مهمين في أعين النخبة الذكورية والمثقفة. وهكذا تشكل الأم والابن زوجا مقدسا للاشتباه في قدرتهما على إعادة فتح الطريق نحو اللغة قبل – البابلية: الواحدة والكونية. نشير إلى أنه من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر بشكل أدق، اكتُسِحَت الصور الرمزية الدينية من طرف التمثيلات الأمومية للعذراء، الأم الأسطورية. هنا وتَأَثَّرا بنوع من العجائبية تتمتع المرأة بتقدير خارج اجتماعي. مسجونة في المنزل، وفي ميثولوجيا الأزمنة أيضا. لكن ابنها هو الذي ينقذها من التشويه الكامل، لأنه يتواصل مع الأصول، وتغدو بتواصلها معه بهذه الآلية، الصلة الأساسية لاكتشاف الفعل المفقود. «**يخرج الابن، باعتباره مولودا جديدا، من اللاوعي، الذي يعد القاعدة الأساسية للطبيعة الإنسانية أو، لنقل بشكل أفضل، لقد ولد من الطبيعة الحية بشكل عام. إنه يجسد القوى الحية التي تقيم خارج الدائرة المحدودة للوعي، وللطرق والإمكانيات التي يجهلها هذا الأخير في تحيزه**»[١٨].

18- G.G.Jung. « Contribution à la psychologie de l'archétype de l'enfant » in C G. Jung-C. Kérenyi. Introduction à l'essence de la mythologie, Paris. Pavot. 1968. p. 130

ستكون الأم، أو المربية، هي «الوسيطة» والمترجمة التي تمكن من إقامة الاتصال مع لغة الجنة، لأنه هناك «**علاقة بين الأم والطفل والموسيقى تعود إلى العالم الأصلي**»[١٩]. وستصبح اللغة الأم في هذه الرؤية الصوفية، انبعاثا موسيقيا -كلاميا يبرز لا وعي العالم، باعتباره تلَفُّظا بدائيا وخالصا، يمنح الرجال «المستلبين» سر لغة الأصول...لهذا تعتبر اللغة الأم، في إطار الحوار أم – طفل، محتقرة من جهة، لكنها مدعمة هذه المرة من طرف سر الأصول، حيث تعرف نوعا من إعادة التأهيل التعويضي والتقديري. إنها صوت الطبيعة! ومن ثمة «يصبح «هذيان» الأطفال ولغة المربيات موضوعين لتفكير خاص، ليس من خلال قلق علمي غير مهتم، ولكن من خلال الحنين إلى «حالة» يعتقد أنها طبيعية، متماثلة عند كل الرجال[٢٠]. وفي الواقع، إنه حنين الرجال المغذى بأسطورة الفعل المفقود، الذي يحافظ في القرن السادس عشر، بشكل متناقض، على نوع من الثقل الوجودي للمرأة وقيمة معينة للغتها، على الرغم من احتقارها على كل المستويات. لنلاحظ على الخصوص، بأنه ابتداء من هذه الحقبة، سيلازم الغموض والاحتقار والاحترام والنبذ والندم مفهوم اللغة الأم. فهي محتقرة سياسيا باعتبارها لغة منزلية للاستعمال المتدني، في حين يبالغ في تقديرها باعتبارها لغة مثلى من حيث قربها من الأصول. إنها إذن لغة أصلية ومبتذلة، لغة خالصة وغير خالصة في الوقت نفسه....

وهكذا سيكون لهذه المحاولة، القوية في القرن السادس عشر، لتحديد اللغة الأصلية من خلال اللغة الأم التي تعتبر مظهرا اصطلاحيا للكلام الأسطوري الذي يتضمنه الحديث اليومي، أتباع مستترون إلى حدود القرن الثامن عشر. فقد زعم الأب بيرزون، رئيس دير شارموي: «**بأن اللاتينية تنحدر من لغة قدماء الغاليين أو السيلتيين، لكن لا أحد اقتنع برأيه: لقد اقتيد إلى هذه الفكرة بالعلاقات التي لاحظها بين اللاتينية واللغة البروتونية le Bas-Breton**، التي تعد لغته الأم، حيث ولد في هانيبون، في أبرشية فانس.

19- C. Kérenyi, « L'enfant divin ». in C. G. Jung-C. Kérenyi. Introduction à l'essence de la mythologie, op. cit., p. 89.
20- C. G. Dubois, Mythe et langage au seizième siècle, Bordeaux, Dueros, 1970, p. 57..

طبع كتابه حول هذا الموضوع في ١٧٠٣»[٢١]. لكن هذه الحالة الأخيرة لفضل اللغة الأم، التي علقها الرجال بأسطورة الأصول، ستصبح، مؤقتة وزائلة منتهية فيما بعد. ما هو سبب هذا السقوط الثاني؟ منذ نهاية القرن الرابع عشر أسقطت يوتوبيا التأصيل الملازم لتبديد وهم الكلام الطفولي، ومن باب أولى، كلام الأم أو المربية.

٢ - في زمن اليوتوبيا الثانية: الكلام الاصطناعي

يرتبط انهيار اليوتوبيا الأولى، ابتداء من هذه الفترة، بكون الملاحظة المنهجية تقوض الكمال المتخيل «للغة الطبيعية» للطفل. اللغة ليست فطرية ولا تعكس أي كلام أصيل: إنها مكتسبة، تتكون بتدرج بواسطة تعلم بطيء. إذ يحطم هذا المفهوم الأخير كل أسطورة، لأنه يجعل من اللغة الطفولية «**لغة ناقصة وجنينية، حيث، ببساطة ومقارنة باللغة الموضوعة، تشهد الفوارق على صعوبات التعبير لجهاز لم يهيأ جيدا للاشتغال**»[٢٢]. ومن ثمة، نتوجه إلى دراسة الإجراءات الفيزيولوجية لاكتساب اللغة، وهذا الموقف الإيبستمولوجي الجديد، البدهي والعادي، هو أصل التغيير الجذري لفلسفة الكلام في الغرب، حيث لم تعد اللغة المثالية توجد في الماضي فقط، ولكنها موجودة في المستقبل أيضا.

كيف أصبحت اللغة الأم إذن في سياق هذا الانقلاب الكرونولوجي لليوتوبيا؟ لقد غدت غير ذات جدوى، وموضوع انتقادات لاذعة، مثل نقد لورون جوبير حين قال: «**من خلال استعمالهم لكلمات غريبة وغامضة متأثرين بالنساء اللواتي علَّمْنَهُم أغلَبَها وتَلَعْثَمْن بها معهم، وتقليدا للأطفال الآخرين، الذين يتحدثون بهدوء، فإن الكلمات الأخرى التي يبدو أنهم اخترعوها وألصقوها على عدة أشياء ليست إلا كلمات محرفة بتسميات حقيقية، يشوهونها أو يفسدونها بطرق عديدة**»[٢٣].

-21 Rapporté par Court de Gébelin in Monde Primitif, analysé et comparé avec le monde moderne, considéré dans les. origines latines; ou Dictionnaire étymologique de la langue latine, Paris, éd. Nyon rainé, nouvelle édition 17'K) (lre éd. 1776). Discours préliminaire sur les origines latines, 1 re partie, art. 111. S v.

-22 C.-G. Dubois, Mythe et langage..., op. cit., p. 105

-23 L. Joubert, « Question vulgaire : quel langage parlerait un enfant qui n'aurait jamais ou y parler ».in Erreurs populaires, Lyon 1608, cité par C.-G. Dubois, op. cit., p. 105.

جملة القول! لم تعد لغة الأم أو المربية، في هذه الشروط، حتى واسطة مفيدة بين الأطفال والرجال، بما أنها تثير في التعبير الطفولي نوعا من الثبات، وربما نوعا من «الانحراف». الأكثر من ذلك، وباعتبارها لغة ناقصة، فإنها تترك آثار نقصانها في الكلام المؤلف من طرف الكبار[٢٤]، في النبرات والمُدَد، والصيغ والمصطلحات الجهوية غير المناسبة و«المبعدة» كذلك. وهكذا فقد أصبح الانقلاب شاملا، حيث أصبحت اللغة الأم حاجزا في الطريق المؤدي إلى اللغة المثالية. ومن خلال هذا النقصان الثاني لقيمة اللغة الأم، يدرس الباحثون القاعدة باعتبارها إيديولوجيا الاستعمال الجيد، واحتكار الرجال للبيداغوجيا، ومن ثمة «مطاردة «اللهجات» و«الدَّوارِج» فيما بعد...»[٢٥].

كيف أصبح الشخص الأمومي ولغته في الكتابات العالمة؟

لقد عمل القرن السادس عشر، بكل جسارة، على إخفائهما بشكل تام. حيث حاول ج.دو كورديموي إثارة دور المربية في اكتساب اللغة[٢٦]- باعتبارها دليلا على أن المرأة ليست مستبعدة بشكل مطلق، كما يمكننا أن نتصور، عن الدوائر اللسانية اليومية ــــ لكن الأكاديمية الفرنسية، في ١٦٩٤، ستعتبر الإملاء هو ما يميز «**الرجال القارئين عن الأميين والنساء العاديات**»[٢٧]- وهو دليل على أن لغة الأم إذا كانت ما تزال موجودة، فهي محبوسة في فضاء المنزل، وليست سوى لغة فقيرة مسجونة في الحدود الضيقة للشفهي الهامشي. اللغة الأم هي لغة الأمية المخجلة، التي ينبغي تجاوزها بسرعة، ورميها ونسيانها. وبالفعل، يرغب الرجال في الوصول إلى اللغة المثالية دون العودة إلى المرأة: إذ يكفي العقل وحده، بتحوله نحو المستقبل، واكتشاف اللغة الكونية. وبعبارة أخرى، فإن التفاف الطبيعة بواسطة المكون النسوي والحيواني[٢٨] للتواصل اللفظي، لم يعد ضروريا.

24-. C.-G. Dubois, id. p. 103.

25-'Cf. à ce propos, M. de Cehteau. D. Jui.ia & J. Revei.. Une politique de la langue (la révolution française et les patois), Paris, Gallimard, 1975.

26- G. de Cordemoy, Discours physique de la parole, Paris, Copedith, coll. « La Bibliothèque du Graphe ».1470 (reproduction du texte de l'édition de 1704).

27- Déclaration rapportée par Th. Zeldin. Histoire des passions françaises : 2. Orgueil et intelligence, Paris. Le Seuil, coll. « Points » 1980, p. 199.

28- « 12-Nature » : organe sexuel des femelles. Travaux de la section de linguistique et de folklore..., Dijon 19 » cité par Y. Verdier, Façons de dire, façons de faire, Paris, Gallimard, coll. « Bibliothèque des sciences humaines », 1979, p. 41.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وهكذا يقرر الأب ميرسين Mersenne ما يلي: «**ليس ضروريا أن تكون لغة ما طبيعية لتكون الأفضل من كل اللغات، لكن يكفي أن تعبر بشكل أكثر وضوحا وإيجازا كما لا يمكن أن تفعلها أفكار العقل ورغبات الإرادة**»[٢٩]. وهكذا فلغة الأم، المبعدة نهائيا من دورها كوسيط بين الرجال واللغة المثالية، هي فكرة لغة مشكلة من طبيعة يمكن محوها، بينما «**تتأكد إمكانية التشكيل من كل القطع لغة اصطناعية أكثر اكتمالا من اللغات الموجودة**»[٣٠]. وبالإضافة إلى ذلك، يتجسد هذا المشروع الذي أقره ديكارت – «**أؤكد أن هذه اللغة ممكنة، ويمكن أن نجد العلم الذي تنتمي إليه**»[٣١]، ليس فقط في رغبة التصويب المنطقي للغات المستعملة، ولكن الرغبة أيضا في تشييد مسلمة أو قانون دستوري للغة، باسم المنطق وضد الطبيعة المخادعة في المرحلة النهائية، قانون «مُشوَّه» خاص بمراقبة ورصد وتمييز وحظر كل «الانحرافات» اللغوية الفردية، المحلية أو الجهوية. كما تتخلص يوتوبيا اللغة الاصطناعية من الأسس الفلسفية لكل سياسة لسانية، فإنها تثير أيضا اللامفكر الاجتماعي واللاوعي العلمي المؤسس للقرن السادس عشر، الذي يتمثل في تقعيد اللغات العامية غير الموافقة للنموذج، وتوحيدها، وخصوصا تلك المحكوم عليها بالاندثار على المدى المنظور أو الطويل، ويقصد بها التعابير اللاعقلانية التي ليست لها كتابة، والخاصة بالأميين والنساء....فحين تأسست الأكاديمية الفرنسية في ١٦٣٥، بدأ عصر الأنحاء الكلية وشرعت النمذجة اللسانية الزجرية في التشكل، حيث غدت اللغة آنئذ مراقبة بشكل وثيق من طرف الرجال، على غرار المرأة المدانة بالبقاء في البيت.

نلاحظ من حينه بأنه في أعقاب «نبوءات» الأب ميرسان، لا يمكن الانخراط في اليوتوبيا الجديدة دون أن نثير مواقف ارتياب و«تردد» عند بعض كبار المفكرين. لا يمكننا بهذا الشكل التخلص من الأم، إن أمكننا القول... واحد من الوجوه الأكثر إثارة في هذا السياق هو بدون منازع ليبنتز. إذ يمكننا القول، بلا شك، بأن ليبنتز اختار، بعد لوك، رؤية

29- Mersenne, Harmonie universelle, 1636. Traité de la Voix et des Chants, 1. I, prop. XII, p. 12, cité par K. Lenobi.e. Mersenne ou la naissance du Mécanisme, Paris, J. Vrin, 1943, p. 515.

30- G. Gusdorf, Les sciences humaines et la pensée occidentale III : La révolution galiléenne, Paris, Payot, 1969. t. II, p. 338

31- R. Descartes, «Lettre au Père Mersenne, 20 novembre 1629» in Œuvres philosophiques (éd. de V. Alquié), Paris, Garnier, 1963, t. I. p. 232.

بنائية للغة تجعل من الممكن إعداد ميتالغات تركيبية مثالية[٣٢]. وهكذا «**يتحول البحث عن اللغة المثالية والأصلية، عند باكون وليبنتز، إلى بحث عن اللغة الأفضل للمستقبل التي ينبغي تشكيلها انطلاقا من الملاحظات المقدمة على اللغات المستعملة في الواقع**»[٣٣]. لكن ليبنتز لا يزاوج، رغم ذلك، بين الراديكالية الميكانيكية والصناعية الديكارتية. بالنسبة له، لا يتعلق الأمر، في أي وقت من الأوقات، بإغفال المعطيات الفيلولوجية باسم المنطق الخالص. إضافة إلى ذلك، وكما يشير ج.وسدورف G. Gusdorf، يجب أن نرى بوضوح أن أسطورة الأصول ما تزال تحتل مكانها عند هذا الفيلسوف «البنيوي»، وأن البحث عن اللغة المثالية يجب أن يكون مُضَمَّنًا، بغض النظر عن حداثة الأسلوب، تَوْقًا إلى اللغة الأصلية[٣٤]. لا يمكن بناء اللغة المثالية للمستقبل، التي ستكون اللغة ما قبل البابلية المعاد اكتشافها من قبل العقل، حسب ليبنتز، خارج العالم، في غرفة أو على طاولة فارغة. يجب الذهاب إلى الأرياف للبحث عن المهجورات اللغوية، مما سيمكننا من فهم العبارات المعاصرة. يجب ألا ندمر أي شيء، بل على العكس من ذلك، يجب أن نرصد كل شيء. لا ينوي ليبنتز، على الرغم من هيامه بالمنطق البنيوي، رفض لغته الأم كما يفعل البعض. فهو يريد فقط، وبشكل أكثر دقة وأقل راديكالية، المصالحة بين التاريخ والمستقبل، والمساعدة على تطويرها إلى درجة أن تصبح لغة للثقافة[٣٥]. لا يريد التدمير وإنما التغيير، ولا يرغب في الازدراء وإنما التطوير. ومن ثمة، لا نجد عنده فكرة القتل الرمزي للأم من خلال الإنكار الخالص والبسيط للغة الأم، ولكن احتراما حقيقيا لأم مجازية، فهي البلد والقرية، وسكانها هم من يشكل «**الأم الموسعة بشكل كبير، الأزلية والمُسْقَطة على اللا نهائي**»[٣٦]. لن يتوقف ليبنتز، بشكل أكثر تحديدا، عن الدعوة للجوء المنهجي إلى أساليب التحقيق في الميدان، وسيكون أحد الرجال القلائل في وقته، الذين يؤكدون على أهمية الكلام الشعبي والتقليد الشفوي.

32- Cf. J. Kristeva, Le langage, cet inconnu, Paris. Le Seuil, coll. « Points », 1981, p. 173.
33- L. Apostel. « Epistémologie de la linguistique », op. cit., p. 1067.
34- Cl. G. Gusdorf, La révolution galiléenne, op. cit., p. 321.
35- Cf. G. Gusdorf, id. p. 311.
36- M. Bonaparte, citée par G. Bachelard in L'eau et les rêves, op. cit., p. 156

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

على العكس من ذلك، لازمت يوتوبيا اللغة الاصطناعية عند البعض مواقف وجدانية بارزة، تتجلى في كراهية صريحة للغة الأم التي اعتبرت لغة ضعيفة وعديمة الجدوى بشكل قاطع. وهو ما تبناه السير روبرت بويل Robert Boyle (١٦٢٧-١٦٩١)، الذي يعترف، بعد أن انشغل بالرياضيات والفيزياء والكيمياء، بإحجامه دائمًا عن تعلم لغته الأيرلندية الأم، مثل دراسة الكلمات التي تبدو له عبثية وغير مجدية حيث يقول: «**لقد منحتني المعرفة الحقيقية هذا النفور والازدراء بسبب الدراسة غير المجدية للكلمات، ليس فقط لأنني زرت بلدانا مختلفة دون أن أقوم بدراسة اللغة، لكنني لم أتمكن أبدًا من العزم على تعلم لغة المملكة (أيرلندا)، حيث ولدتُ وترَعرعت لسنوات**»[٣٧]. يمكننا تبرير هذا الموقف من خلال التذكير بأننا شهدنا في القرن السابع عشر تشكل لغات فيزيائية - رياضية «**حيث الوضوح التام يتناقض كلية مع عدم كفاية اللغات المستعملة**»[٣٨]، كما دعا روبرت بويل وآخرون إلى جبرنة[٣٩] حقيقية للتعابير اللفظية المشتركة من أجل استخراج منطقها الأساسي. لكن ألا يؤدي تصور إعادة الترميز الاصطناعي للغات إلى تدمير رمزي لما هو موجود؟، لأن تطرف بويل، والطبيعة المفرطة لموقفه، أو بالأحرى لغته، تشهد على أمور أكثر من مجرد المنطق الخالص. وفي الواقع، من الصعب أن نتصور أن بويل لا يتحدث أي لغة مستعملة، لأنه يعرف كيف يستعمل الإنجليزية للتعبير عن ازدراء اللغة والكلمات. ويدل هذا التناقض في خطاب العالِم، زيادة على انفعال معين وعلى الرغم من الدافع الموضوعي لتنقية اللغة، على جزء كبير من الخيال الذي لا يستهان به، والذي يمكنه أن يكون أصل مشروع لا واعي من شأنه أن يذكرنا بمشروع لويس وولفسون Louis Wolfson في عام ١٩٧٠[٤٠]. فتدمير لغة الأم، وتفكيك قانونها وكلامها عن طريق الجبرنة، والترسيم الميتالغوي للتواصل اللفظي، ليس أكثر من ذريعة علمية زائفة تهدف إلى إخفاء غريزة قتل الأم matricide ...

-37 R. Boyle, cité par R. F. Jones, Science and language in England of the mid-17 th century (I 932).rapporté par G. Gusdorf. op. cit., p. 335

-38 G. Gusdorf, id., ibid

٣٩- الجبرنة algébrisation في الرياضيات هي صياغة الموضوعات بواسطة الجبر

-40 L. Wolfson, Le schizo et les langues, Paris, Gallimard, coll. « Connaissance de l'inconscient », 1970

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

٣ ــ ما وراء اليوتوبيات: لغة الأب

من يوتوبيا إلى أخرى، إنها جدلية غريبة بين كراهية اللغة الأم وحبها، هيكلت، في جزء أساسي منها، مخيال اللسانيات قبل العِلْمية. إذ يجسد الثنائي بويل وليبنتز، من هذه الزاوية، هذه الثنائية العاطفية التي تحدد خلسة تطور اللسانيات من القرن الرابع عشر إلى السابع عشر، وحتى بعده. واحد يجسد الحنين والندم، والآخر يمثل الكراهية والازدراء. ومن ثمة يظهر تاريخ علم اللغة هنا باعتباره دراما كبيرة نحاول إعادة تشكيل سينوغرافياها وقصتها العامة. في هذه القصة هناك أبطال جيدون، وأبطال سلبيون، وانقلابات في الوضعية، وضحية تغادر المشهد في النهاية، وخُطب تُتْلى بعد بعض تعابير الوجه: «**وطالما قد عاشوا (الأطفال)، فإنهم يدرسون جيدًا وجه مربيتهم، التي يمكنها أن تبكيهم أو أن تضحكهم، أو أن تنظر إليهم فقط**»[٤١]. فالأم المبَادِرة، المبتسمة والمتحدثة، تختفي شيئًا فشيئًا خلف شاشة العقلانية اللغوية الوليدة. ومن ثمة فالمرأة في المنزل، هي حواء المعتقلة في السجن، وما يزال هدف ليبنتز هو العثور على لغة آدم. حيث ينتقم آدم بواسطة القواعد النحوية الكلية من خلال صناعة لغته الخاصة. وهكذا يقود آدم العالم، حيث يمارس الصناعة والتجارة والسفر خارج البيت. فهو يتبادل ويحصي ويغزو ويخطط ويرسم خريطة ويقنن كل شيء. ويظل هو نفسه في جميع طبقات المجتمع: فهو القادر. نحن بالفعل مازلنا نعيش في القرن الثامن عشر.

سيكون هذا قرن ج. ج. روسو، الذي سيعيد إدراج العواطف والرغبات والمشاعر في أصول التواصل اللفظي على وجه الخصوص. ولكن هذه الاستعادة للوجدانية في اللغة، والتأملية إضافة إلى ذلك، ستكون إعادة تأهيل دون مستقبل: فكتاب «**محاولة عن أصل اللغات**»، الذي لن يظهر إلا في عام ١٧٨٤، ثلاث سنوات بعد وفاة الفيلسوف، سيهمش من قبل الأجيال القادمة[٤٢]. وفيما عدا ذلك، سيهتم بالتشاؤم الاجتماعي للجينيفي أكثر من الاهتمام باستنكاره لنظام سياسي، حيث اللغة يجب أن تكون واحدة ووطنية وموحدة وغير قابلة للتجزئة. يقول في هذا السياق: «**نتصور أنه، بين الرجال**

41- C. de Cobdemoy, Discours physique de la parole, op. cit., p. 20

42- Cf. J.-J. Rousseau. Essai sur l'origine des langues où il est parlé de la mélodie et de l'imitation musicale (Ed., intr. et notes par C. Porset), Paris, A. G. Nizet. 1976.

القريبين من بعضهم البعض، والذين أجبروا على العيش معًا، يجب أن تتشكل لغة مشتركة، بدلاً من أولئك الذين يتجولون بحرية في الغابة» [٤٣]. وهكذا قادنا تواصل زمن انبعاث القوميات نحو التقعيد اللغوي. وإذا كان صحيحا أن القرن الثامن عشر يدافع عن «**حقوق الحواس والعاطفة**»[٤٤]، فإن الحقيقة أن هذا الدفاع لن يكون له أي تأثير على علم اللغة الذي كان شغله الوحيد هو المطلب العقلاني: «**النحو العام و...اللغة الكونية ستصبح انشغالا مستمرا لجيل الموسوعيين، وبعد ذلك أيضا**»[٤٥]. سيكون لهذا القرن أيضًا مفكرون مثل كور دو جبلين Court de Gébelin وجايمس هاريس James Harris.

روسو / هاريس حيث تظل هذه الازدواجية الوجدانية مستمرة على الدوام، وتتشكل الجدلية نفسها بين الحب والكراهية على الدوام في قلب الفكر اللغوي... ويبقى أن هذه الجدلية الخفية هي أصل الرؤية الإيديولوجية للغة، التي سيظهر منها خلال قرون عديدة، نمط رسمي وحصري لوجود اللغة. نحن نعلم بنهاية الدراما: تختفي الأم وتسجن، ويبقى الأب. والأب هو القاعدة، إنه «الاستعمال الجيد». وهذا ما يقول به بوسي Bossuet بالفعل، خلال خطاب استقباله في الأكاديمية الفرنسية، عام ١٦٧١: "**يسمى الاستعمال (...)، بحق، أب اللغات. إذ لم يتداول الحق في وضعها وضبطها مع العامة على الإطلاق، لكن إذا كانت هذه الحرية لا تريد أن تكون مقيدة، فهي مع ذلك تخضع دوما للتوجيه**"[٤٦]. نستنتج من خلال هذا الأمر، ودون صعوبة أن لغة الأب هي اللغة القائدة، أي اللغة التي تحدد النظام والدقة والقواميس والأنحاء والقوانين، والتي تنشأ منها العلوم والتقنيات والخطوط... يتابع بوسويت، في معرض حديثه عن مؤسسة القاموس، قائلا أن الأكاديمية «**ولدت لترقية اللغة الفرنسية إلى مستوى سمو اللغتين اليونانية واللاتينية**».

وما هو سمو اللغة اللاتينية إن لم يكن هو نفسه سمو الأب؟ بعد إعلان بوسيت بقرن،

43- J.-J. Rousseau, Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité, Paris, Gallimard, coll. « Idées », I96H (1éreéd. 1755), p. 93.
44- E. Cassirer. La philosophie des lumières, Paris. Fayard. 1970. p. 341
45- G. Gusdorf. op. cit., p. 346
46- Bossuet, Discours de Réception à l'Académie française, 18 juin 1671, cité par G. Gusdorf, op. cit.,p. 307.

يصف لنا كور دو جيبلين اللغة اللاتينية بقوله: « **في الأمم القديمة، يَتحدَّث بها المنتصرون، شاركت في كل ثوراتهم، وحملت بصمتهم باستمرار. ذكوريةً وانفعالية، فحين كانوا لا يهتمون إلا بالمعارك والمجازر، كانت هي ترتعد في المعسكرات وتُرعِد الشعوب الأكثر فخراً، والملوك الأكثر استبدادًا. وعندما تعبوا من القتال ورغبوا في النضال في العلم والصلوات مع الإغريق، ولكونها شاملة وساحرة، فقد أصبحت اللغة العالمة لأوروبا، وغدت تُخْفي بوهجها، لغات المتوحشين، الذين يتنازعون حيازتها. بعد أن قيدت كل هذه الشعوب ببلاغتها وقوانينها، أصبحت هي اللغة الدينية، عندما اجتذبت روما المسيحية شعوب الغرب إلى حضن المسيحية**»[٤٧]. المصطلحات المستخدمة من قبل س.جيبلين لوصف اللغة اللاتينية، اللغة النموذجية، واضحة هنا. اللغة الحقيقية والأصلية يجب أن تكون ذكورية، واحدة من وظائفها الأساسية في مقابل التنظيم الاجتماعي هي القضاء على اللغات التي ليست كذلك، وعلى لهجات المهزومين، وعاميات القبائل المحلية والجهوية. يعكس هذا الخطاب المجازي كيف كانت وكيف ستكون سياسة اللغة في فرنسا لعدة قرون من تدمير الأقليات اللغوية باسم الجماعة، وفرض لغة رسمية تعمل كجواز سفر اجتماعي للخروج من فسيفساء اللغات أو التعابير الدنيا. هذه اللغة الرسمية هي لغة الرجال لأنها لغة الحرب والسياسة، ولغة السلطة العسكرية والقانونية والروحية، وفي الأخير اللغة العالمة والمفكرة. ويختتم س.جيلبين بالقول: «**وهكذا، أصبحت اللغة اللاتينية، التي هي في الوقت نفسه، لغة المعارك والسياسة والبلاغة والدين، في جميع أنحاء الغرب، لغة كل من أراد التفكير: الكل خاضع لإمبراطوريتها، وكان من الضروري على كل واحد إما معرفة هذه اللغة أو أن يعد من الهمج** »[٤٤].

47- Court de Gébelin, Monde Primitif, analysé et comparé..., op. cit.. Discours préliminaire..., 1ére partie, art. I, 8 i.16

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ماذا عن اللغة الأم إذن، في هذه الظروف، وعن وضعها ووجودها ذاته؟ هل هي لغة جهوية، أو محلية، أو منزلية؟ إنها لغة المتوحشين، لغة غير مدونة، لغة غير رسمية يتم نشرها في الفسيفساء الخلابة للهجات المُحَارَبَة، لغة إقليم محتقر: الهمجية[٤٨]. هنا، في هذه المنطقة الاجتماعية الغامضة، تنتقل اللغة الأم تقريبًا لتصبح لا ـــ لغة تمامًا مثلما كان البرابرة غير إغريق: إنها لغة اللا فكر واللا سلطة، ولغة بلا قواعد، ولغة الهامش، بدائية وحقيرة ومكبوتة ومحطمة من قبل اللغة «الذكورية والانفعالية» للأب المحارب والكاهن والفيلسوف وعالم الرياضيات. يبدو التحديد النظري للغة الأم لهاريس، في عام ١٧٥١، مفيدا للغاية من هذه الزاوية حين قال: «**لنأخذ على سبيل المثال فن الحديث: كل الرجال، حتى أولئك الذين ينتمون للطبقة الأخيرة من الشعب، يعرفون كيف يتحدثون بلغتهم الأم. كم لدينا، في هذا الجمع الهائل، من لا يعرف لا الكتابة ولا القراءة؟ كم من هؤلاء الذين لديهم على الأقل هذا المستوى من التعليم، من يجهل تماما النحو الذي يتوافق مع عبقرية لغتهم؟ أخيرًا، هناك القليلون ممن لديهم معرفة بالنحو الكلي الذي، دون الأخذ بالاعتبار التعابير أو النِكت الخاصة بكل لغة، يهتم فقط بالمبادئ المشتركة والضرورية لكل اللغات!**»[٤٩]. اللغة الأم، بالمعنى الدقيق للكلمة، هي درجة الصفر في التواصل البشري، ودون الكتابة والقراءة، حيث يتوارى خلفها مستويان ميتالغويان يتعلقان بالقواعد النحوية الخاصة والنحو الكلي. فاللغة الأم، مسحوقة ومواراة تحت ثلاث طبقات من اللغات ذات التعقيد العالي، فهي أدنى مستوى لغوي لذلك: إذ ليست مشتركة فقط، فهي ما تزال لغة غير مفهومة أو غير مفكر فيها مثل لغة الأطفال. ولجهلها بالقواعد التي تحكمها، فهي غير قادرة حتى على الترجمة كتابيا أو أن تقرأ. إنها حقًا لغة وحشية وفطرية وغير مدونة بعد، فهي مشروع تعبير لفظي أدنوي خارج للتو من الحيوانية.

يمكننا التساؤل هنا إذا كان مصطلح اللغة الأم تعبيرا يشير دائمًا، فضلا عن مفاهيم اللغة الشفهية واللغة الاستعمالية والاستعمال المتدني – حيث يعتبرها هاريس لغة شائعة

٤٨- دعونا لا ننسى أن هذه هي الرؤية اللغوية لنخبة نظرية معينة. بالنسبة للمشرع الثوري، على العكس، هذه اللغة هي لغة الحرية. Les ٣ couleurs du tableau noir, la Révolution, Paris, Belin, ١٩٨١.

٤٩- J. Habris, Hermès ou recherches philosophiques sur la grammaire universelle (trad. F. Thurot, I 796), Genève-Paris, Librairie Droz, 1972, pp. 11-12.

مكتسبة حتى قبل أن نتمكن من القراءة والكتابة، إلى فكرة محددة عن اللغة المنزلية أو المحلية التي تنقلها وتنشرها النساء. صحيح أن الوصف المستخدم منذ قرون للمصطلح أصبح صورة لا واعية، أو لا إرادية، وهي طريقة بسيطة للكلام لا يتوافق معها أي تمثيل. ومن ثمة، فالنعت الأمومي هو مجرد تفاهات مفاهيمية تعادل ببساطة فكرة الأصل، لأن جنس المتكلم ليس ذا أهمية آنئذ[٢٠]. ومع ذلك، لا تمنعنا مقارنة هرمية اللغات، الموضوعة من طرف هاريس، بالواقع الاجتماعي لتلك الحقبة، في التفكير في حضور تمثيل لا شعوري معين للأم مُضمَّن في التعبير. وفي الواقع، هناك تماثل مثير بين السلمية الهرمية المنطقية للغات التي وضعها هاريس والسلمية الاجتماعية لأدوار المرأة والرجل خلال الفترة نفسها. في القرنين السابع عشر والثامن عشر، تقوم المرأة، مع استثناءات مشهورة قليلة، بدور اجتماعي متدني وهامشي. فنظرًا لعدم وجودها في الحياة العامة ووضعها الثانوي في المنزل، غدا دورها مشابها للغة الموجودة في الواقع والتي تحتل أدنى مستوى في هرمية اللغات. اللغة الأم هي قبل كل شيء لغة منزلية توجد على هامش الحياة الجماعية والتي ليس لها ميزة أدائية أو مهنية أو قانونية أو سياسية مثلها في ذلك مثل المرأة ... ويأتي بعد ذلك مجتمع الرجال. يبدأ هذا الأخير مباشرة فوق الجهل الأنثوي والشعبي بالقراءة والكتابة. يعيش هناك التجار والمصرفيون ورجال الصناعة والإكليروس الأدنى، إلخ. وفي الجزء العلوي من الهرم الاجتماعي، يوجد العلماء والمفكرون والنبلاء والسياسيون، و«فقهاء القانون» كما يقول سي. دي جيبلين، وهم أولئك الذين لا يستعملون اللغة فقط، ولكنهم لا يزالون يصححونها ويخترعونها أو يفكرون فيها أيضا.

لذا، إلى حدود القرن الثامن عشر، يبدو أن الصورة الأمومية للغة تتوافق دائمًا مع تمثيل احتقاري للمرأة وخطابها. الأم هي شعار الدونية الاجتماعية واللغوية. ولتأكيد هذا التمثيل الإيديولوجي، سنقوم بتوضيح وجهة نظرنا بمساعدة نقش لف. جيرارد F. Guérard الذي يرجع تاريخه إلى نهاية القرن السابع عشر، والذي وصفه

26 1-A propos de cette réflexion, cf. J. E. Schlanceh,Les métaphores de l’organisme, op. cit., pp. 125 -50

ب. أرييس P. Ariès على النحو التالي: « **يشير الأب من خلال النافذة إلى الميناء والأرصفة والسفن، وإلى مصدر ثروته. وفي الغرفة، يقوم بحساباته بالقرب من المائدة حيث يضع محفظته ورموزه ومعداده، وتحضن زوجته رضيعا مُقَمَطا، وتراقب طفلًا آخراً يرتدي كسوته**»[٥١]. حيث يتعلق الأمر هنا بمشهد منزلي يوضح جيدا توزيع الأدوار ومطابقة اللغة وفقًا للجنس: يكفينا فك شفرته. لدينا أولًا صورة للعزل العادي للمرأة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. فضاؤها هو المنزل، في الداخل، حيث تحرس الأطفال. هذا الفضاء هو فضاء التواصل البسيط والأولي، الشفوي والإيمائي، والعاطفي بشكل أساسي كما يبدو في القول: إنها تحضن واحدا وتراقب الآخر. وفي الوقت نفسه، فإن الأب مهم: إنه يمثل العامل التجاري ويمتلك لغة التجارة المعقدة. فضاؤه الاختياري هو الخارج، فضاء الميناء للمقايضات. لا يزاول الرجل المشاعر فقط، مثل المرأة، ولكن الأعمال أيضا. لهذا يستخدم اللغة المشتركة المتداولة في جميع الموانئ[٥٢]، التي تعتبر صالحة للاتصال فوق -محلي، فضلاً عن كونها تقنية معينة تدل عليها الرقائق والمعداد. يشهد كيس النقود على الطاولة على السلطة الناتجة عن القدرة المزدوجة للرجل. المرأة تغني. والرجل يحسب. إنها زيز جاهلة وخاضعة متزوجة من نمل رياضي وثنائي اللغة ... وأخيرا، ما يمكن إدراكه من خلال هذا المشهد، هو التعبير المجازي- الاستعاري عن انتصار تاريخي: انتصار العقل على العاطفة، والأب على الأم، وانتصار الرموز الصناعية أو الناقلة أو المشتركة على الرموز التقليدية أو الجهوية أو الأمومية بعد ذلك. في فجر الثورة الصناعية، انتصرت لغة الأب على لغة الأم التي يتعلق بها الأمر هنا؛ وتعرضت لغة البيت la lingua délia casa للتهميش السياسي الذي لا رجعة فيه لحساب لغة الخبزla lingua del pane: «**إن لغة المنزل أو اللغة البيتية هي قبل كل شيء لغة الأم، ولغة النساء، إنها حقا اللغة الأم. ويكون الأب ثنائي اللغة، في معظم الأحوال، فإن كان يستخدم اللغة الأم في المنزل، فإن لغة الخبز هي لغة أخرى، ترتبط بالسلطة في الجماعة، إذ هي اللغة التي تجعل من الممكن كسب الخبز،**

P. Ariès. L'enfant et la vie familiale..., op. cit., p. 233 -51
Cf. L. J. Calvet, Les langues véhiculaires, Paris. P.U.F., roll. « Que-sais-je? ». 1981 -52

وتسمح للأب بالعثور على مكان في المجتمع »[٥٣]. لغة الخبز هي لغة التوحيد اللغوي، وهي اللغة التي، بعد أن ارتبطت بالتعاقد اللغوي الوطني، تُنكِر وتَقمَع التنوع اللهجي في البيت والريف. لقد وصلنا تقريبًا إلى نهاية عملية التقعيد اللغوي، التي دشنت في فرنسا مع المواطن الفرنسي منذ القرن السادس عشر[٥٤]، التي تم تضخيمها فقط من خلال تطوير الصناعة والتجارة والتمدن. لأن لغة الأب، لغة الخبز، هي أيضًا لغة المدينة، وهي اللغة المرتبطة بفضاء جميع السلطات: الصناعية والتجارية والإدارية والعسكرية والثقافية والعلمية. ففي المدن يصنع التاريخ، حاليا، حيث تحصن الوحدة الوطنية، وحيث اللغة واحدة، خلافًا للبوادي: «**اللغة هي طريقة الحديث عن الأمة**» كما يقول دي مارسيس[٥٥]، ومن ثمة أزال من تعريفه التعدد الموضوعي للغات الجهوية. يبدو كما لو أن اليوتوبيا الثانية قد «نزلت» إلى الواقع الاجتماعي، لصالح بعض الاختفاءات، أي يجب ألا يكون هناك حتى الآن إلا لغة واحدة للبلد بأكمله، لغة «عالمية» واصطناعية أيضًا، نظرًا لأنها قد وضعت بالقوة، عن طريق «الاتفاق». فالأم لم تعد تعيش لا في القرية ولا في المدينة: إنها تعيش في المنزل، الفضاء المغلق، والفضاء الفوق اجتماعي، أو، أنها تعيش وجودًا غامضًا مع أطفالها خارج الحياة العامة، تنتظر عودة رب الأسرة الذي ذهب إلى المدينة للقيام بالأعمال ...

٤ - العودة إلى الأم: لغة البيت واللغة القياسية matrix

ومع ذلك، يجب أن نكون حريصين على عدم رسم صورة مظلمة للقرن الثامن عشر. فمن المؤكد أن هذا القرن، على غرار خطاب الموسوعيين أنفسهم، لديه شيء من الشمولية، بحيث يرغب في دمج كل شيء وتصنيفه وجمعه في قالب واحد، وتحت لغة واحدة، من أجل تنظيم كل شيء وتنميطه. فمن المسلم به، أن هذا القرن أظهر، في كثير من الحالات، قومية ضيقة: فلنتذكر هنا فقط تعصب ديدرو للغة الفرنسية[٥٦]، واستعداده

.42-M. Yaguello, Les mots et les femmes, Paris, Payot, coll. « Langages et sociétés », 1979. pp. 41 -53
.A. Meillet, Linguistique historique et linguistique générale, Paris, Klincksieck. 1952, t. II, p. 100 -54
Du Marsais, Véritables principes, cité par S. aurox, La sémiotique des encyclopédistes, Paris. Payot,cuil. « Langages et -55 .sociétés ». 1979, p. 240
Cf.D. Diderot, Lettre sur les sourds et les muets, 1 751. J. Bentham, de son côté, aura une attitude similaire vis-à-vis de -56 l'anglais : cf. N. Chomsky, La linguistique cartésienne, Paris, Le Seuil. 1969, p. 55, note 52

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لإنكار العالم بأسره من أجل تأكيد علمية اللغة الوطنية! لكن هذا القرن كان مهووسا أيضًا، من مونتسكيو إلى روسو، ومن فولتير إلى دالمبرت، بالتقدم الاجتماعي. كتب ديديرو: «**في المقارنة الوحيدة لاستعمال مفردة الأمة في أزمنة مختلفة، يمكننا أن نشكل فكرة عن تقدمها**»[٥٧]. يبرر هذا القول لوحده التقعيد اللغوي الذي يعتبر بالنسبة للموسوعي تعميما، ومن ثمة «تقدما». نحتاج إذن، في هذا السياق الأيديولوجي الأكثر «إيجابية»، إلى رؤية ما يحدث أخيرًا للغة الأم الخاضعة للقاعدة. ماذا حدث في الحالة الأخيرة لغموضها الخاص، ووضعها الاجتماعي والثقافي؟ كيف أصبح شكلها ووظيفتها؟ وماذا حدث أخيرًا للشخصية الاجتماعية للأم باعتبارها فاعلا متكلما؟

لا يتمثل عمل المؤسسة الموسوعية في إصدار سلسلة من المقالات المصنفة أبجديًا فقط، بل تعتزم القيام بمحو الأمية أيضا. ومن ثمة، تحتل البيداغوجيا، من بين مواد أخرى، مكانًا أساسيًا في تدريس اللغات. فمن خلال الوسيلة التربوية، تعتبر المؤسسة الموسوعية هي موضع إعادة الإدماج الاجتماعي وإعادة الاعتبار للغة الأم، لغة المنزل. ففي بيئة تتجه بشكل متزايد نحو الأحادية اللغوية، لم تعد اللغة الأم، شيئًا فشيئًا، لغة أخرى، أو لغة على الهامش، بل هي المكان الأول لاكتساب اللغة الوطنية في المنزل؛ لأن للأم، مع ذلك، الدور الأساسي في وضع أول طمي لغوي داخل كل فرد، بالقدر الذي سيكون فيه هذا الطمي الأول هو «الجيد». وعلى الرغم من الحالة الاجتماعية المحتقرة للأم في القرن الثامن عشر، سوف ينتبه الموسوعيون للغة الأم وينسبون إليها قيمة جوهرية، بالإضافة إلى وظيفتها الاجتماعية المعترف بها: هي تلك الخاصة بنموذج التعليم القائم على الكلام والاستعمال وليس على القواعد والمنطق الخالص[٥٨]. تشير إعادة التأهيل الوظيفي، واكتشاف القيمة التربوية للغة الأم، فضلا على التوحيد اللغوي الإجرائي في المدن على وجه الخصوص، إلى أن القرن الثامن عشر، على العكس من القرن السابع عشر، يتجه نحو الحاضر أكثر من الماضي. ويتجسد هذا الموقف في الواقع من خلال بيداغوجيا لغوية تركز على اللغات

57- D. Diderot, art. « Encyclopédie », cité par S. Auroux, La sémiotique des encyclopédistes, op. cit., p. 7 i .

58- Cf. S. autrox, id., pp. 234 et suiv.

الحية. وهكذا أدمجت اللغة الأم مرة أخرى في عالم اللغوي، باعتبارها لغة شفوية ولغة التعابير الأولى ولغة التعلم كذلك، حيث كانت مستبعدة كليا منه لفائدة نموذج تربوي صالح لاكتساب اللغات الأجنبية واللغة الوطنية. في النهاية، تصبح اللغة الأم ممارسة سيميائية تعليمية، وطريقة أو مهارة، بقدر ما هي مستوى بدائي للغة.

لن تتأخر هذه النظرة الجديدة للغة البيت في توليد سلوكيات اجتماعية جديدة في عالم الأسرة. ففي نهاية القرن الثامن عشر، تتردد تأملات روسو في «إميل»[٥٩]: «**يريد الرجال المسؤولون أن تؤدي النساء دورًا أكبر في الأسرة وخاصة بين الأطفال**»[٦٠]. نحن بعيدون هنا عن الفضاء المنزلي لجيرارد Guérard. كانت لغة الأم سابقا منعزلة ومستلقية في البيت، فغدت تعليمية، ليست لغة عامة، بل لتعميم اللغة الوطنية، حيث تطابقت اللغتان الأم والوطنية، فيما بعد، كما عبرت عنه القواميس. ومن ثمة أصبحت الأم، التي استعادها المشروع القومي، مركزًا للنقل والتقعيد اللغويين، كما اكتسبت الأم ولغتها سلطة تعليمية تعزز قيمتها. ولكن في الوقت نفسه، تحاصر هذه «السلطة» الجديدة المرأة التي يتعين عليها، أكثر من أي وقت مضى، البقاء في المنزل: «إذن فهي طريقة حياة جديدة تظهر في نهاية القرن السادس عشر وستتطور خلال القرن التاسع عشر. حيث ستركز الأسرة الحديثة على «الداخل»، و«الداخل» الذي يحافظ على الروابط العاطفية الدافئة التي ستتركز حول الأم التي تعطى لها أهمية لم تكن من قبل»[٦١].

وهكذا، لم تعد الأم مسؤولة فحسب، بل متهمة أيضًا، وتكاد تخرج من «البربرية» التي حُبِست فيها. يجب أن تكون «مِلِكة المنزل»، كما تسميها السيدة نيكر دي سوسور Mme Necker de Saussure في«التعليم التقدمي» الصادر عام ١٨٢٨، متيقظة ومنتبهة وحتى منهجية. وهكذا، ظهرت في القرن التاسع عشر العديد من الدوريات النسائية، التي تستخدم هذه البيداغوجيا المنزلية التي تم رصدها على نحو متزايد، وهي تنتقد، كما تفعل

59- J.-J. Rousseau, Emile, livre V : « Du souci des femmes dépend la première éducation des hommes; des femmes dépendent encore leurs mœurs. »

60- E. Badinteb. L'amour en plus (histoire de l'amour maternel. XVII»-XX' siècle), Paris. Flammarion, 1980. pp. 165-166.

61- E. Badinteb, id., pp. 207-208.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مجلة «مجلة السيدات والأزياء Journal des dames et de la mode»[٦٢]، «**الأمهات غير المهتمات اللواتي يتخلصن من أطفالهن بوضعهم في الثانويات**»[٦٣]. فحين مُكِّنَت الأم من المسؤولية أكثر من السابق، غدت لغتها مؤسسة غير رسمية وغير مرئية، ولكنها مراقبة بشدة. ودون أن تعفى من مراقبة الدولة، فإن اللغة الأم، التي كانت في السابق «لهجة» هامشية، توجد فجأة بعد قرون من الإهانة، وقد مُدِّنَت وأُدمجت في نظام التعليم العام. باختصار! تعتبر لغة البيت، من القرن الثامن عشر حتى القرن التاسع عشر وما بعده، هدفًا للترويج الاجتماعي الملتبس، والذي يتناقض بشكل غريب مع الوضع الذي كان مخصصًا لها في السابق. هل هذا الانقلاب في الوضع ناتج عن فشل «ملك المنزل»، الغائب على الدوام؟ «**في حالة عدم الثقة العامة في مبادئ التعليم، وفي غياب أزواجهن، المشغولين في مكان آخر، يمكنهن (الأمهات) من وضع كلمتهن. من ١٧٨٠ إلى ١٨٤٨، ستتضاعف معاهدات النساء المكتوبة، التي تدعو الأمهات إلى إدراك مسؤولياتهن**»[٦٤].

وهكذا ستصبح اللغة الأم فيما بعد، التي أصبحت مثيرة للاهتمام، موضوع خطاب أنثوي/ نسوي كامل، إضافة إلى أنها كلام القوة الاجتماعية الجديدة، ومع ذلك، فإن الرجال مثل إ. دوركهايم E.Durkheim، وقبله أ. كومتي A.Comte، سيضعون لها الحدود قريبا. فوفقا لهذا الأخير، الأم هي مصدر التربية الأخلاقية والفكرية، المستخدمة إلى نهاية «**التربية المنزلية البحتة**»[٦٥]، ولكن ليس بعدها. فبعد ذلك، يجب أن تنقل المسؤولية التربوية إلى أيدي الرجال. هل أعطيت الأم ما يعود إليها؟ نعـم، لكن ... فقـد أتت إقامــة التعليم الإلزامي لإقرار شك «الأب» من خلال جعل اللغة الأم، مرة أخرى، مجرد مرحلة أولية في المعرفة بشكل عام، وفي اكتساب اللغة على وجه الخصوص. هذا هو «**الرجوع الأول إلى الأم**». وبالنسبة للرجوع الثاني، سنعود إلى القرن الثامن عشر. بعد

٦٢- مجلة السيدات والأزياء Journal des dames et de la mode: هي أولى مجلات الموضة الفرنسية، التي أنشئت في ١٧٩٧ من قبل الكتبي سيليك Sellèque.

63- Y. Knibiehleh-C. Fouquet, L'histoire des mères du Moyen Age à nos jours, Paris. Ed. Montalba. I 980.p183

64- Y. Knibiehi.er-C. Fouquet, id., p. 181.

65- A. Comte, Système de politique positive (1851-1854), Paris, Société positiviste, 1929. chap. III.

الأم الاجتماعية ولغة المنزل، نعود مرة أخرى وفي الوقت نفسه، إلى الأم الأسطورية واللغة القياسية. وهكذا بعثت في نهاية هذا القرن، في عام ١٧٨٦، مع وليام جونز William.Jones، ميتولوجيا التأصيل من رمادها مع السنسكريتية. كان ليبنتز على حق، في عام ١٧١٠، حين رفض أطروحة اللغة الأم العبرية. اللغة الأصلية هي أقل بكثير من نقطة ظهور جميع اللغات المعروفة[٦٦]، السنسكريتية نفسها ليست سوى حالة من اللغة المتقدمة فيما يتعلق بهذه النقطة النموذجية. منذ ذلك الحين، غدت الهند تثير لدى فقهاء اللغة سحرًا حقيقيًا: إنها مكان اللغة الأم المهجورة، فضاء اللغة الأصلية المفقودة[٦٧]، وهي نقطة ظهور اللغة الأم التي، حين اكتشفت في الغرب، قلبت بشدة الخيال العلمي الأوروبي[٦٨]. الهند هي الحب من جديد، عندما أُنْعِش الحنين إلى أرض النزول الإلهي. ونعرف العواقب الإيجابية المترتبة على اكتشاف اللغة السنسكريتية على علم اللغة لأنها ستمكننا من استنباط مبادئ علم الأنساب اللغوي الدقيق. لكن ما يهمنا خاصة هنا هما القيمة والأهمية الرمزيتين لهذا الاكتشاف في مركز الخيال العلمي. وهكذا، تتجزأ اللغة الأم في نظر اللغويين إلى حقيقتين: إما أنها حقيقة الأم الأسطورية التي تتجاوز التاريخ والواقع الاجتماعي؛ أو هي حقيقة الأم التاريخية التي تعد العنصر المحوري في التاريخ والواقع الاجتماعي. بهذه المناسبة، يميز الفرنسي الأولى عن الثانية بواسطة المفهومين لغة ـ الأم واللغة الأم؛ لكن يتميز الألمان باستخدام مصطلح لغة بدائية Ursprache لتعيين الأولى على سبيل الترادف، واستعمال اللغة الأم Muttersprache لتعيين الأولى والثانية، مما يدل على أن الانفصال ليس قوياً في أذهان الناس كما توحي الحقيقة، وأن الصورة الأم للغة تظل واحدة في لا وعي اللغويين.

ومن ثمة، لإبراز القيمة الرمزية لاكتشاف السنسكريتية وعواقبها، يجب وضع الحدث في سياقه الاجتماعي - السياسي. الغرب في طريقه نحو استعمار العالم، أي أن اكتشاف السنسكريتية كان نتيجة للاستعمار البريطاني. لكن لم تقتصر المغامرة الاستعمارية على المجال الهندو- أوروبي، حيث احتلت إفريقيا وآسيا وجزر آخر العالم، وتلقت النخبة

.CI. G. Mounin, Histoire de la linguistique des origines auXX’ siècle, Paris, P.U.F., coll. « SLP », 1970.p. 149 -66
.Cf. J. Khisteva. Le langage, cet inconnu, op. cit., p. 193 -67
CI. L. Weiscehber, Die Entdeckung der Muttersprache im europâischen Denken, Liineburg, Heliand-Yerlag. 1948 -68

العلمية هذا الاحتلال باعتباره استعادة لحالة الطبيعة البدائية التي انبثق منها الغرب، وهي الحالة التي مر منها قبل أن يصبح حضارة للذكور والكبار التي تعرف نفسها باختلافها. وهكذا عُوِّض البحث عن الأصل بالبحث عن البدائي، أي المكان يُعوِّض الزمان، الماضي يصبح المكان الآخر، والإثنوغرافيا تعوض التاريخ[٦٩]. ولكن بعد ذلك، ما هو المعنى أو القيمة الرمزية لهذه الرحلة الإثنوغرافية الكونية التي قام بها الغرب؟ وعلاوة على ذلك، ما هي القضية المحددة للسانيات في سياق هذا التوسع الاثنوغرافي فيما يتعلق بالصورة الأم للغة؟ ربما يتعلق الأمر أكثر بتكييف العالم مع المخيال بدلاً من المضي قدمًا في إعادة بناء هدفه ...

لقد رسم هيجل للعالم الإفريقي صورة تجعل من إفريقيا عالماً مختلفًا بشكل مطلق عن الغرب أو، على وجه التحديد، عالما «مقلوبا»[٧٠]، عالما بدائيا لدرجة أن كل ما كان في موضعه عندنا يوجد بالمقلوب لديهم: عالم غريب. وقد وجدنا غرابة هذا العالم، الذي ليس إفريقيا فحسب، بل كل ما ليس غربا، مروية عند مفكر مثل يوهان ج.باخوفن Bachofen (١٨١٥ــــ١٨٨٧)، حيث قوضت الدراسات سلطة النظرية الأبوية القديمة التي استندت إلى الإنجيل، مثلها في ذلك مثل نظرية اللغة العبرية الأم. فوفقًا لباخوفين[٧١]، بدأت الإنسانية بالعيش في حياة جنسية دون قواعد، ثم، وبعد هذا الاضطراب الجنسي البدائي، جاءت فترة حق الأمومة والنسب الأمومي، والفترة الثالثة هي فترة الغرب بالتحديد، وهي الحق الأبوي والنسب الأبوي. وهكذا أثبت باخوفن، طوال حياته، استمرار النموذج الأمومي في وعي الرجال، وهو نموذج أصلي تجسد، من بين أمور أخرى، في موضوع اللغة الأم. لذلك، في ظل هذه الظروف الإيديولوجية، فإن القضاء على الانزعاج من السلطة النسائية gynécocratie[٧٢]، هو ما سيبحث عنه الغرب في العوالم «البدائية» من خلال الدراسة المقارنة، عبر اعتماد المنطق الخاص لتنظيمها

٦٩- Cf. T. Todorov. Théories du symbole, Paris, Le Seuil, roll. « Poétique ». 1977, p. 278

٧٠- Cf. F. Kramer. Verkehrte Welten. Zur imaginaren Ethnographiedes 19. Jahrhunderts, Frankfurt am Main, 1977.

٧١- Cf. J.-J. Bachofen. Das Mutterrecht. Eine Untersuchung Uber die Gynaikocratie der alter Welt nach ihrer religiosen und rechtlichen Nátur, 1861

٧٢- gynocracy ، أو السلطة النسائية ، هو نظام سياسي تمارس فيه السلطة من قبل النساء. ويتم استخدامه لتعيين بنية اجتماعية متحيزة جنسيا وسياسيا للمرأة.

الاجتماعي القائم على سلطة الأب. لم تعد اللغة الأم/ لغة الأم منذ ذلك الوقت أصلية ولكنها غدت بدائية، شفهية و»بربرية». حيث تكمل اللسانيات الإثنولوجية في القرن التاسع عشر، في أعقاب السير روبرت بويل، هدفَه المضمر المتمثل في القضاء على لغة الأم (انظر «الخاتمة») أو على الأقل الإبقاء عليها في الدونية الغرائبية والشاذة التي «يجب» أن تكون لها. الغاية من الفكر، كما يقول هيغل، هي القضاء على الغرابة، أي أن اللسانيات، التي نقلت من طرف الاستعمار إلى زوايا العالم الأربعة، لا تقوم بأي شيء آخر فيما يتعلق بغرابة اللغات العجيبة المعترف بها كلغات أم. نعرف ما حدث للعديد من اللغات «البدائية» في الإمبراطوريات الاستعمارية: لقد اختفت أو تراجعت إلى الداخل، بعيدًا عن السواحل، في الأراضي وفي المنازل ...

لنجمع في نظام الفكر نفسه هذه الحالات المتباينة على الأرجح من «العودة إلى الأم». يتعلق الأمر من ناحية أولى، بلسانيات اجتماعية تحولت نحو الأصول المنزلية للغة؛ ومن ناحية أخرى، بلسانيات إثنولوجية تحولت إلى الأصول «الغريبة» للغة. الواحدة منها بحث داخلي، والأخرى بحث خارجي. وهما صنفان من البحوث لا يمكن التوفيق بينهما. فهل هو انشقاق في اللسانيات العلمية الوليدة؟ لا على الإطلاق. ببساطة، هما استراتيجيتان مختلفتان لحل نفس المشكلة. ما هي؟ لنعد إلى المعطيات التاريخية لمواصلة تحقيقنا وتقديم إجابة على هذا السؤال.

القرن التاسع عشر هو القرن الذي رغبت فيه الدول الغربية العظيمة إقامة هوياتها. شهد هذا القرن توحيد ألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية. وشهد بشكل متزامن تطور الاستعمارين الداخلي والخارجي، والأساسي من وجهة نظر لغوية، كان، في الحالتين معا، هو وضع اللغة الأم في مكانها. لم يكن الاستعمار الداخلي أكثر من اعتداء منظم على الأصالة الجهوية والمحلية، وحتى العائلية. ولم يكن الاستعمار الخارجي إلا هجوما منظما على الأصالة الجهوية خارج ــ إقليمية. في كلتا الحالتين، فإن الهدف هو التثاقف من أجل

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

القضاء على تعابير المتوحشين، سواء كانوا من الجزر أو من البوادي. وفي كلتا الحالتين، ظلت اللغة الأم، مرحلة تستخدم لرسم حدود الأمم من الداخل والخارج. من وجهة نظر داخلية، اللغة الأم هي مرحلة على محور التكوين الأنطلوجي: إنها تعمل على تقريب الطفل من لغة الأب. أما من وجهة نظر خارجية، فإن اللغة «الأم» ليست سوى مرحلة على محور التكوين التأثيلي[٧٣]: إنها تصلح لتقريب طفولة الإنسانية من المرحلة الأبوية النهائية التي هي مرحلة الغرب، حيث تستعمل لغة المعرفة، لغة الأب باعتبارها اللغة المستخرجة من جميع البدايات، واللغة الموضوعية، ولغة اللساني ..

لا يتعلق الأمر في حالتي الاستعمار الداخلي والاستعمار الخارجي، سوى بوضع لغة واحدة فقط هي لغة الأب. المفارقة، هي أن الأم، التي تم تسخيرها وامتثالها للغة المُهَيمِنة، مدعوة للمساهمة في هذا التتويج وإنكار كونها حاملة للغة معينة، مؤهلة بشكل سيء مادامت «بدائية» وشفوية وانتقالية، أكثر اعتمادا على الاستعمال من الفكر، على العاطفة من العقل. يخبرنا تــ.زيلدن T. Zeldin أنه عندما جاء التعليم المدرسي الإلزامي في فرنسا، كان هذا «**التعليم إلى حد ما غزوا للأرياف من طرف المدن**»[٧٤]. ولو استبدلنا مصطلح «الريف» بكلمة «إفريقيا» أو «الشرق» أو «إنسوليندي»، ومصطلح «مدينة» بكلمة «الغرب»، فسنعيش المشهد نفسه بديكور مختلف. ويتعلق الأمر في جميع الحالات، بنفس المسار المؤلم المعادي وبالقمع نفسه. في هذا الكون الآخذ في الاتساع، فإن مصير اللغة الأم – لغة البيت أو اللغة القياسية – هو الطمس، أي الفرك الاجتماعي والثقافي. بالتأكيد، لقد عادت الأم، إلى المنزل والمستعمرات، لكن تحت أي ظرف!

٧٣- علم الوراثة العرقي أو الفيلوجيني Phylogénie هو علم دراسة العلاقات التطورية المختلفة بين مجموعات الكائنات الحية (مثل الأنواع أو التجمُّعات السكانية) التي تُكتشف عبرَ التحاليل الجزيئيَّة ودراسة تشكيل الكائنات المختلفة. لعلم الوراثة العرقي أهمية كبيرة في مجال علم الأحياء، حيث إن العديد من مجالاته تعتمد عليه إلى حد كبير، بما في ذلك أسس التصنيف العلمي وتسمية المخلوقات الحية وتسجيلها والتعرف عليها وتمييزها عن بعضها البعض

74- T. Zeldin, Histoire des passions françaises 2, op. cit., p. 162

٥. اللغة الأم: الانحرافات والأحلام والحقائق

وماذا عن مفهوم اللغة الأم إذن، عندما نعلم أن هذا اللفظ، الذي يبدو بسيطا للغاية، هو فضاء لدراما اجتماعية تاريخية حقيقية؟. تعطي هذه القصةُ المفهومَ حمولة دلالية لا يمكن إنكارها ولا يمكن إلا أن يجعل استخدامه دقيقًا. لا يسحب هذا المفهوم اليوم في أثره قصة فقط، بل صورة خيالية عن الأنوثة الأمومية المرتبطة باللغة، التي لم تنبثق من رؤية خالصة، فالمعطيات التاريخية موجودة هنا، لتعزيز الأسطورة الأمومية للتواصل اللفظي من أوريسم إلى يومنا هذا. لمدة ستة قرون، كان المفهوم قادرا على تضخيم، بشكل لا واعي، الصور النمطية السلبية، التي تأتي باستمرار لتقويض قيمتها العملية أو المفاهيمية؛ وفضلا عن ذلك، قيمة الكلام النسوي نفسه بعد ذلك. إن الوظيفة المعرفية لمفهوم اللغة الأم هي، قبل كل شيء، الحط من حالة معينة للغة أو إعاقة قيمة نوع معين من التلفظ: لم ينظر إلى لغة الأم إليها فقط بشكل أساسي إلا كوسيط شفهي بين الحيوانية والمعرفة، كما لو كانت الأم موجودة فقط لإقامة جسر بين الوحشية والقواعد المنطقية. لنتذكر هذا النص لبلومفيلد: «**نصادف في كثير من الأحيان، حالة أخرى، أكثر شيوعًا، لنقل اللغات بين أطفال المهاجرين. في كثير من الأحيان يتكلم الآباء لغتهم الأم في المنزل، ويجعلونها اللغة الأم لأبنائهم، ولكن الأطفال بمجرد أن يبدأوا اللعب في الخارج ويذهبون إلى المدرسة، يرفضون التحدث بلغة منزلهم، وعاجلاً أو آجلاً، ينجحون في نسيان كل شيء من خلال الحفاظ على معرفة سطحية بهذه اللغة الأولى، والتحدث باللغة الإنجليزية فقط. فقد أصبحت الإنجليزية بالنسبة لهم ما يمكن أن نسميه لغتهم الراشدة**»[٧٥]. التحليل ليس خطأً. هذه هي التسمية غير المقبولة، لأنها تؤدي إلى مواجهة اللغة الأم للغة الكبار، اعتقادا أن الأم ليست حتى امرأة بل هي وسيط بين الطفل والرجل. الانحراف والتحويل المتخيلان هما الكلمتان اللتان تتبادران إلى الذهن لوصف حديث بلومفيلد هذا. إذ لا يمكن اعتبار اللغة الأم لغة طفولية لأنها كانت لغة الطفولة. فمفهوم اللغة الأم ومجموعة كاملة من المقابلات الاصطلاحية التي تصلح لتعريفها ضمنيا تحمل معها في

75- L. Bloomfield. Le langage, Paris, Payot, 1970. p. 56

مركز اللسانيات تمييزا اجتماعيا عميقا بين الجنسين. يمكننا أن نطرح، مثل باشلار، مسألة القيمة الرمزية لتسمية الأحداث وعواقبها حين قال: «**في تدريس الكيمياء، لاحظت أنه، في تفاعل الحمض القلوي، يعطي جميع الطلاب تقريبًا الدور النشط للحمض والدور السلبي للقلوي.. بالحفر قليلاً في اللاوعي، لن نتأخر في إدراك أن القلوي أنثوية والحمض ذكوري ... هذه الآراء تشكل عقبات حقيقية**»[٧٦]. ليس هناك شك بأنه سيتم الحصول على نتائج مماثلة من خلال الانخراط في تجربة تعليمية من نفس الجنس في اللسانيات اليوم، من خلال اقتراح، على سبيل المثال، جلسة للتفكير حول التعارض الذي أنشأه ميي Meillet بين الكلام التقليدي ولغة الحضارة[٧٧]. في البداية، سرعان ما يعتبر الطلاب الكلام التقليدي لغة عائلية ومحافظة، أي نظاما تعبيريا سلبيًا، في حين يعتبرون لغة الحضارة لغة وطنية وتغييرية، ومن ثمة نظاما تعبيريا نشِطًا. ومن خلال التنقيب قليلاً، في وقت ثان، سينتهي الأمر بنسبة كل جنس إلى كل واحد من هذين النظامين، بالإحالة إلى الحياة الاجتماعية للغة: الأول سيكون مؤنثا والثاني مذكرا. الأول هو اللغة الأم والثاني هو لغة الأب، وهي اللغة التي لم يتم ذكرها مطلقًا، لأنها ستجعل المواضعة الأيديولوجية المنتقدة بشدة واضحة.

بعبارة أخرى، لا تعكس اللغة العلمية دائمًا، خلافًا للغة اليومية، المدركات العقلية، ولكن يمكنها حمايتها وإدامتها. هناك حلم أو خيال خلف مفهوم اللغة الأم. هناك حدس أولي ورؤية أيديولوجية وصورة أنثوية للغة التي حرصنا طوال قرون على عدم نقلها أو عدم إقصائها تحت طائلة التشكيك في التنظيم الاجتماعي نفسه. نتذكر هنا الهرمية الهاريسية للغة التي تسهم في الحفاظ على فكرة الدونية اللغوية للمرأة. وبعد ذلك بني نموذج من المرادفات المترابطة. لكن لم يخرج الفكر اللغوي في أي وقت من الأوقات من الحدس الأول للانخراط في طريق النقد الذاتي والنقد الاجتماعي. على العكس من ذلك فقد أشاعت اللسانيات المعاصرة استخدام هذه العبارة، مما يجعل استعمالها عاديًا وآليا.

76- G. Bachelard, La formation de l'esprit scientifique, op. cit. p. 195.
77- A. Meillet, Linguistique historique et linguistique générale, Paris, Klincksieck. 1952, t. II, p. 10

وهكذا، بدلاً من التشكيك في المفهوم خلَّصته مع الحالة الاجتماعية التي جعلت إبداعها ممكنًا. ومن ثمة، يمكننا التساؤل فيما يخص علاقة المرأة باللغة: هل انفصلت الدولة الاجتماعية المعاصرة عن التقاليد؟ ألا يمكن أن تكون لغة المرأة دائما أمومية maternante وليست معرفية؟ بالتأكيد، غدت النساء في نهاية القرن العشرين، بما في ذلك الأمهات، إلى حد كبير خارج المنزل الذي كن محبوسات فيه حتى وقت قريب. إضافة إلى ذلك، فإنهن يشغلن اليوم مناصب في التعليم العام كان يشغلها الرجال في السابق. هل يمكن أن تكون الأم في النهاية حائزة بدورها على لغة المعرفة؟ وهل سنشهد حراكا اجتماعيا، في مواجهة المحافظة الاصطلاحية للسانيات الحالية، حيث مفهوم اللغة الأم نفسه يمكن تحويله في النهاية إلى مفهوم زائف، أي إلى مفهوم لم يعد يطابق أي حقيقة؟ فنحن نتحدث هنا إجابة عن السؤال المتعلق بتأنيث التعليم، ومن ثمة تأنيث لغة المعرفة. فما هي حقيقتها؟

أقحمت الأم تاريخيا في عهد جول فيري Jules Ferry في لغة الأب من خلال المدارس التي تحمل اسمًا جيدًا: رياض الأطفال. أرادت المفتش العام، السيدة ب.كيرجومار P. Kergomard، إحداث «جو عائلي» في هذه المؤسسات الجديدة، مع الرغبة في إعطاء الأطفال معنى اجتماعيًا[٧٨]. إذ يتعلق الأمر هنا في نهاية القرن الثامن عشر بفضاء لغوي انتقالي قابل للمقارنة وظيفيا بفضاء البيت، الذي نجد خلفه فضاء لغة المعرفة التي يستحوذ عليه الآباء. بعد ذلك، أصبحت المرأة معلمة – بل أصبحت في ١٨٩١ العنصر المهيمن من الناحية الكمية في هذه المهنة [٧٩]– وحتى أستاذة في الثانوية. لكن لا يمكننا إلا أن نلاحظ، اليوم أيضا، أن وضع المرأة أصبح يتضاءل بالموازاة مع ارتفاع مستويات التعليم العمومي حتى غدت لا تشكل إلا نسبة ضئيلة في الجامعة. إن القيمة الرمزية لهذه الظاهرة الاجتماعية بسيطة: فهي توضح أن المرأة مازالت حتى اليوم تواجه أزمة التحرر من الحدس الأول، الصورة البدائية للمرأة المتكلمة. إن لغتها لا يمكن أن تكون إلا أمومية ولا تنسب إلا للأم، أي لها الصغار، وللأب الكبار! ولتوضيح استمرار هذا الحدس الجماعي، إليك هذه

78- Cf.T. Zeldin. Histoire des passions… 2, op. cit., pp. 211-212.
79- Cf. T. Zeldin, id., p. 192.

الحكاية: «في قرية مينوت (ساحل الذهب **Côte-d'Or**)، ما تزال المدرسة، حتى اليوم، **تحتوي على فصلين، مع استثناء واحد تقريبا، والمعلمون أزواج في الوقت نفسه، فمنذ عام ١٩٣٥ يدرس الزوج والزوجة الفصلين معا. بشكل عام، يدرس الرجل الكبار، والمرأة الصغار. ما صدم مؤخرًا مع وصول زوج المعلمين الجديد عام ١٩٧٥ هو عكس الموقف: أخذ «هو» الصغار، وأخذت «هي» الكبار»**»[٨٠]. فهنا نموذج سوسيو لساني حُطم وانقلب معه العالم قليلاً.

خاتمة: "تدمير"، كما تقول ...

"يجعلنا التكوين الاجتماعي للمعارف نشهد البناء التدريجي والتعاوني لحركات الأفكار التي تنتقل وتتطور من جيل إلى جيل"[٨١]. وبالإحالة إلى تاريخ الأفكار هنا، وتطور اللسانيات والتطور الاجتماعي، فإن التكوين الاجتماعي لمفهوم اللغة الأم هو ما حاولنا إبرازه. وقد سمح لنا هذا النوع من المقاربة بإظهار طبيعة العلاقات بين الأم واللغة والمجتمع التي تم تأسيسها وإدامتها بواسطة هذا المفهوم. يقودنا الدافع الأيديولوجي لهذه الاستمرارية الآن إلى التشكيك في معقولية هذا النقل المفاهيمي ضمن اللسانيات الحالية. يجب أن نتخذ موقفا فيما يتعلق بظاهرة المحافظة الاصطلاحية هذه، والتساؤل، بعد دراسة المعايير السوسيو- تاريخية، عن الخيال أو اللاوعي الذي قاد اللسانيات للاحتفاظ بمفهوم ملوث بالإيديولوجيا. لم يعد الأمر يرتبط بالعلاقة بين الشخصية الاجتماعية للأم واللغة، ولكن يرتبط بالعلاقة بين لغة الأم واللساني ...

يكفي أن نقول على الفور أن هذه الخاتمة تجد أصولها في مغامرة ل. ولفسون، الذي «درس لغات الانفصام» وجعل من «**الرغبة في قتل اللغة الأم دافعا لكل اللسانيات العامة** »[٨٢]، معرفا هذا العلم إذن باعتباره قتلا طقوسيا واستباقيا ومنهجيا للغة الأم من قبل الميتالغات والترجمات المشوهة. كان يمكن أن يبقى هذا الأمر مجرد رؤية تحليلية نفسية مثيرة للاهتمام

80- Y. Verdier, Façons de dire, façons défaire, op. cit., p. 164
81- J.Piaget. Epistemologie des sciences de l'homme, Paris. Gallimard, coll. « Idées », 1972. p. 356
82- G. Deuleuze. Schizologie, préface de Le schizo et les langues, op. cit., p. 10

بالنسبة لنا، إذا لم تحولها المعالجة التاريخية لمفهوم اللغة الأم إلى اقتراح مثير. عندما نلخص النتائج الرئيسية التي تم الحصول عليها من خلال التحليل التاريخي، ندرك إذن أن الصورة الأمومية للغة لا تعمل كاستعارة بسيطة للأصول، وقد مكن التباين التاريخي للنظريات اللغوية والتنظيم الاجتماعي الأوروبي من توضيح الأمر. الصورة الأمومية للغة ليست مجرد صورة شعرية: إنها أيضًا صورة سياسية تحيلنا أولاً وقبل كل شيء إلى الوضع الاجتماعي الواقعي للفاعل المتكلم بمجرد أن يكون أنثى؛ وبعدها، إلى موضوع المتكلم، فردي أو جماعي، حيث يتم مقارنة وضعه ودمجه مع وضع المرأة في الغرب. في ظل هذه الظروف، لا تكون الأم شخصية اجتماعية فحسب، بل هي أيضًا فاعل، بالمعنى السيميائي للمصطلح، الذي يمكنه أن يأخذ شكل مربية «راطنة»، وخبرة منزلية، ولكن أيضًا من خلال الجمع، بين شكل مجتمع ريفي «بلهجة خاصة» أو قبيلة غريبة «متمتمة».

الآن، ما هو مصير هذا الفاعل المُتَمْتِم المواجَه بالتقعيد اللساني الذي أصبح علما؟ ينوي لساني الأصول تأسيس اللغة الحقيقية، اللغة الصحيحة، ثم وصف الاستعمال الجيد للجماعة فيما بعد. مجال هذا اللساني هو القاعدة. فنهاية اليوتوبيا الأولى تنزع من لغة الفاعل الأمومي إمكانية الاستعمال اللغوي الجيد الذي يمكن تأسيسه في الطبيعة. خارج القاعدة التي تبحث عن نفسها، تصبح اللغة الأم لغة محظورة على الطريق المؤدي إلى الحقيقة. من الإجبار إلى الحظر، ليس هناك إلا ظاهرة واحدة هي التي تتغير، لكن عواقب هذا التغيير هائلة، حيث تستبعد اللغة الأم المهمشة من النظرية والممارسة على السواء، ومن الحياتين العلمية والاجتماعية. هكذا، ولأول مرة، تدمر اللسانيات رمزياً اللغة الأم ... لكن لا يكفي لتهميش اللغة إبعادها إلى الطبقات الأكثر ظلمة في المجتمع فحسب، بل يجب أيضا تدميرها بشكل فعال ومحوها واستبدالها. تأتي اليوتوبيا الثانية والرغبة في تأسيس القاعدة اللغوية، بحق هذه المرة. إن الرغبة في بناء لغة اصطناعية عالمية لا تقل عن الرغبة في حذف اللهجات الفردية واللهجات ومستويات اللغة. فبويل يعتزم رفض لغته الأم إلى الأبد، ويجعلها هاريس درجة الصفر من التواصل اللفظي، ولا يقوم روسو بأي شيء سوى

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

متابعة حالة النبذ التاريخي للغة من خلال الإضعاف العروضي والتوحيد اللغوي ٣٥. شهدت نهاية القرن الثامن عشر المرحلة الثالثة من مسار تدمير اللغة الأم هذه بالاستعمار (الداخلي والخارجي).

وهكذا، ستصبح المغامرة الاستعمارية في القرن التاسع عشر، ومن ورائها يوتوبيا التأصيل الناشئة فيما بعد، الإنجاز التاريخي لليوتوبيا الثانية، وإسقاطها السياسي على المجال، فباسم منطق الدولة المطروح كونيا، تدمر اللهجات الإقليمية والمنزلية ويُنَصَّر الهمج. في كلتا الحالتين، في الداخل كما في الخارج، فإن المقصود هو التثاقف، مع كل ما ينطوي عليه هذا على أرض الواقع من زاوية لغوية: الاختفاء أو التشويه أو الحد من الكثير من اللغات الأصلية باسم استيعاب الغرابة من قبل القاعدة والنظرية. تنطلق الأم، في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهي مربية في المنزل، من هذا النوع من الاستيعاب: مرفقة بنحو السلطة، ولغتها «المستعمرة» والمقعدة، حيث فقدت كل استقلال وكل هوية، وجردت من «**وظيفتها الزائدة في نظر القواعد والنظريات**» كما يقول ميلنر [٨٣]... فإذا أصبحت هذه اللغة الأم وطنية، فذلك لأنها تخضع للقاعدة من خلال تدميرها في خصوصيتها «اللهجية». بالعكس، إذا تمردت لغة أخرى، مثل الباسكية، أو الأيرلندية التي يكرهها بويل، أو الكويشوا [٨٤]، فذلك لأن مقاومتها للقاعدة قد قادتها للمعارضة السياسية: كل شيء يتم فعله حتى تُدمَر في سلوكها الاجتماعي. بالنسبة للسلطة الأبوية، ينطبق الشيء نفسه على المتوحشين كما على النساء أو الأقليات اللغوية الداخلية، وبالمعنى الدقيق للكلمة، يجب تدجينها أو إخفاؤها! في هذا المنظور، هل يمكننا القول، مرة أخرى، مع كلوزويتز، أن اللسانيات التطبيقية هي المغامرة الاستعمارية التي تتواصل مع وسائل أخرى؟

83- J.-C. Milner. L'amour de la langue, Paris. Le Seuil, coll. « Connexions du Champ freudien ». 1978.p. 106.

84- Cf. à ce propos. J.-D. Urbain, « Le système quechua de l'échange : développements métaphoriques et adaptation d'un « vocabulaire de base» in L'Homme, janvier-mars 1980, XX (1), pp. 71 et suiv.

وهكذا، يثير التاريخ وإبستمولوجيا اللسانيات، على نحو مثير للقلق، فيما يتعلق باللغة الأم، التفسير التحليلي النفسي. كل شيء يدبر لإظهار أن اللغة الأم هي اللغة المشؤومة في اللسانيات العامة، وهي نوع من الكلام تحت اللغة محكوم عليه بالاختفاء الاجتماعي، كما لو كانت المركب «الغريزي» المخجل لأي فاعل متكلم. إذا كان صحيحا أن اللغة قد نزعت الإنسان من الصراخ والحيوانية[٨٥]، فيبدو أن اللسانيات هي النقطة الحاسمة التي تنزع اللغة الأم من اللغة، أو التي سحبت انطلاقا منها مسؤولية الرمز من النساء اللواتي هن ضحية الشرف. يجب أن تتوقف اللسانيات الآن عن كونها أبوية مسيئة ...

Cf.. J. Derrida. à propos de « Essai sur l'origine des langues ». in De la grarnmatologie, Paris, éd. de Minuit. 1967. p. 345 -85

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

المراجع:

- Ariès.P. L'enfant et la vie familiale sous l'Ancien Régime, Paris. Le Seuil, coll. « Point », 1975.
- Bachelabd.G. L'eau et les rêves, Paris. J. Corti éd.. 1976. p. 157.
- Bachelard.G. La formation de l'esprit scientifique,
- Bachofen. J.-J. Das Mutterrecht. Eine Untersuchung Uber die Gynaikocratie der alter Welt nach ihrer religiosen und rechtlichen Nátur, 1861
- Badinteb.E. L'amour en plus (histoire de l'amour maternel. XVII»-XX' siècle), Paris.

  Bloomfield.L. Le langage, Paris, Payot, 1970.
- Bossuet. Discours de Réception à l'Académie française, 18 juin 1671,
- Boyle.R. cité par R. F. Jones, Science and language in England of the mid-17 th century (I 932). .
- Calvet.L. J. Les langues véhiculaires, Paris. P.U.F., roll. « Que-sais-je? ». 1981
- Cassirer.E. La philosophie des lumières, Paris. Fayard. 1970.
- Cellard.J. La Vie du langage, Le Robert, coll. « L'ordre des mots » (« Quand la langue se fait maternelle ..). Paris. 1979.
- Chevalier, J .-Cl. « Note sur la notion de synonymie chez trois grammairiens des XVII et XVIII siècles » in Langages 24 : épistémologie

de la linguistique (dir. J. Kristeva), Paris, Didier-Larousse, 1971,

Chomsky.N. La linguistique cartésienne, Paris, Le Seuil. 1969

- Comte. A. Système de politique positive (1851-1854), Paris, Société positiviste, 1929.
- de Cehteau.M. ; D. Jui.ia & J. Revei.. Une politique de la langue (la révolution française et les patois), Paris,' Gallimard, 1975.
- De Cordemoy .G. Discours physique de la parole, Paris, Copedith, coll. « La Bibliothèque du Graphe ».1470 (reproduction du texte de l'édition de 1704).
- De Gébelin. Court. in Monde Primitif, analysé et comparé avec le monde moderne, considéré dans les origines latines
- Derrida .J.à propos de « Essai sur l'origine des langues ». in De la grarnmatologie, Paris, éd. de Minuit. 1967.
- Descartes. R. «Lettre au Père Mersenne, 20 novembre 1629» in Œuvres philosophiques (éd. de V. Alquié), Paris, Garnier, 1963,
- Dictionnaire Encyclopédique Quillet, éd. 1975, art icle langue
- Dictionnaire étymologique de la langue latine, Paris, éd. Nyon rainé, nouvelle édition 17'K) (Ire éd. 1776).
- Diderot. D. Lettre sur les sourds et les muets, 1 751.
- Diderot. D., art. « Encyclopédie », cité par S. Auroux, La sémiotique des encyclopédistes
- Discours préliminaire sur les origines latines, 1 re partie, art. 111. S v.

- Du Marsais, Véritables principes, cité par S. aurox, La sémiotique des encyclopédistes, Paris. Payot,cuil. « Langages et sociétés ». 1979,
- Dubois.C. G. Mythe et langage au seizième siècle, Bordeaux, Dueros, 1970,
- Fishman.J. Sociolinguistique, Paris-Bruxelles. Nathan-Labor. 197 1.
- Gusdorf. G. Les sciences humaines et la pensée occidentale III : La révolution galiléenne, Paris, Payot, 1969. t. II
- Habris J. Hermès ou recherches philosophiques sur la grammaire universelle (trad. F. Thurot, I 796), Genève-Paris, Librairie Droz, 1972,
- Joubert.L. « Question vulgaire : quel langage parlerait un enfant qui n'aurait jamais ou y parler ».in Erreurs populaires, Lyon 1608, cité par C.-G. Dubois,
- Jung.G.G. « Contribution à la psychologie de l'archétype de l'enfant » in C G. Jung-C. Kérenyi. Introduction à l'essence de la mythologie, Paris. Pavot. 1 968.
- Kérenyi. C. « L'enfant divin ». in C. G. Jung-C. Kérenyi. Introduction à l'essence de la mythologie,
- Knibiehleh.Y. – Fouquet.C., L'histoire des mères du Moyen Age à nos jours, Paris. Ed. Montalba. I 980.
- Kramer. F. Verkehrte Welten. Zur imaginaren Ethnographiedes 19. Jahrhunderts, Frankfurt am Main, 1977.
- Kristeva.J. Le langage, cet inconnu, Paris. Le Seuil, coll. « Points », 1981

- Mersenne, Harmonie universelle, 1636. Traité de la Voix et des Chants, 1. I, prop. XII, cité par K. Lenobi.e. Mersenne ou la naissance du Mécanisme, Paris, J. Vrin, 1943,
- Milner.J.-C. L'amour de la langue, Paris. Le Seuil, coll. « Connexions du Champ freudien ». 1978.
- Mounin G. Histoire de la linguistique des origines auXX' siècle, Paris, P.U.F., coll. « SLP », 1970.
- Pernoud.R. Pour en finir avec le Moyen Age, Paris. Le Seuil. 1977.
- Petot.P. « La famille en France sous l'Ancien Régime » in Sociologie comparée de la famille contemporaine, Colloques, CNRS, 1955,
- Piaget.J. Epistemologie des sciences de l'homme, Paris. Gallimard, coll. « Idées », 1972.
- Rousseau.J.-J. Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité, Paris, Gallimard, coll. « Idées », I96H (1éreéd. 1755),
- Rousseau.J.-J. Emile, livre V : « Du souci des femmes dépend la première éducation des hommes; des femmes dépendent encore leurs mœurs. »
- Rousseau.J.-J. Essai sur l'origine des langues où il est parlé de la mélodie et de l'imitation musicale (Ed., intr. et notes par C. Porset), Paris, A. G. Nizet. 1976.
- Schlanceh. J. E. Les métaphores de l'organisme
- Schlanger. J.-E., Les métaphores de l'organisme, Paris, J. Vrin éd., 1971. pp. 258 et suiv.

- T. Todorov. Théories du symbole, Paris, Le Seuil, roll. « Poétique ». 1977,
- T. Zeldin, Histoire des passions françaises 2, Orgueil et intelligence, Paris. Le Seuil, coll. « Points » 1980 .
- UNESCO. L'Emploi des langues vernaculaires dans l'enseignement, Paris.
- Urbain.J.-D. « Le système quechua de l'échange : développements métaphoriques et adaptation d'un « vocabulaire de base» in L'Homme, janvier-mars 1980,
- Verdier. Y. Façons de dire, façons de faire, Paris, Gallimard, coll. « Bibliothèque des sciences humaines », 1979 .
- Weiscehber. CI. L. Die Entdeckung der Muttersprache im europâischen Denken, Liineburg, Heliand-Yerlag. 1948
- Whitney.W. D. La vie du langage, Paris. 1892 (F. Alcan éd.. 4e éd.). chap. II.
- Wolfson.L. Le schizo et les langues, Paris, Gallimard, coll. « Connaissance de l'inconscient », 1970
- Yaguello. M. Les mots et les femmes, Paris, Payot, coll. « Langages et sociétés », 1979. A. Meillet, Linguistique historique et linguistique générale, Paris, Klincksieck. 1952, t. II,

عرض كتاب

السياسات اللغوية وبناء الهوية: ديناميات التعددية اللغوية في الكاميرون[١]

أ.د محمد مازن جلال[٢]

مقدمة

تدخل بنا هذه الدراسة إلى عالم التخطيط اللغوي داخل إفريقيا التي عانت ردحا من الزمن من ويلات الاستعمار الذي مضى إلى سبيله تاركا خلفه إرثا ثقافيا يتمظهر في أقوى صوره في اللغات، وبخاصة اللغتين الإنجليزية والفرنسية. تقدم الكاميرون إحدى الدول الإفريقية الكبرى حالة مثلى لدراسة التفاعل اللغوي، وتفاعل الهويات داخل مجتمع يموج بالعرقيات الإثنية (٢٠٠ مجموعة عرقية)، وباللغات المحلية (٢٨٥ لغة) التي تتصارع أو تتماهى في وجودها مع اللغتين الرسميتين الإنجليزية والفرنسية.

يطمح هذا الكتاب إلى تقديم نظرة لغوية اجتماعية عامة للعلاقة بين السياسة اللغوية، وبناء الهويات اللغوية والتفاعل الاجتماعي في الكاميرون. والهدف العام من الكتاب إظهار أن الخيارات اللغوية، لا سيما في حالات التعدد اللغوي بين لغات المستعمرين الإنجليزية والفرنسية واللغات المحلية في الكاميرون، لها تأثير في بناء هويات الأفراد داخل المجتمع.

١- بيانات الكتاب:
لغة الكتاب: الإنجليزية، العنوان الأصلي للكتاب:
Language Policy and Identity Construction in Cameroon: The Dynamics of Cameroon Multilingualism
المؤلف: إيريك أنشيمبي Eric A. Anchimbe، دار النشر: جون بينجامينز، سنة النشر: ٢٠١٣. عدد صفحات الكتاب ٢٥٠ صفحة

٢- أستاذ علم اللغة بقسم اللغة الإنجليزية، وكيل كلية الآداب- جامعة السويس- مصر.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

بعد هذه التوطئة يقدم **القسم الثاني** عرضا لأبواب وفصول الكتاب. أما **القسم الأخير** فيقدم عرضا نقديا للكتاب يوضح مثالبه والفوائد المستقاة منه للمخطط اللغوي.

مكونات الكتاب

يتكون الكتاب من أربعة أبواب تضم أحد عشر فصلاً. يتناول **الباب الأول** لغات السكان الأصليين في الكاميرون في ضوء السياسات والممارسات، أما **الباب الثاني** فيتناول اللغات الرسمية والهوية اللغوية التي تنشأ عبر اللغات، ويطرح **الباب الثالث**، قضية إنجليزية الكاميرون الهجين: من حيث تمدد وظائفها وزيادة مستخدميها، ويتناول **الباب الرابع** التواصل اللغوي وتأثير الواقع الاجتماعي والثقافي على بعض الظواهر اللغوية مثل تأثر لغات المستعمر وبخاصة الإنجليزية بواقع الكاميرون الثقافي والاجتماعي واللغوي، كما يتضح ذلك من خلال دراسة بعض الظواهر اللغوية الفريدة التي تكتنف إنجليزية الكاميرون CamE لا سيما ما يتعلق بأساليب التأدب والاحترام في الإنجليزية، ومدى تأثر الجانب الدلالي في إنجليزية الكاميرون بواقع الكاميرون الثقافي واللغوي.

الباب الأول: لغات السكان الأصليين: السياسة والممارسة:

يشمل هذا الباب خمسة فصول تبين العلاقة بين القوانين المتعلقة بلغات السكان الأصليين ومدى تنفيذ تلك القوانين على أرض الواقع. الفكرة الرئيسة في هذا الباب تتمثل في أن العديد من القوانين التي تدعي تمكين اللغات الكاميرونية المحلية التي يستخدمها السكان الأصليين لم يتم تنفيذها، وأنها كانت في بعض الأحوال غير متسقة ولا متكافئة، وأحيانا كانت تنفذ تنفيذا منقوصا، ما أدى إلى أن أصبحت تلك اللغات

قاصرة على الاستخدام المنزلي ولم تشب عن طوق البيئات المحلية.

يتتبع **الفصل الأول** مواقف وسياسات الحكومات الاستعمارية الثلاث: الألمانية (١٨٨٤-١٩١٦) والفرنسية (١٩١٦-١٩٦٠) والبريطانية (١٩١٦-١٩٦١)، تجاه اللغات المحلية خلال فترات الاستعمار تلك. يوضح الفصل عدم تمكين هذه اللغات المحلية خلال هذه الفترة، واستمرار هذا الوضع لاحقا في ظل حكومات ما بعد الاستعمار. يرى البعض أن هذه اللغات المحلية كانت مهمشة وظيفيا ومستبعدة نظرا لعدم استخدامها في المجالات العامة مثل التعليم أو السياسة أو الإعلام. وتبين من خلال الفصل تدني كم البث الإذاعي المخصص لهذه اللغات عبر المحطات الإذاعية الحكومية الإقليمية الأربع.

في **الفصل الثاني**، تم استجلاء التهميش الذي تمت مناقشته في الفصل الأول من خلال تحليل القرارات والقوانين الحكومية بشأن لغات السكان الأصليين في فترة ما بعد الاستعمار. واتضح أن القوانين والقرارات الصادرة حديثا في الفترة من ١٩٩٠-٢٠١٠ قد ضاعفت أيضا من التهميش لعدة أسباب، منها:

١. هيمنة اللغات الرسمية (الإنجليزية والفرنسية) على المجالات العامة بحيث لم تترك المجال للغات الأصلية.

٢. صياغة القرارات بأسلوب لا يفرض أي التزام على الحكومة لتنفيذها.

٣. آلت مسؤولية تمكين اللغات الأصلية إلى السلطات الإقليمية التي ليس لديها ميزانيات أو نظم تعليمية مستقلة.

٤. عدم وجود وثيقة موجزة واضحة تعبر عن السياسة اللغوية التي تنتهجها البلاد.

على الرغم من وجود قوانين و قرارات تعد جزءًا من القوانين المتعلقة بالمجالات

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الإدارية الأخرى، مثل تنظيم التعليم، وإنشاء مناطق «مستقلة»، إلا أن تلك القوانين لا ترسم سياسة لغوية منتظمة.

يبين **الفصل الثالث**، القيود المفروضة على تعليم اللغات الأصلية المؤسسة على مواقف الشعوب وتفضيلاتها. فتلك القيود عند إضافتها للسياسات غير المتسقة من قبل الدولة تدفع اللغات الأصلية نحو التهميش. فالسكان لا يجدون فرص العمل ولا المكانة الدولية عند استخدام لغاتهم الأصلية ومن ثم لا يعلمون أطفالهم تلك اللغات مرة أخرى. ويعتقد بعض الناس أن تمكين لغات السكان الأصليين يمكن أن يؤدي إلى فرقة وطنية ويخلق حالة من عدم التكافؤ بين الجماعات العرقية.

يحدد **الفصل الرابع** العوامل التي تحمي اللغات الأصلية من خطر الاندثار والانقراض. وأهم تلك العوامل أن هذه اللغات تعمل على خطوط متوازية مع اللغات الرسمية في العديد من المجالات، فعلى سبيل المثال، في حين تستخدم اللغات الرسمية لأسباب اجتماعية واقتصادية ملحة في المجالا ت الرسمية، تستخدم لغات السكان الأصليين على نطاق واسع في التفاعل الاجتماعي والترابط الأسري؛ وطالما استمرت هذه اللغات تفي بتلك الوظيفة في المجتمعات الإثنية، داخل القرى والعشائر، والقبائل فسوف تظل تحافظ على حيويتها حتى لو تحدث بها بضع مئات من المتكلمين فقط. وبالفعل لم يعد عدد المتحدثين ببعض هذه اللغات أكثر من بضع مئات في مناطق كثيفة متعددة اللغات.

يستعرض **الفصل الخامس** نماذج تخطيط التعدد اللغوي في جنوب الصحراء الكبرى بإفريقيا؛ بهدف تحديد سبب عدم تحقيقها لما هو متوقع من أهداف. باستثناء جنوب إفريقيا التي طبقت سياسة التعدد اللغوي التي مكنت للغات السكان الأصليين، ظلت النماذج الأخرى للتعدد اللغوي غير مكتملة في معظم البلدان الإفريقية. يقترح الفصل نموذجًا إقليميًا للتعدد اللغوي الخاص بالكاميرون يسعى للتغلب على أوجه القصور في النماذج

السابقة، وتتمثل قوة هذا النموذج في أنه يقترح وظائف جديدة للغات المحلية يجعلها مصدر جذب إليها. يوضح الفصل أن الفائدة الوظيفية لتلك اللغات غالبا ما تم تجاهلها في النماذج السابقة؛ وحماية ذلك التوظيف اللغوي تزيد من فرص قبول تلك اللغات لغةً ثانيةً أو ثالثةً، ما يسمح لها بالعمل بالتوازي دون أية اختلالات عرقية أو قبلية.

الباب الثاني: اللغات الرسمية: سياسة الازدواج اللغوي والهوية اللغوية عبر اللغات

بعد ما تم وصف سياسة الحكومة تجاه لغات السكان الأصليين في الباب الأول، يركز الباب الثاني على اللغتين الرسميتين: الفرنسية والإنجليزية. فالترويج للغتين الرسميتين، الذي توضحه الفصول الثلاثة في هذا الباب، يبين أنهما أصبحتا بمثابة أيقونات للهوية. ولم تنجح سياسة اللغتين الرسميتين في خلق مزدوجي اللغة يتحدثون الإنجليزية والفرنسية معا، بل أدى ذلك إلى استقلال الهويات؛ حيث انفصل الناطقون بالفرنسية بهوية فرانكوفونية، عن الناطقين بالإنجليزية الذين اتخذوا لهم هوية أنجلوفونية. النتيجة التي تمخضت عن ذلك تعزيز هاتين المجموعتين اللغويتين التاريخيتين في كيانات شبه عرقية.

يحدد **الفصل السادس** المجالات التي تم من خلالها تمكين اللغات الرسمية في ظل سياسة الثنائية اللغوية التي تتبعها الدولة، ولكن يثبت الفصل أن الاستراتيجيات المستخدمة في تنفيذ السياسة كانت غير واقعية، وغير عملية، ومتناقضة. على سبيل المثال، تستند المناهج التعليمية في تعليم اللغة إلى نماذج اللغة «الثانية» ESL جنبا إلى جنب مع نماذج تعليم اللغة «الأجنبية» EFL؛ فقوانين التعليم متناقضة؛ إذ إنها تستهدف الثنائية اللغوية لكنها تمارس التعليم مزدوج الثقافة في نظامين فرعيين مستقلين تماما: النظم الفرعية الأنغلوفونية والنظم الفرعية الفرانكوفونية؛ وهناك قضية النظرة السياسية للتعدد اللغوي كمصدر

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

محتمل للخلاف بين المجموعات الإثنية اللغوية.

يدرس **الفصل السابع** المجموعات الناطقة بالإنجليزية وتلك الناطقة بالفرنسية بالتفصيل، ويبين أن بناء الهوية في تلك المجموعات قد حولها إلى كيانات جغرافية ولغوية بل وثقافية أقوى. يكشف استبيان أجري على الأطفال الفرانكفونيين الذين يدرسون في المدارس المتوسطة الإنجليزية في ياوندي عن أنه على الرغم من أن هؤلاء الأطفال يتحدثون الإنجليزية ولديهم سمات إنجليزية، إلا أن والديهم - في معظم الحالات - لا يعتبرونهم أنغلوفونيين. إذا استمر هذا التصور في الأجيال القادمة من الأطفال، وهذا هو الحال بالفعل، فإنه ينبغي إعادة تعريف «الأنغلوفونية» و«الفرانكوفونية» في المستقبل.

في حين أن إعادة التعريف نتيجة محتملة في المستقبل، فإن أنماط الهوية المزدوجة «الهجين» واحتمال تبني وبناء هوية متعددة وهو ما يحدث في الوقت الحالي هو موضوع الفصل الثامن. يوضح الفصل كيف يبني الكاميرونيون هويات مشتركة تقوم على اللغات، والحدود الطبيعية والتاريخ والثقافة المشتركة لأسباب عملية ونفعية مهمة تفيد الأطراف كافة. فمن الهويات التي تقوم على اللغات هوية الانتماء إلى الناطقين باللغات المحلية native language identity، وهوية الانتماء إلى الناطقين باللغة الرسمية (الإنجليزية أو الفرنسية) official language identity، وهوية الانتماء إلى الناطقين مزدوجي اللغة (الإنجليزية والفرنسية معا Bilingual English-French identity)، وهوية الانتماء إلى الناطقين بالإنجليزية والفرنسية واللغات المحلية Dual (native- official language identity)، ثم هناك الهوية الفردية التي تنتمي لكل ما هو أجنبي individual (foreign) identity. تتداخل تلك الهويات تارة وقد تنفصل تارة أخرى. يصف الفصل العوامل المكونة لإنشاء أحلاف توافقية تقوم على الهويات المشتركة داخل الكاميرون، مثل: حلف الشمال الكبير the grand north، وحلف ثقافات الأراضي

العشبية، وحلف المقاطعة الحادية عشرة، وحلف ساوا الساحلي. والتحالفات غالبا ما تكون مفيدة فرديا وجماعيا.

الباب الثالث: الإنجليزية الكاميرونية الهجين CPE: التوسع الوظيفي وازدياد المستخدمين

يقدم **الفصل التاسع** نظرة عامة حول الوضع الحالي ووظائف الإنجليزية الكاميرونية الهجين، ما يدل على استخدامه في بعض الأوساط الرسمية والمؤسسية التي كانت تؤدى تاريخيا من خلال الإنجليزية أو الفرنسية. يتم التركيز في الفصل على المجالات العامة، مثل: الإذاعة والتلفزيون والإدارة الحكومية، والعملية الانتخابية، حيث تكتسب **الإنجليزية الكاميرونية** المزيد من القوة.

الباب الرابع: التواصل اللغوي: الأنماط اللغوية للتأدب والهويات الاجتماعية

يوضح **الباب الرابع**، من خلال تحليل بيانات طبيعية تلقائية منطوقة ومكتوبة، كيف تؤثر خيارات السياسات اللغوية في توجيه التفاعل داخل المجموعة الواحدة، وبين المجموعات، وفي بناء هوية المجموعة. تستخدم البيانات الإلكترونية لتحديد وتحليل استراتيجيات التأدب والاحترام التي يتبناها المتحدثون بالإنجليزية الكاميرونية في مواقف التفاعل الاجتماعي، ويبين الفصل كيف يمكن للثقافة والواقع الكاميروني أن يؤثرا في بنية الإنجليزية الكاميرونية.

يدور **الفصل العاشر** حول استخدام مصطلحات القرابة، مثل: العم والعمة، والأخ والأخت، والابن والابنة. فتستخدم هذه المصطلحات مع الغرباء كوسيلة لإعادة صياغة التفاعل داخل مساحة الأسرة حيث يتم تحديد الأدوار الاجتماعية التي من خلالها يتم

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

تحقيق الاحترام والتأدب، فتلك التعبيرات لا تستخدم بين الغرباء عادة في الإنجليزية التقليدية بينما تستخدم بكثرة في إنجليزية الكاميرون، كما أن الناطقين بالإنجليزية الكاميرونية يتجنبون التحدث بالاسم الأول مباشرة name escapism بل يدخلون الألقاب ومصطلحات القرابة للهروب من هذا المأزق الثقافي الذي يتنافى مع التقاليد التي تمنع مخاطبة الآخر باسمه غفلا من التوصيف أو ألفاظ القرابة أو الاحترام الاجتماعي الذي قد لا تجد الإنجليزية التقليدية غضاضة فيه. باستخدام أمثلة من النصوص المكتوبة، ومسرحيات لكاتبين مسرحيين كاميرونيين، وكذلك من خلال نصوص من جريدة Post الكاميرونية التي تستخدم الإنجليزية. يخلص الفصل إلى أن المتحدثين حريصون على إظهار التأدب بصرف النظر عن الخلفيات الثقافية، إلا أن تحقيقها داخل كل مجموعة يخضع لمعايير اجتماعية ولغوية وثقافية، ما يعني تأثر اللغة بطبيعة التفاعل الاجتماعي الذي يراعي عادات المجتمع وتقاليده.

في الفصل **الحادي عشر**، تم تحليل بعض الكلمات والتعبيرات الشبابية التي تم تجميعها من مجلة Jeune «الشباب» (النسخة الإنجليزية) بين عامي ٢٠٠٠ - ٢٠٠٦. وبتحليل اللغة الشبابية لوحظ وجود إعادة هيكلة للكلمات الإنجليزية، ووجود تحولات دلالية، وتوسع، وتضييق دلاليين؛ فبعض الكلمات لها دلالات خاصة غير موجودة في اللغة الأم، فمصطلح «minute man-90» (حرفيا: رجل التسعين دقيقة) يشير إلى «الصديق الحميم»، ومصطلح « seater-70» (ذو سبعين مقعد) يشير إلى «جهاز الجوال الكبير»، وكلمة chaka وليس لها أصل في الإنجليزية تشير إلى «الحذاء» ، كما أن كلمة docki man تشير إلى «الشخص المزور»، وهناك ألفاظ مستعارة من الفرنسية تستخدم في إنجليزية الكاميرون مثل كلمة petite الفرنسية التي تشير إلى «الفتاة الصغيرة»، وتستخدم بعض الكلمات من اللغات المحلية مثل كلمة nga التي تعني «فتاة» . كما لوحظ إعادة ترتيب

المقاطع في بعض الكلمات بصورة معكوسة مثل كلمة piano «بيانو» التي تنطق مقلوبة nopia، وكلمة broken «مكسور» التي تنطق kenbro، وكلمة taxi «ليموزين» التي تنطق sitak. يتضح من الدراسة أن ثمة عملية بناء هويات لغوية جديدة تتم، هويات تتفاعل مع اللغات العرقية واللغات الرسمية والمواقع الجغرافية، وتمثل طبقة جديدة تضاف للهويات المتعددة التي تتمتع بها الكاميرون بالفعل.

تحليل نقدي للكتاب وفوائده للمخطط اللغوي

يقدم هذا الكتاب صورة لحالة التشابك والتصارع اللغوي بين اللغات المختلفة في الواقع الكاميروني الذي ربما يمثل صورة مصغرة لما يجري في قارة إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. والكتاب – وفق أهدافه – مختص بالحالة الكاميرونية، وقد أحسن المؤلف عرض تلك الحالة من كل جوانبها، غير أن قيمة الكتاب كان يمكن أن تكون أكثر نفعا لو تم ربطها بالحالة الأفريقية العامة؛ حيث لم يستدع الكاتب سوى حالة اللغات في جنوب إفريقيا وتجربتها في التوفيق بين واقع اللغات الرسمية والمحلية. وعلى الرغم من ذلك فقد أظهر الكتاب العديد من الدروس المفيدة لمخطط اللغة داخل العالم العربي وخارجه.

من الدروس المستفادة للمخطط اللغوي من هذا الكتاب أن المهم ليس إصدار القوانين التي تخص اللغة، لكن ما يجدي هو تنفيذ القوانين على أرض الواقع؛ حيث لم تفد اللغات الكاميرونية المحلية من القوانين التي تم إصدارها؛ بسبب عدم القدرة على تنفيذ تلك القوانين أو عدم وجود إرادة كافية لإنفاذ السياسة اللغوية على أرض الواقع.

ينبه هذا الكتاب أيضا إلى أمر مهم، ألا وهو أن سياسات ما بعد الاستعمار تمارس بنفس الضراوة سياسات الاستعمار البائد؛ إذ إنه من الجلي أن معاناة اللغات المحلية خلال

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الفترات الاستعمارية الألمانية والفرنسية والبريطانية هي ذات المعاناة التي تكابدها تلك اللغات في ظل الحكومات «الوطنية» الجديدة؛ إذ اللغة مهمشة وظيفيا في المجال العام في التعليم، والسياسة، والإعلام، وقد تبين ذلك من خلال ذلك القدر المتدني من البث الإذاعي المخصص لتلك اللغات المحلية للتعبير عن هويتها في الكاميرون.

ثبت من تلك الدراسة كذلك أن حيوية اللغة مرتبطة باستعمالها في أداء وظائف اجتماعيه داخل المجتمع خاصة بالترابط والتفاعل الاجتماعي؛ فنرى هنا أن اللغات المحلية -رغم تهميشها- تلعب دورا كبيرا في التفاعل الاجتماعي؛ ومن ثم فان هذه اللغات باقية في المجتمعات الأهلية داخل القرى والعشائر والقبائل. لقد استمرت تلك اللغات في المحافظة علي حيويتها بسبب استخدامها في التعبير عن أغراض الحياة اليومية وعن العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وهذا يعطينا درسا كبيرا في أن اللغة تبقى ما دامت مستعملة وتمارس وظائفها الحيوية.

من الدروس المستفادة من الكتاب أن تجارب التعدد اللغوي يجب أن تراعي اللغات المحلية إلى جانب اللغات الرسمية المستخدمة في البلدان ما بعد الاستعمار، وأن كل التجارب يجب ان تتعلم من سابقتها؛ فتجربه النجاح في جنوب إفريقيا يجب أن تكون مثالا أمام تجارب التعدد اللغوي؛ حتى تتمكن اللغات المحلية واللغات الوطنية من أن تتأصل في بلادها، وينبغي تقسيم الوظائف اللغوية بين اللغات المحلية واللغات الرسمية، ويجب أن تراعي سياسات التعليم اللغات المحلية بحيث يمكن تمكينها على الأقل من أن تكون لغة ثانية أو ثالثة؛ ويمكن أن تعمل بالتوازي مع اللغات الرسمية، ولابد أن نضع في الاعتبار كيف يمكن التخطيط للغات المحلية دون استثارة النعرات القبلية – كما رأينا في الحالة التي بين أيدينا– إذا تغلبت لغة محلية على أخرى بحيث يمكن تجنب المشاحنات التي تقوض النسيج الوطني.

من النتائج المهمة للدراسة الحالية أيضا أن لغات المستعمر تنتج داخل الدولة بعد

رحيل الاستعمار هويات عرقية وطبقات اجتماعية تحاول أن تكتسب لها قوة داخل المجتمع تستمدها من المستعمر القديم، وهذا ما نلاحظه في تلك الحال الكاميرونية إذ نلاحظ تكوين هوية أنجلوفونية في مقابل هوية فرانكفونية داخل البلد ذاته، ومن ثم فهذا يدل على أن الاستعمار، وإن كان قد رحل عن بعض البلاد، إلا أن له أتباعا وأذنابا لا يزالون قابعين في قاع المجتمعات المستعمرة القديمة.

يثبت الكتاب ما ترسخ في الدراسات السابقة للغويات الاجتماعية أن اللغات تصنع هويات، وهذا ما نراه بالفعل على أرض الواقع؛ إذ إن اللغة الإنجليزية قد صنعت هوية أنجلوفونية، كما أن اللغة الفرنسية قد صنعت هوية فرانكفونية، كما أن اللغات المحلية أدت إلى صنع ما يسمى بالهويات المتعددة داخل المجتمع الواحد. من الجلي هنا أن صراع الهويات مرتبط ارتباطا كبيرا بصراع اللغات. ومن ثم فإن الكتاب يطرح القضية القديمة الحديثة حول العلاقة بين اللغة والهوية.

يطرح الكتاب أيضا قضية التنوعات اللغوية للغة الواحدة التي تتأثر ببيئتها وثقافتها الجديدة؛ فإنجليزية الكاميرون استطاعت أن تصنع لنفسها وظائف جديدة وحدود جديدة تخرج عن مألوف اللغة الإنجليزية القديمة، كما ظهر في الفصل الحادي عشر من خلال أعداد مجلة «الشباب»؛ فهناك تغيرات ملحوظة طرأت على اللغة الإنجليزية، مثل: إعادة هيكلة كلماتها، ووجود تحولات دلالية من حيث التوسع والتضييق الدلاليين. كما لوحظ إعادة ترتيب المقاطع في بعض الكلمات مما يدل على أن اللغة الإنجليزية الكاميرونية تتفاعل مع ثقافتها وبذلك تختلف - ولو شيئا قليلا- عن اللغة الإنجليزية التقليدية. وهذا يأخذنا مرة أخرى إلى قضية «إنجليزيات» العالم وعلاقة اللغة بالثقافة.

الكتاب وجبة دسمة لمن أراد أن يطلع على تاريخ السياسة اللغوية وواقعها في القارة السمراء ولمن أراد أن يفيد من التجربة الثرية في منطقة وسط وغرب إفريقيا.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

عرض كتاب

السياسة اللغويّة في البلاد العربية - بحثاً عن بيئة طبيعية، عادلة، ديمقراطية، وناجعة[1]

د. أحمد الجنادبة[2]

يعالج الفاسي الفهري في كتابه الموسوم بـ (السياسة اللغوية في البلاد العربية) جملةً من القضايا والإشكالات المعقّدة التي تُحيط بالسياسة والتخطيط اللغويين في عالمنا العربي، رجاة الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها كي تُحقق هذه اللغة أهدافها السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية؛ فالسياسة اللغوية في البلاد العربية - كما يرى الفهري- لا تُدين إلى اللغة العربية في شيء بل إنَّ مفهوم اللغة عند السياسيين العرب مُكوِّن خارج حساباتهم السياسية والاقتصادية، فلا نكاد نجد عندهم رؤية لسياسة لغوية عربية صريحة واضحة، ولا تخطيطاً لغوياً مسبقاً مُعداً لخدمة اللغة العربية وحمايتها مما آل إليه وضعها الراهن، وللخروج من هذه الأزمة اللغوية العربية رأى الفهري أنه لابدّ من الاجتهاد على الدفع بالعربية نحو الاستعمال والشيوع من جهة وبلوغ مرتبة العالمية من جهة ثانية.

---

١ - بيانات الكتاب:
اسم الكتاب: السياسة اللغوية في البلاد العربية- بحثاً عن بيئة طبيعية، عادلة، ديمقراطية، وناجعة. المؤلف: الأستاذ الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري. عدد الصفحات: ٣٣٢ صفحة. النشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣.

٢- أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية- جامعة زايد- الإمارات العربية المتّحدة.

نوّه الفهري في مقدمة الكتاب إلى أن مُجمل القضايا اللغوية العربية التي تعرّض لها بعمق (كالازدواجية اللغوية/ الثنائية اللغوية والتعدد اللغوي/ اللغة والهوية) ليست حديثة عهد في الدرس اللساني العربي؛ بل إن عددًا منها أُثير منذ بداية الاشتغال على قضايا اللغة العربية في التراث العربي فقد قُعّدت ضوابطها في القرنين الأول والثاني الهجريين، ولكن ما يمكن عدّه سمة بارزة وفرادة لهذا الكتاب هي شموليته في معالجة تلك القضايا من خلال الاستدلال بما وصلت إليه الدّراسات العلمية للغة الكونية والنظام اللغوي الترابي (اللغة الوطنية) والعالمي، وربط اللغة بالعدالة والأحقية الاجتماعية، وأهمية دور الدولة في صنع القرار اللغوي وربط اللغة بسيادة الدولة ورفع اقتصادها كي لا تقل شأنًا عن قيمة: الحاكم، والعَلَم، والعُملة..فلغتنا العربية- بحسب ما يرى الفهري- لغة مهددة في بقائها ومستهدفة في ديمومتها، لأن دولها ونخبها وشعوبها لم تعد تحميها أو تذود عنها بما يكفي.

الفهري ألف كتابه متبّعًا منهجًا علميًا صارمًا مُحكمًا قائمًا على الاستدلال والمقارنة والتفسير وتحليل الوقائع، بأسلوب واضح متقنٍ أعانه على رسم مخطط لسياسة لغوية عربية معتمد بشكل رئيس على مفهومي: الديمقراطية، والعدالة الفاعلة انطلاقًا من مفهوم «مبدأ الترابية» الذي يسعى إلى إيجاد آلية لدعم اللغتين الدستوريتين الوطنيتين في القطر الواحد. ولم يكتف المؤلف بدق جرس الإنذار للتنبيه إلى الخطورة الثقافية والحضارية المترتبة على غياب المشروع اللغوي العربي الشامل في تحقيق سياسة لغوية ناجعة واضحة الرؤى: بل طرح خططا واقترح استراتيجيات تحفظ للعرب لغتهم من الاندثار أو الموت مع مرور الزمن، إذ لا بدّ من استفاقة عربية عمومية تحظى بدعم أصيل جادٍّ، ومتابعة حثيثة من السلطة الحاكمة، والنخب الإبداعية، والمجتمع؛ كي يتحقق هذا المشروع العربي الذي طال انتظاره وقلّ دعاته.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

حوى الكتاب ستة فصول طوال ومقدمة خفيفة كثيفة، وخُتم بمسردين: أفرد الأول لسرد المفاهيم والمصطلحات اللغوية التي وردت في الكتاب، والثاني لأسماء الأعلام العرب وغيرهم. تناولت الفصول الستة أبرز القضايا اللغوية التي لا بدّ لكل مهتم بالوضع اللغوي العربي أن يحيط بها درساً وفهماً قبل الشروع في إطلاق أي مشروع تخطيط لغوي جادّ يرمي للنهوض باللغة العربية والدفع بها نحو الاستمرارية الحياتية ومواكبة التطورات العصرية خدمة لأبنائها ودرءًا لشعورهم بأن هذه اللغة باتت غير قادرة على تلبية حاجاتهم العصرية، فأفرد لهذا المطلب الفصل الأخير الذي أسهب فيه النقاش حول سُبل إخراج تخطيط لغوي ثقافي عربي جديد يحقق آمال الشعوب العربية ويوحدّ صفهم.

جاء الفصل الأول بعنوان: **"أوضاع اللغة العربية وتحدياتها"** عرض فيه المؤلف واقع اللغة العربية في الفضاء العربي من خلال الإشارة لجملة من القضايا الرئيسة التي تكشف عن تحديات اللغة العربية ومعرفة أوضاعها الاجتماعية والسياسية على المستويين العربي والعالمي، فبدأ بقضية الازدواجية اللغوية في العالم العربي وأثرها على اللغة المعيارية السليمة، وقد ذهب الفهري أن انتشار العاميات واللغات الأجنبية على المستوى الرسمي للدولة والمستوى التداولي للفرد العربي سيُعجِّل بزوال اللغة العربية المعيارية الفصيحة عاجلاً أم آجلاً لا محالة، ولم يكتف الفهري في كشفه عن هذه المشاكل بل انتهج في كتابه منهج التشخيص والحل فبدأ في عرض المشكلة أو ما ستؤول إليه، وطرح الحلّ الأمثل لها فاقترح لحسم قضية الازدواجية إضعاف اللهجات المزاحمة للغة العربية وليس العكس مثلما هو ملموس وماثل في واقعنا الآن. ولم يُغفل الفهري الحديث في هذا الفصل عن قضية اللغة العربية وارتباطها بهوية الفرد العربي فيرى أن سبب تعدد الهويات في الوطن العربي هو الانتشار الواسع للعامية على حساب اللغة العربية التي توحّد الهوية العربية ولا تفرقها. وعند حديثه عن الثنائية والتعدد اللغوي رأى أن حاجتنا اليوم لإتقان اللغات

الأجنبية تُعتبر ماسة لا مفر منها، وأن الثنائية اللغوية ضرورة حتمية لأي تخطيط لغوي «إن هي مورست طبقاً لحسابات موضوعية بعيداً عن السياسات الضيقة؛ بشرط أن تدعم اللغة العربية». ولنجاح أي تخطيط سياسي لغوي عربي لا بدّ من إشاعة المصطلح العربي والحدّ من تفوّق المصطلح الأجنبي في جميع جوانب المعرفة والعلوم البشرية، ويأتي هذا المقترح لمواكبة تيار العولمة اللغوية الزاحف التي ترمي إلى الحد من بلوغ اللغة العربية صرح اللغات العالمية في ضوء ما تفرضه العولمة من شروط على اللغات التي تبتغي الحضور العالمي والاستمراية، وهذه مهام المجامع اللغوية العربية ودورها الرئيس كما يرى الفهري. هذا ما تفاءل وتشبث به الفهري للارتقاء باللغة العربية نحو العالمية أسوة بغيرها من اللغات الحاضرة عالميا الآن كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية... .

في الفصل الثاني« **البيئة السياسية صنع القرار اللغوي والديمقراطية**» كرَّس المؤلف جهده إلى الدعوة إلى سياسة عربية لغوية ديمقراطية مبرزًا أن هذا المشروع أصبح مطلبًا لازمًا لصون الهُويّة العربية واللغة العربية، وانتقد الفهري تخاذل وتقاعس القرار السياسي العربي اللغوي وضعفه في الأخذ بهذا المطلب الجمهوري وما سوف يترتب على تغييب التخطيط اللغوي العربي من آثار لن تسرَّ الأجيال القادمة ومستقبل اللغة العربية، ودلَّل على ذلك بنقده وعدم رضاه عن دور أكاديمية محمد الخامس للغة العربية وفاعليتها على المستوى العربي والعالمي، فرأى أن تعطيل دور هذه المؤسسة أسهم بشكل كبير في تبوءُ اللغة الفرنسية مكانًا مرموقًا في الاستعمال الرسمي وغير الرسمي في المغرب، فالتخطيط اللغوي غير موجود في البلاد العربية؛ بل مُغيّب ومُقصى من أجندة القرار السياسي في العالم العربي وجميع التوجهات السياسية اللغوية العربية تخالف الواقع العربي اللغوي، وحضور اللغة العربية لدى أبنائها حضورًا حياتيًا وبحثيًا، أمّا الواقع الذي يثبته الفهري فمؤداه أن الديمقراطية اللغوية في العالم العربي دفعت بالعاميات واللغات الأجنبية،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وحصرت اللغة العربية الفصيحة في حقول معرفية ضيقة ونخب إبداعبة تكتب لذاتها وحدها تقرأ ما تكتب.

أما الفصل الثالث «**العدالة اللغوية – البيئة ووسائلها**» فقد أفرده المُصَنِّف لطرح جديد يتمثّل في تحقيق مطلب العدالة الاجتماعية اللغوية والترابية اللغوية إذ يرى الفهري أنه لا يمكن أن يُكتب النجاح لأي مشروع عربي في التخطيط اللغوي دون اعتماد هذين المطلبين وعدهما ركيزة أساسيّة في مرحلة الإعداد للمشروع وخلال فترة تنفيذه، مشيراً إلى أن تحقيق مبدأ الترابية اللغوية مرتبط بنسف أسطورة أن لغة ما تغلب لغة أخرى وتتفوق عليها؛ بل ينبغي أن نحقق مبدأ المساواة باعتمادنا اللغة الترابية الوطنية المرتبطة بالأرض وتوظيف اللهجات العربية توظيفاً إيجابياً في توحيد الهوية الوطنية ودعمها ولا يكون ذلك إلا بدحرنا لصور العربية المتعددة كظاهرتي: العربية الفرنسية في المغرب العربي (العرنسيّة) وظاهرة العربية الإنجليزية في المشرق العربي (العربيزية). فإذا ما حققنا هذا المبدأ سنصل إلى مبادئ العدالة اللغوية التي يُؤسّس لها الفهري بطرحه المستفيض لمفهومها وآليات تطبيقها في هذا الفصل.

ويأتي الفصل الرابع «**الثقافة والحضارة واللغة**» حاملاً هذا الثالوث؛ ليؤكّد على مكانة العرب والعربية تاريخاً وحضارةً وأنهم محور ومرتكز أساس من خلال وجودهم المستمر في قلب التفاعل بين الحضارات وصراعها الممتد تاريخيا، وكأن الفهري أراد من هذا التقديم أن يذكّرنا بأنَّ إيصال العربية إلى العالمية ليست مستحيلة بل منوط بتخطيط لغوي عربي سليم لا يرنو إلى جعل العربية ذات مكانة مرموقة في الواقع العربي وحسب، وإنما إلى الوصول بالعربية نحو العالمية ومجاراة الحضارة الأوروبية– الأمريكية السائدة في هذا القرن، ويرى الفهري أن كل هذه الرؤى والتطلعات العربية ستبقى أحلاما منتظرة

لن تتحقق بمعزل عن سياسية لغوية ديمقراطية عربية ثقافية شاملة تحمل رايتها: القوة الحاكمة بقرار سياسي سيادي لغوي، ونخب إبداعية واعدة، ومجتمع عربي واعٍ مدرك قيمة اللغة العربية وحتمية حمايتها من الاندثار والزوال مع مرور الزمن.

في الفصل الخامس «**اقتصادية اللغة**» يبتدره الباحث بمقولة فرنسيس بونج (Bonge Francis) إذ يقول: «نحن نمارس اللغة الفرنسية وهي ليست بالنسبة إلينا أداة تواصل طبيعية وحسب، بل هي وسيلتنا للعيش كذلك» والواضح من غاية الفهري في إيراده لهذه المقولة هي الإشارة إلى القيمة الاقتصادية للغة التي ينبغي أن تُراعى في التخطيط اللغوي وفي رسم ملامح السياسة اللغوية العربية، فَنِتاج الحفاظ على اللغة العربية ليس مقتصراً على حفظ الهوية العربية وتوحيد كلمة الأمة، بل الأمر يتعدى ذلك إلى رفع اقتصاد الدول العربية وتحقيق رفاه معيشي للفرد العربي ودخلًا اقتصاديًا أفضل من خلال وجود اقتصاد دائم بفضل وجود لغة دائمة الحضور والانتشار في الساحة العالمية، فاللغة تعد رافدًا رئيسًا للاقتصاد وهذا مالم يلتفت إليه صناع القرار السياسي في العالم العربي، ولعل الفهري بذكاء كبير يطرح لأصحاب القرار السياسي هذه الحقيقة؛ لتحفيزهم وترغيبهم في دعم التخطيط اللغوي والأخذ به بشكل جادّ ووضعه في سلم أولوياتهم وأجندتهم السياسية، ولكي نصل إلى ذلك يضع الفهري حلولاً منطقية عملية منها: تبني مشروع اعتماد اللغة العربية المعيارية لغة الاستعمال الرسمي في الأقطار العربية ومتابعة تطبيق هذا المشروع عمليًا من قبل مؤسسات وأفراد تُعنى بهذا الشأن، وعدم فتح الأفق لرسم العاميات وتأصيلها، وأن يَحول القرار السياسي دون انتشار اللغة الأجنبية وتفعيلها على حساب اللغة العربية، وأخيراً ينوه الفهري إلى أن الدور الأكبر في إنجاح هذه الأفكار سيكون لوسائل الإعلام العربية بكل صورها وأطيافها في بث هذه المطالب وإشهارها في الواقع العربي لتصل لكل فرد عربي في كل قطر عربي.

الفصل الأخير الذي حمل عنوان: «**في سبيل تخطيط واستنهاض لغوي جديد**»، جعله

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الفهري مساحة لتجسيد ما انفك ينادي به في الفصول السابقة في إقناع صُنّاع القرار السياسي في الأقطار العربية كافة باتخاذ تدابير سياسية لغوية والإفادة من التجارب العالمية في التخطيط للغاتها وحمايتها من الزوال.

نرى من خلال ما تقدّم أنَّ الفهري يراهن في تحقيق هذا المشروع العربي الأممي على الورقة السياسية ودعمها للخروج بسياسة لغوية ناجعة تخدم القطر العربي من المحيط إلى الخليج، وأن تحقّق مشروع كهذا يحتاج إلى تكاتف الجهود واستنهاض عربي أممي شامل يرنو إلى غاية واضحة المعالم هدفها الرئيس الوصول باللغة العربية إلى العالمية وعدم الاكتفاء بخاصية قداسة اللغة العربية وحدها؛ بل لا بدّ أن تحيا اللغة العربية دنيوياً كما هي حية دينيًا لدى العربي وغيره من المسلمين في الفضاء العالمي، والفهري لم يترك الحبل على غاربه في تشخيصه للواقع العربي وما سيؤول إليه مصير العربية والعربي في حال استمر الغياب واللامبالاة في إطلاق التخطيط اللغوي المرجو، بل اقترح لكل قضية أو فكرة طرحها في هذا الكتاب حلّاً عملياً مستوحى من عمق تجربته النظرية وإنتاجه الثري في الدرس اللساني والتخطيط اللغوي، ولم يغفل ذكر التجارب العالمية ونتائج البحوث التي دعمت وأكدت فاعلية حلوله ومقترحاته في الخروج من هذه الأزمة اللغوية التي تشهدها اللغة العربية، إذ اعتمد على قائمة مطوّلة من المصادر وصلت إلى الخمسمئة مرجع عربي وإنجليزي وفرنسي أعانته على سلامة التشخيص ونجاعة العلاج.

لقد دحض الفهري في عرضه للسياسة اللغوية الواجب اتخاذها في البلاد العربية كل ما كان يتعذر به المحتجون والرافضون لإطلاق مشروع التخطيط اللغوي العربي وعدم الاكتراث بإعادة النظر في السياسة اللغوية في البلاد العربية -هذا إن كان ثمة هناك سياسة لغوية أصلاً- بتشخيصه العلمي وتأصيله النظري العميق لواقع اللغة العربية وما وصلت إليه في هذا العصر من انحطاط وتجاهل متعمدين، فقد وضع الفهري الصورة والرسم الدقيق لجميع مراحل بناء التخطيط اللغوي وأن إمكان تحقيق هذا المشروع ليس أمرًا

مستحيلًا ولا مستعصيًا إن وجد الإيمان بأهميته من لدن السلطة الحاكمة وأصحاب القرار السياسي في جميع الأقطار العربية.

ولعل إحكام الفهري لموضوع هذا الكتاب أسهم بشكل رئيس في عدّ كتابه من أهم وأنفع الكتب التي تناولت التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في الفضاء العربي، فقد نافح الفهري بإسهاب عن حقوق الشعوب العربية في لغتهم العربية استعمالًا وتعليمًا وسياسة وحضورًا عالميًا يُعلي من مكانة الفرد العربي بين الأمم والحضارات ويجعل منه عنصرًا بشريًا فاعلًا مؤثرًا لا تابعًا مغلوبًا مهزومًا مستهلكًا ما ينتجه الآخر دون قدرة على الإسهام في الإنتاج .

ليس من شكّ في أن ما وظّفه الفهري وساقه في كتابه من تجارب ونماذج عالمية في التخطيط اللغوي لدى عرضه ومناقشته وتحليله لمسألتي السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي العربيين زاد من قيمة هذا الكتاب وأهميته، إذ وضع مُؤلّفَهُ هذا في طليعة المؤلفات التي تناولت الموضوع ذاته قديمًا وحديثًا.

قد تغيا عرض الكتاب ومراجعته جملة من الأهداف العربية القومية تتمثل في الأخذ بيد الفهري في مشروعه المقترح للحفاظ على اللغة العربية من التدهور والاندثار، وذلك من خلال لفت انتباه القارئ العربي وصنّاع القرار السياسي العربي إلى خطورة عدم الاهتمام باللغة العربية، وعدم نشر الوعي اللغوي في جميع الأقطار العربية، لا سيما في ظل التصاعد والاهتمام العالمي بالتخطيط اللغوي، وتفعيل دور المؤسسات التعريبية (المجامع اللغوية العربية) والأقلام العربية الإبداعية (الكتّاب والمترجمون العرب) والإفادة من التجارب العالمية التي أشار إليها الفهري بصفتها نماذج ناجحة في تخطيطها اللغوي وسياستها اللغوية الناجعة التي آتت أكلها كالتجربة الكورية والفنلندية واليابانية...الخ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

صدر حديثًا

مشروع نظام الكتابة العربية

صدر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية هذا المشروع ضمن سلسلة (مباحث لغوية) التي يشرف المركز على اختيار عنواناتها، وتكليف المحررين والمؤلفين، ومتابعة التأليف حتى إصدار الكتب، وذلك بهدف سدِّ حاجات الباحثين البحثية والعلمية وتنبيههم عليها، وتكثيف البحث فيها، كما يهدف إلى بناء تراكمي كاشف لنظام الكتابة العربية. اشتمل هذا المشروع على مرحلتين، الأولى وقد أُنجزت منذ عام واحتوت على ثلاثة كتب، هي: نظام الكتابة العربية: النشوء والتطورات، ومنظومة الحروف العربية، والإملاء في نظام الكتابة العربية. أكمل المركز المرحلة الثانية من مشروع (نظام الكتابة العربية) الذي أداره سعادة الدكتور هشام بن صالح القاضي، وكان المشرف العام على هذه السلسلة (مباحث لغوية) سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله بن صالح الوشمي. واحتوى على الكتب الآتية، وهي: "المباحث النظرية في تعليم الكتابة العربية"، قام بتحرير هذ الكتاب سعادة الدكتور عبد العاطي إبراهيم هواري إذ اشتمل هذا الكتاب على مقدمة لمحرر الكتاب، وأربعة فصول. جاء الأول بعنوان «واقع الدراسات النظرية حول تعليم مهارة الكتابة العربية» لسعادة الدكتورمحمد عطية أحمد، وشارك في الفصل الثاني سعادة الدكتور محمد عبد التواب مفتاح ببحث عنوانه «بنية الجملة والفقرة والنص في أعمال تعليم الكتابة العربية»، أما الفصل الثالث فجاء بعنوان «القياس والتقويم لمهارة

الكتابة العربية» لسعادة الدكتور يسري زكي عبود، وجاء الفصل الرابع والأخير مشاركًا فيه سعادة الأستاذ أحمد علي الدرديري ببحث عنوانه «ببليوجرافيا الأعمال النظرية في مجال تعليم مهارة الكتابة العربية». الكتاب الثاني من المرحلة الثانية لهذا المشروع جاء بعنوان «الأعمال التطبيقية في الكتابة العربية» التي حررتها سعادة الأستاذة الدكتورة نوال بنت إبراهيم الحلوة، احتوى هذا الكتاب على مقدمة لمحررة الكتاب، وأربعة أبواب، شارك في الباب الأول سعادة الدكتور مهدي صلاح الجويدي بعنوان «المنجز العربي التطبيقي في مجال الكتابة العربية: دراسة مسحية نقدية. وجاء الباب الثاني بعنوان «منهجيات تدريس الكتابة العربية» لسعادة الأستاذ الدكتور مختار عبد الخالق، أما الباب الثالث فجاء موسوما بـ «تطوير مهارات الكتابة العربية بمساعدة الحاسوب» لسعادة الدكتور المعتز بالله السعيد. كما شارك في الباب الرابع سعادة الأستاذ محمد جودة عبد المعز ببحث عنوانه «ببليوجرافيا الأعمال التطبيقية في مجال تعليم مهارة الكتابة العربية». أما الكتاب الثالث فجاء موسوما بـ «المصنَّفات الداعمة لتعليم الكتابة العربية لغة أولى وثانية» حرَّر هذا الكتاب سعادة الدكتور شعبان قرني عبد التواب، تضمن مقدمة للمحرر، وأربعة فصول فقد جاء الأول معنونا بـ «المصنَّفات الداعمة للكتابة» لسعادة الأستاذ الدكتور صلاح عبد المعز العشيري، أما الفصل الثاني فقد شارك فيه سعادة الدكتور عبد العاطي الهواري ببحث عنوانه «المعجم والكتابة»، وجاء الفصل الثالث موسوما بـ «مصادر تعليم الكتابة في مؤسسات التعليم العالي» لسعادة الدكتور محمود العشيري. شارك في الفصل الرابع سعادة الدكتور شعبان قرني عبد التواب، وكان عنوانه «مصادر تعليم وتعلم الكتابة لمتعلمي العربية لغير الناطقين بغيرها».

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مشروع تعليم العربية لأبنائها

قام مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بإنشاء مشروع لتأليف سلسلة من الكتب التربوية في مجال تعليم اللغة العربية؛ لبناء تراكم معرفي في مجال تعليم العربية لأبنائها، فقد شهد ميدان تعليم اللغة العربية في الوطن العربي تطورات ملموسة في فلسفته ومنهجه وطريقته. يقع هذا المشروع ضمن سلسلة (مباحث لغوية) إذ يُشرف المركز على اختيار عنواناتها، وتكليف المحررين والمؤلفين، بل ومتابعة التأليف حتى إصدار الكتب. مدير هذا المشروع سعادة الدكتور أحمد بن علي الأخشمي، والمشرف العام على سلسلة (مباحث لغوية) سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله بن صالح الوشمي.

ضمَّ هذا المشروع كتبًا، أدار كل كتاب محرر مختص، كما بلغ عدد مؤلفي هذه الكتب نحو خمسين مؤلفا، وهذه الكتب، هي:

- كتاب تطوير مناهج اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية.
- كتاب مداخل تعليم اللغة العربية.
- كتاب تعلم العربية و تعليمها.
- كتاب معايير تصميم كتاب اللغة العربية المدرسي.
- كتاب تعليم اللغة العربية في الوطن العربي.
- كتاب تعليم اللغة العربية في التراث العربي.
- كتاب الممارسات والتجارب الدولية في تعليم القراءة و الكتابة للمبتدئين.

فقد اهتمت هذا الكتب - بالرغم من اختلاف محتويات كل كتاب عن الآخر- بالحديث عن تعلم العربية وتعليمها، وما يشهده ميدان تعليم اللغة العربية، وإبراز تجارب بعض الدول، والوقوف على حيثيَّاتها وخلفياتها التاريخية ووضعها الراهن.

مشروع العربية والحوسبة، والذكاء الاصطناعي

استهدف مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية المجالات البحثية التي ما زالت بحاجة إلى تسليط الضوء عليها، وتكثيف البحث فيها، ولفت الأنظار إلى أهميتها، ومن بين هذه المجالات، بل من أهمها مجال (العربية والحوسبة، والذكاء الاصطناعي)، فحياة اللغات، ومستقبلها مرهونة بمدى تجاوبها مع التطورات التقنية، والعالم الافتراضي، وكثافة المحتوى الإلكتروني المكتوب. وهذا ما يشكل تحدِّيًا حقيقيًّا أمام اللغات غير المنتجة للمعرفة أو للتقنية.

عمل المركز على تسليط الضوء على هذا المجال التخصصي، مستعينًا بالكفاءات من المهتمين بالتخصص البيني (بين اللغة والحاسوب). وقد أصدر المركز سابقًا ستة عشر كتابًا مختصًّا في (حوسبة العربية)، وفي الإفادة من (المدونات العربية) في الأبحاث العربية. وقد قام المركز لاحقًا بإصدار سبعة كتب جديدة مختصة في (حوسبة العربية، والذكاء الاصطناعي)؛ ليقدمها للقارئ العربي، وللجهات الأكاديمية؛ للإفادة منها في مناهج التعليم والبناء عليه. هذه الكتب السبعة، هي:

- كتاب العربية والذكاء الاصطناعي.
- كتاب تطبيقات الذكاء الاصطناعي في خدمة اللغة العربية.
- كتاب خوارزميات الذكاء الاصطناعي في تحليل النص العربي.
- كتاب مقدمة في حوسبة اللغة العربية.
- كتاب الموارد اللغوية الحاسوبية.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ــ المعالجة الآلية للنصوص العربية.

ــ تطبيقات أساسية في المعالجة الآلية للغة العربية.

فاللغة العربية لغة قابلة للمعالجة الآلية، ومهيَّأة للوصول إلى مستويات متقدمة، وذلك في حال توافرت الموارد والطاقات والدعم المناسب، إذ إن طبيعة العربية قياسية في شطر كبير منها، وتتمتع بنظام كتابي خاص، كما أنها لغة معربة تتمتع بنظام اشتقاقي توليدي، وهذه أمور تمثل إشكالات ليس هينة ولن تكون معالجتها يسيرة ما لم تتوفر السبل والأدوات المؤدية إلى ذلك، وهذا ما يسعى إليه المركز.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

التخطيط والسياسة اللغوية

يسعدنا في هذا العدد العاشر من المجلة تقديم مجموعة متميزة من الأعمال في مجال التخطيط والسياسة اللغوية، تجمع بين البحوث الأصيلة والمترجمة، إضافة إلى مراجعة الكتب ذات العلاقة.

هذا ولنا أمل في أن محتويات هذا العدد، كما هو الأمر مع الأعداد التسعة السابقة، تسهم في فهمنا للتخطيط والسياسة اللغوية بصورة أفضل. كما نأمل أن تكون حافزًا للباحثين لتقديم المزيد من إسهاماتهم المهمة في هذا المجال.

(ردمد) : ١٦٥٨ - ٧٤١٣

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

ص.ب. ١٢٥٠٠ الريـــاض ١١٤٧٣
هاتـــف: ٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٩ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
mtsl@kaica.org.sa
http://www.kaica.org.sa